الجزء الثانى من شرح

الإيضاح للخطيب القزويني

في

المعاني والبيان والبديع

تأليف

عبد المتعال الصعيدى

المدرس بكلية اللغة العربية من كليات الجامع الأزهر

قد وضعنا الايضاح باعلى الصفحة والشرح بأسفلها

١٣٥٣ هـ — ١٩٣٥

يطلب من جميع المكاتب بمصر والخارج

المطبعة المحمودية التجارية بالأزهر بمصر

تليفون رقم : ٥٣٠٦٧

بسم الله الرحمن الرحيم

(القول فى أحوال متعلقات الفعل)

(١) حال الفعل مع المفعول كحاله مع الفاعل فكما أنك اذا أسندت الفعل الى الفاعل كان غرضك أن تفيد وقوعه منه لا أن تفيد وجوده فى نفسه فقط كذلك اذا عديته الي المفعول كان غرضك أن تفيد وقوعه عليه لا أن تفيد وجوده فى نفسه فقط فقد اجتمع الفاعل والمفعول فى أن عمل الفعل فيهما إنما كان ليعلم التباسه بهما فعمل الرفع فى الفاعل ليعلم التباسه به من جهة وقوعه منه والنصب فى المفعول ليعلم التباسه به من جهة وقوعه عليه أما اذا أريد الاخبار بوقوعه فى نفسه من غير إرادة أن يعلم ممن وقع في نفسه أو على من وقع فالعبارة عنه أن يقال كان ضرب أو وقع ضرب أو وجد أو نحو ذلك من ألفاظ تفيد الوجود

(أحوال متعلقات الفعل)

ومثل الفعل مافى معناه من اسم الفاعل ونحوه على ماسبق له فى تقسيم أبواب هذا العلم وقد ذكر من تلك الأحوال ثلاثة أحوال (حذف المفعول به وتقديمه على الفعل وتقديم بعض معمولات الفعل على بعض) واستغنى عن ذكر ما عداها بما ذكره فى التنبيه السابق من أن الأمر يجرى فيها كما يجرى فى المسند إليه والمسند.

(١) (حال الفعل مع المفعول . . .) يريد المفعول به لأنه يقصد بهذا التمهيد للكلام على حذفه وإن كان غير المفعول به من المتعلقات حاله مع الفعل كحال الفاعل والمفعول به.

المجرد ، واذا تقرر هذا فنقول الفعل المتعدى اذا أسند الى فاعله ولم يذكر له مفعول فهو على ضربين الأول أن يكون الغرض إثبات المعنى فى نفسه للفاعل على الاطلاق أو نفيه عنه كذلك وقولنا على الاطلاق (١) أى من غير اعتبار عمومه وخصوصه ولا اعتبار تعلقه بمن وقع عليه فيكون المتعدى حينئذ بمنزلة اللازم فلا يذكر له مفعول (٢) لئلا يتوهم السامع أن الغرض الاخبار به باعتبار تعلقه بالمفعول ولا يقدر أيضا لأن المقدر فى حكم المذكور .

(٣) وهذا الضرب قسمان لأنه إما أن يجعل الفعل مطلقا كناية عن الفعل

(١) (أى من غير اعتبار عمومه وخصوصه . .) أى عموم الفعل بأن يراد جميع أفراده وخصوصه بأنه يراد بعضها والأولى أن يقال من غير تقييده بعموم أو خصوص لأن العموم قد يعتبر فى ذلك بمعونة المقام كما يأتي على أن الكلام فى تعلقه بالمفعول وعدم تعلقه لا فى اعتبار عمومه وخصوصه فى نفسه وعدم اعتبارهما فلا معنى لذكر ذلك هنا .

(٢) (لئلا يتوهم السامع أن الغرض الاخبار به باعتبار تعلقه بالمفعول) وهذا مع أن المفروض أن الغرض إثبات المعنى فى نفسه للفاعل من غير اعتبار تعلقه بمفعول ولكل منهما مقام خاص به فاذا قيل فلان يعطى كان هذا لمن يجهل إعطاءه وإذا قيل فلان يعطى الدنانير كان هذا لمن يعلم إعطاءه ويجهل أنه يعطى الدنانير وهكذا .

(٣) (وهذا الضرب قسمان لأنه إما أن يجعل الفعل مطلقا كناية . . .) الذى جرى عليه عبد القاهر أن هذا الضرب هو القسم الثانى فقط أما هذا القسم فقد جعله من الضرب الثانى الآتى لأن له عنده مفعولا مقصودا محذوفا لدلالة الحال ونحوه عليه وإن حاول المتكلم أن ينسيه نفسه لغرض له فى ذلك كما يأتى والكناية فى هذا من باب إطلاق الملزوم

متعلقا بمفعول مخصوص دلت عليه قرينة أولا الثاني كقوله تعالى قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون أى من يحدث له معنى العلم ومن لا يحدث . قال السكاكى [١] ثم اذا كان المقام خطابيا لا استدلاليا أفاد العموم فى أفراد الفعل بعلة إيهام أن القصد الى فرد دون فرد آخر مع تحقق الحقيقة فيهما تحكم ثم جعل قولهم فى المبالغة فلان يعطى ويمنع ويصل ويقطع محتملا لذلك [٢] وتعميم المفعول كما سيأتى وعده الشيخ عبد القاهر مما يفيد أصل المعنى على الاطلاق [٣] من غير إشعار بشيء من ذلك .

وإرادة اللازم على سبيل الادعاء لأن المقيد لا يكون لازما للمطلق إلا على هذا التقدير ولا يخفى أن القسم الثانى ليس فيه من حسن الكناية ما فى هذا القسم وإن كان يأتى أيضا مطابقا لمقتضى الحال الذي يقال فيه .

(١) (ثم إذا كان المقام خطابيا . . .) المقام الخطابى الذى يكتفى فيه بالظن كمقام المدح والفخر ونحو ذلك والمقام الاستدلالى الذى يطلب فيه اليقين كما سبق ذلك فى التعريف باللام ودلالة الفعل على العموم فى المقام الخطابى دلالة حقيقية لا كنائية كما زعم بعضهم اذ لا فرق بين دلالته على ذلك ودلالة أل عليه كما سبق فى قوله صلى الله عليه وسلم (المؤمن غر كريم والمنافق خب لئيم) فكل منهما دلالة حقيقية لا كنائية كما هو ظاهر .

(٢) (محتملا لذلك . . .) أى لتعميم أفراد الفعل أما احتماله لتعميم المفعول فكما سيأتى فى الضرب الثاني فى نحو قوله تعالى والله يدعو إلى دار السلام أى كل أحد .

(٣) (من غير اشعار بشيء من ذلك) أى من شمول أفراد الفعل أو المفعول وهو الحق فيما قيل لأنه المفهوم فيما بين الناس من هذا التركيب وليس ذلك إلا تكلفا لوجه من البلاغة على عادة السكاكى فى تكلفاته فيها.

والأول كقول البحترى يمدح المعتز بالله ويعرض بالمستعين بالله .

شجو حساده وغيظ عداه   أن يرى مبصر ويسمع واعى

أى أن يكون ذو رؤية وذو سمع فيقول محاسن الممدوح وآثاره لم تخف على من له بصر لكثرتها واشتهارها ويكفى فى معرفة أنها سبب لاستحقاقه الامامة دون غيره أن يقع عليها بصر ويعيها سمع لظهور دلالتها على ذلك لكل أحد فحساده وأعداؤه يتمنون أن لا يكون فى الدنيا من له عين يبصر بها وأذن يسمع بها كى يخفى استحقاقه للامامة فيجدوا بذلك سبيلا الى منازعته إياها (١) فجعل كما ترى مطلق الرؤية كناية عن رؤية محاسنه وآثاره ومطلق السماع كناية عن سماع أخباره

وكقول عمرو بن معديكرب .

(٢) فلو أن قومى أنطقتنى رماحهم   نطقت ولكن الرماح أجرت

(١) (فجعل كما ترى مطلق الرؤية كناية عن رؤية محاسنه) وهذا بادعاء الملازمة بينهما ونكتة ذلك الاشارة إلى شهرة محاسنه مبالغة فى مدحه ولا شك أن هذه النكتة تفوت لو صرح بالمفعول ولم يكن بهذا عنه فان جرينا على ما ذهب إليه عبد القاهر فى ذلك فليس فى هذا كناية لأن الشاعر عليه يكون قصده من أول الأمر أن يرى مبصر محاسنه ولكنه يحذفها ادعاء لشهرتها وأن رؤية البصر لا تقع إلا عليها وهو معنى حسن أيضا .

(٢) (فلو أن قومى أنطقتنى رماحهم . البيت) أجر فى الأصل بمعنى شق لسان الفصيل لئلا يرتضع والمراد هنا أنها قطعت لسانه عن مدحهم وقد بين الخطيب وجه الكناية فيه وقال عبد القاهر فى بيان معناه على مذهبه إنه يقصد أجرتنى ولكنه حذف المفعول لتتوفر العناية على إثبات

لأن غرضه أن يثبت أنه كان من الرماح إجرار وحبس للألسن عن النطق بمدحهم والافتخار بهم حتى يلزم منه بطريق الكناية مطلوبه وهو أنها أجرته .

وكقول طفيل الغنوي لبنى جعفر بن كلاب .

(١)جزى الله عنا جعفرا حين أزلقت   بنا نعلنا في الواطئين فزلت
أبوا أن يملونا ولو أن أمنا   تلاقي الذى لاقوه منا لملت
هم خلطونا بالنفوس وألجؤا   الى حجرات أدفأت وأظلت

فان الأصل لملتنا وأدفأتنا وأظلتنا إلا أنه حذف المفعول من هذه المواضع ليدل على مطلوبه بطريق الكناية فان قلت لاشك أن قوله ألجؤا أصله ألجؤنا فلأى معنى حذف المفعول منه قلت الظاهر أن حذفه لمجرد الاختصار لأن حكمه حكم ماعطف عليه وهو قوله خلطونا .

الضرب الثانى أن يكون الغرض إفادة تعلقه بمفعول فيجب تقديره

الفعل للفاعل ويوهم أن إجرارها كان عاما له ولغيره .

(١) (جزى الله عنا جعفرا حين أزلقت . الأبيات) يقال زلقت نعله وأزلقت زلت ولم تثبت فمعنى أزلقت وزلت واحد ويجوز أن يراد بقوله أزلقت زلق ماتحتها فيتغايران وكلاهما كناية عن سوء حالهم وقد جعل عبد القاهر حذف المفعول هنا لتتوفر العناية على إثبات الفعل للفاعل كالذى قبله وجعل من ذلك أيضا قول البحترى .

إذا بعدت أبلت وإن قربت شفت   فهجرانها يبلى ولقيانها يشفى

فالمعنى أبلتنى وشفتنى ويبلينى ويشفينى وإنما حذف المفعول لتتوفر العناية على إثبات الفعل للفاعل ويوهم أن بعدها وقربها من طبيعتهما ذلك وأنه لايختص به وحده وهو على مذهب الخطيب كناية كما سبق .

بحسب القرائن (١) ثم حذفه من اللفظ إما للبيان بعد الابهام (٢) كما فى فعل المشيئة اذا لم يكن فى تعلقه بمفعوله غرابة (٣) كقولك لو شئت جئت أو لم أجىء أى لو شئت المجىء أو عدم المجىء فانك متى قلت لو شئت علم السامع أنك علقت المشيئة بشىء فيقع فى نفسه أن هنا شيئا تعلقت به مشيئتك بأن يكون أو لا يكون فاذا قلت جئت أو لم أجىء عرف ذلك الشىء ومنه قوله تعالى فلو شاء لهداكم أجمعين وقوله تعالى فان يشأ الله يختم على قلبك وقوله تعالى من يشأ الله يضلله (٤) وقول طرفة :

فان شئت لم ترقل وإن شئت أرقلت ... مخافة ملوى من القد محصد

(٥) وقول البحترى :

لو شئت عدت بلاد نجد عودة ... فحللت بين عقيقه وزروده

---

(١) (ثم حذفه من اللفظ إما للبيان بعد الابهام . .) يريد أن حذف المفعول لابد فيه من القرينة الدالة عليه ثم الغرض الداعى اليه على نحو ماسبق فى المسند والمسند إليه وقد تقدمت فائدة البيان بعد الابهام فى الكلام.

(٢) (كما فى فعل المشيئة) ونحوه فعل الارادة والمحبة وغيرهما نحو لو أحب لأعطاكم.

(٣) (كقولك لو شئت جئت . . .) قد وقع فعل المشيئة شرطا فيما ذكره من الأمثلة لحذف مفعوله وليس ذلك بلازم فيه نحو قوله تعالى (ولا يحيطون بشىء من علمه إلا بما شاء) ونحو قولك بمشيئة الله تهتدون ولكن الظاهر فى الآية أن الحذف فيها ليس للبيان بعد الابهام .

(٤) (وقول طرفة : فان شئت لم ترقل وإن شئت أرقلت . البيت) لم ترقل لم تسرع ، وملوى مفتول وكذا محصد أي سوط مفتول ، ومن القد من الجلد المشقوق وهو بكسر القاف .

(٥) (وقول البحترى : لو شئت عدت بلاد نجد عودة . البيت) عقيق

(١) وقوله :

لو شئت لم تفسد سماحة حاتم كرما ولم تهدم مآثر خالد

فان كان فى تعليق الفعل به غرابة ذكرت المفعول لتقرره فى نفس السامع وتؤنسه به كقول الرجل يخبر عن عزه لو شئت أن أرد على الأمير رددت وإن شئت أن القى الخليفة كل يوم لقيته (٢) وعليه قول الشاعر:

ولو شئت أن أبكي دما لبكيته عليه ولكن ساحة الصبر أوسع

فأما قول أبى الحسين علي بن أحمد الجوهرى أحد شعراء الصاحب ابن عباد :

فلم يبق منى الشوق غير تفكرى فلو شئت أن أبكى بكيت تفكرا

(٣) فليس منه لأنه لم يرد أن يقول فلو شئت أن أبكى تفكرا بكيت تفكرا ولكنه أراد أن يقول أفناني النحول فلم يبق منى غير خواطر

بجد وزرودها موضعان بها .

(١) (وقوله : لوشئت لم تفسد سماحة حاتم . البيت) هو للبحترى أيضا كالبيت السابق والمراد حاتم الطائى وخالد بن أصبع النبهانى الذى نزل عليه امرؤ القيس .

(٢) (وعليه قول الشاعر : ولو شئت أن أبكى دما لبكيته . البيت) هو أبو الهندام الخزاعى يرثى ابنه الهندام فى قصيدة له مطلعها .

قضى وطرا منك الحبيب المودع وحل الذى لا يستطاع فيدفع

(٣) (فليس منه . . .) أى مما ذكر فيه مفعول المشيئة لغرابته وإنما ذكر فيما قيل لعدم الدليل عليه لو حذف وقيل إنه من ذلك وإنه بمعنى فلو شئت أن أبكى تفكرا بكيت تفكرا على التنازع ولكن المعنى الذي ذكره الخطيب هو الذي يلائم ما ذكره قبله من أن الشوق لم يبق منه غير تفكره والأنسب بمقصود الشاعر من المبالغة فى فنائه .

تجول حتى لو شئت البكاء فريت جفونى وعصرت عينى ليسيل منها دمع لم أجده ولخرج منها بدل الدمع التفكر فالمراد بالبكاء فى الأول الحقيقى وفى الثانى غير الحقيقى فالثانى لا يصلح أن يكون تفسيرا للأول .

وإما لدفع أن يتوهم السامع فى أول الأمر إرادة شىء غير المراد كقول البحترى[١] :

وكم ذدت عنى من تحامل حادث ‌ ‌ ‌ ‌ وسورة أيام حززن الى العظم

[٢] إذ لو قال حززن اللحم لجاز أن يتوهم السامع قبل ذكر ما بعده أن الحزكان فى بعض اللحم ولم ينته الى العظم فترك ذكر اللحم ليبرىء السامع من هذا الوهم ويصور فى نفسه من أول الأمر أن الحز مضى فى اللحم حتى لم يرده إلا العظم .

وإما لأنه أريد ذكره ثانيا على وجه يتضمن إيقاع الفعل على صريح لفظه [٣] إظهاراً لكمال العناية بوقوعه عليه كقول البحترى أيضا :

قد طلبنا فلم نجد لك فى السو ‌ ‌ ‌ ‌ دد والمجد والمكارم مثلا

(١) (كقول البحترى : وكم ذدت عنى من تحامل حادث . البيت) ذدت دفعت وكم خبرية مفعول له ، وسورة الأيام شدتها وصولتها .

(٢) (إذ لو قال حززن اللحم لجاز أن يتوهم . . .) وهذا التوهم يمكن أن يدفع أيضا بتأخير المفعول بأن يقال حززن إلى العظم اللحم ولكن ذكر المفعول بعد ذلك لا يكون فيه فائدة .

(٣) (إظهار الكمال العناية بوقوعه عليه) هذه نكتة الاتيان بصريح اسم المفعول ثانيا وأما نكتة حذفه فى الأول فهى لزوم التكرار مع ذكره ثانيا .

نى قد طلبنالك مثلا فى السودد والمجد والمكارم (١) فحذف المثل إذ كان غرضه أن يوقع نفى الوجود على صريح لفظ المثل ولأجل هذا المعنى بعينه عكس ذو الرمة فى قوله :

ولم أمدح لأرضيه بشعرى   لئيما أن يكون أصاب مالا

فانه أعمل الفعل الأول الذى هو أمدح فى صريح لفظ اللئيم والثانى الذى هو أرضى فى ضميره إذ كان غرضه إيقاع نفى المدح على اللئيم صريحا دون الارضاء . (٢) ويجوز أن يكون سبب الحذف فى بيت البحترى قصد المبالغة فى التأدب مع الممدوح بترك مواجهته بالتصريح بما يدل على تجويز أن يكون له مثل فان العاقل لا يطلب إلا ما يجوز وجوده (٣) وإما للقصد الى التعميم فى المفعول والامتناع عن أن يقصره السامع

---

(١) (فحذف المثل إذ كان غرضه . . .) إذا كان المحذوف لفظ المثل فهو من باب الحذف من الأول لدلالة الثاني عليه ويجوز أن يكون المحذوف ضميره على أنه من التنازع بأعمال الثانى وحذف ما أضمر فى الأول لأنه فضلة وإنما كان غرضه ماذكر لأنه آكد فى كمال المدح ولو عكس فصرح فى الأول وأضمر فى الثانى لجاز فيما قيل أن يعود الضمير على مثل آخر فلا يفيد الكلام نفى المثل الأول ولا يخفى أن هذا كلام لا يصح أن يقال وإنما الوجه فى ذلك ما ذكره الخطيب بعد فهما وجهان يكمل أحدهما الآخر .

(٢) (ويجوز أن يكون سبب الحذف . . .) ويجوز أيضا أن يكون البيان بعد الابهام .

(٣) (وإما للقصد إلى التعميم فى المفعول . . .) قيل فى هذا إنه إذا لم يكن هناك قرينة على أن المقدر عام فلا تعميم أصلا وإن كانت فالتعميم من عموم المقدر والقرينة الدالة عليه لا من الحذف فلا يكون فى هذا المقام إلا لمجرد الاختصار كالمقام الأخير وأجيب بأن الحذف هنا له تأثير فى

على ما يذكر معه دون غيره مع الاختصار كما تقول قد كان منك ما يؤلم (١) أى ماالشرط فى مثله أن يؤلم كل أحـد وكل إنسان وعليه قوله تعالى والله يدعو الى دار السلام أى يدعو كل أحد .

(٢) وإماللرعاية على الفاصلة كقولهسبحانه وتعالى والضحي والليل اذا سجي ماودعك ربك وما قلى أى وما قلاك .

وإما لاستهجان ذكره كما روى عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت (٣) ما رأيت منه ولا رأى منى تعنى العورة .

وإما لمجرد الاختصار كقولك أصغيت اليه أى أذني وأغضيت عليه أي بصرى ومنه قوله تعالى أرني أنظر اليك أى ذاتك وقوله تعالى أهذا الذى بعث الله رسولا أى بعثه الله وقوله تعالي فلا تجعلوا للهأندادا وأنتم تعلمون أى أنه لا يماثل أو ما بينه وبينها من التفاوت أو أنها لا تفعل كفعله كقوله تعالى قل هل من شركائكم من يفعل من ذلـكم من شيء (٤) ويحتمل أن يكون المقصود نفس الفعل من غير تعميم أى وأنتم من أهل

إفادة التعميم فى الجملة وإن كان التعميم مستفادا من القرينة وتأثيره فيه من جهة أن تقـدير مفعول خاص فيه دون آخر ترجيح بلا مرجح فيحمل على العموم .

(١) (أى ما الشرط فى مثله أن يؤلم كل أحد) وهذا بقرينة أن المقام مقام مبالغة فالمثال يفيد العموم مبالغة والآية تفيد العموم تحقيقا .

(٢) (وإما للرعاية على الفاصلة) قد سبق أن مثل هذا لا يصح أن يعد فى وجوه البلاغة .

(٣) (ما رأيت منه ولا رأى منى) وصدر الحديث : كنت أغتسل أنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم من إناء واحد فما رأيت منه ولا رأى منى.

(٤) (ويحتمل أن يكون المقصود نفس الفعل من غير تعميم) فيكون

العلم والمعرفة ثم ما أنتم عليه فى أمر دياناتكم من جعل الأصنام لله أندادا غاية الجهل ، ومما عد السكاكى الحذف فيه لمجرد الاختصار قوله تعالى (ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون ووجد من دونهم امرأتين تذودان قال ما خطبكما قالتا لا نسقى حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير فسقى لهما) (١) والأولى أن يجعل لاثبات المعنى فى نفسه للشيء على الاطلاق كما مر وهو ظاهر قول الزمخشرى فانه قال ترك المفعول لأن الغرض هو الفعل لا المفعول ألا ترى أنه رحمهما لأنهما كانتا على الذياد وهم على السقى ولم يرحمهما لأن مذودهما غنم ومسقيهم إبل مثلا وكذلك قولها لانسقى حتى يصدر الرعاء المقصود منه السقى لاالمسقى .

واعلم أنه قد يشتبه الحال فى أمر الحذف وعدمه لعدم تحصيل معنى الفعل كما فى قوله تعالى (قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أياما تدعوا فله الأسماء الحسنى) فانه يظن أن الدعاء فيه بمعنى النداء فلا يقدر فى الكلام محذوف وليس بمعناه لأنه لو كان بمعناه لزم إما الاشراك أو عطف الشيء على نفسه لأنه إن كان مسمى أحدهما غير مسمى الآخر لزم الأول وإن كان مسماهما واحدا لزم الثاني وكلاهما باطل تعالى كلام الله عزوجل عن ذلك فالدعاء فى الآية بمعنى التسمية التى تتعدى الى مفعولين أى سموه الله أو الرحمن أياما تسموه فله الأسماء الحسنى كما يقال فلان يدعى الأمير أي يسمى الأمير ، (٢) وكما فى قراءة من قرأ وقالت اليهود

من الضرب الأول الذى ينزل فيه المتعدى منزلة اللازم .

(١) (والأولى أن يجعل لاثبات المعنى فى نفسه . . .) وقد جعله عبد القاهر مما قصد فيه إلى مفعول خاص ثم حذف لتتوفر العناية على إثبات الفعل للفاعل كما سبق له فى غيره .

(٢) (وكما فى قراءة من قرأ وقالت اليهود . . .) هذا أيضا مما يشتبه

عزيرابن اللهبغير تنوين على القول بأن سقوط التنوين لكون الابن صفة واقعة بين علمين كما فى قولنا زيد بن عمرو قائم فانه قد يظن أن فعل القول فيه لحكاية الجملة كما هو أصله فقيل تقدير الكلام عزير ابن الله معبودنا وهذا باطل لأن التصديق والتكذيب إنما ينصرفان الى الاسناد لا الى وصف ما يقع فى الكلام موصوفا بصفة كما اذا حكيت عن إنسان أنهقال زيد بن عمرو سيد ثم كذبته فيه لم يكن تكذيبك أن يكون زيدا بن عمرو ولكن أن يكون زيد سيدا فلو كان التقدير ماذكر لكان الانكار راجعا الى أنه معبودهم وفيه تقدير أن عزيرا ابن الله تعالي الله عن ذلك فالقول فى الآية بمعنى الذكر لأن الغرض الدلالة على أن اليهود قد بلغوا فى الرسوخ فى الجهل والشرك الى أنهم كانوا يذكرون عزيرا هذا الذكر كما تقول فى قوم تريد أن تصفهم بالغلو فى أمر صاحبهم وتعظيمه إنى أراهم قد اعتقدوا أمراً عظيما فهم يقولون أبدا زيد الأمير تريد أنه كذلك يكون ذكرهم له اذا ذكروه .

(١) واعلم أن لحذف التنوين من عزير فى الآية وجهين أحدهما أن يكون لمنعه من الصرف لعجمته وتعريفه كعازر والثانى أن يكون لالتقاء الساكنين كقراءة من قرأ قل هو الله أحد الله الصمد بحذف التنوين من أحد وكما حكى عن عمارة بن عقيل أنه قرأ ولا الليل سابق النهار بحذف

فيه الحال فى أمر الحذف وعدمه بقطع النظر عما نحن فيه من حذف المفعول به .

(١) (واعلم أن لحذف التنوين من عزير فى الآية وجهين . . .) أى غير الوجه السابق وهو جعله موصوفا لابن الله بعده ، وعازر بفتح الزاى علم أعجمى ومن يصرف عزيرا مع عجمته يصرفه لخفته .

التنوين من سابق ونصب النهار فقيل له وماتريد فقال سابق النهار فالمعنى على هذين الوجهين كالمعنى على إثبات التنوين فعزير مبتدأ وابن الله خبره ⁽¹⁾ وقال على أصله والله أعلم.

⁽²⁾ وأما تقديم مفعوله ونحوه عليه فلرد الخطأ فى التعيين كقولك زيدا عرفت لمن اعتقد أنك عرفت إنسانا وأنه غير زيد وأصاب فى الأول دون الثانى وتقول لتأكيده وتقريره زيداً عرفت لا غيره ⁽³⁾ ولذلك لايصح أن يقال مازيدا ضربت ولا أحدا من الناس لتناقض

---

(١) (وقال على أصله) من الدخول على الجملة ولا حاجة إلى تأويله بمعنى الذكر كما أول به فى الوجه السابق الذى جعل فيه ابن الله صفة لا خبرا.

هذا وقد يكون حذف المفعول لأغراض أخرى مثل إخفائه خوفا عليه أو تعينه حقيقة أو ادعاء أو صونه عن اللسان أو صون اللسان عنه على نحو ماسبق وقد قيل فى قوله تعالى (ما ودعك ربك وما قلى) إنه يجوز أن يكون حذف المفعول فيه لصونه صلى الله عليه وسلم من التصريح بايقاعه عليه مبالغة فى نفيه عنه بخلاف الفعل الأول فان معناه ترك ولايدل على البغض كما يدل عليه قلى، وقد تقول نحمد ونشكر أى الله فتكتفى فى هذا بتعينه وقد تقول لعن الله وأخزى تريد الشيطان فتحذفه لصون لسانك عنه وهكذا.

(٢) (واما تقديم مفعوله ونحوه عليه ...) نحو المفعول جميع معمولات الفعل التى يجوز تقديمها عليه كالجار والمجرور والظرف والحال وغيرها وتقديم ذلك يفيد التخصيص مطلقا سواء أكان لرد الخطأ فى التعيين كما ذكره أم لرد الخطأ فى اعتقاد الشركة كقولك زيدا عرفت وحده كما سبق فى تقديم المسند اليه.

(٣) (ولذلك لا يصح أن يقال ما زيدا ضربت ولا أحدا من

دلالتى الأول والثانى ولا أن تعقب الفعل المنفى باثبات ضده كقولك ما زيدا ضربت ولكن أكرمته لأن مبنى الكلام ليس على أن الخطأ فى الضرب فترده الى الصواب فى الاكرام وإنما هو على أن الخطأ فى المضروب حين اعتقد أنه زيد فرده الى الصواب أن تقول ولكن عمراً (١) وأما نحو قولك زيدا عرفته فان قدر المفسر المحذوف قبل المنصوب أى عرفت زيدا عرفته فهو من باب التوكيد أعنى تكرير اللفظ وإن قدر بعده أى زيدا عرفت عرفته أفاد التخصيص (٢) وأما نحو قوله تعالى (وأما ثمود فهديناهم) فيمن قرأ بالنصب فلا يفيد إلا التخصيص لامتناع تقدير أما فهدينا ثمود (٣) وكذلك اذا قلت بزيد مررت أفاد أن سامعك

الناس) وهذا على أن تقديم زيد لافادة التخصيص لا لمجرد الاهتمام به وإلا فان هذا يصح أن يقال.

(١) (وأما نحو قولك زيدا عرفته ...) مما يكون التقديم فيه من باب الاشتغال وقد ذهب الزمخشري الى أن التقديم فيه للتخصيص مطلقا والذى أراه أنه لا يفيد إلا التوكيد لأنه يفيد التخصيص بدون إعمال الفعل فى ضمير المفعول فاعماله فى ضميره لا يكون إلا لغرض آخر غيره ولأن الفعل المذكور مقدم على الضمير فيجب أن يكون الفعل المحذوف قبل الاسم الظاهر ليتفق التفسير والمفسر.

(٢) (وأما نحو قوله تعالى وأما ثمود ..) هذا تخصيص لما ذكره من حكم التقديم فى الاشتغال وإنما امتنع أما فهدينا ثمود لا لتزامهم وجود فاصل بين أما والفاء ولهذا كان الحق أن التقديم فى هذا لا صلاح اللفظ لا للتخصيص وأيضا فالمعنى فى الآية لا يصح عليه لأن غير ثمود مثلها فيما ذكر فيها.

(٣) (وكذلك اذا قلت بزيد مررت) ونحو هذا أيضا قولك يوم

كان يعتقد مرورك بغير زيد فأزلت عنه الخطأ مخصصا مرورك بزيد دون غيره (١) والتخصيص فى غالب الأمر لازم للتقديم ولذلك يقال فى قوله تعالى (إياك نعبد وإياك نستعين) معناه نخصك بالعبادة لا نعبد غيرك ونخصك بالاستعانة لانستعين غيرك وفى قوله تعالى (إن كنتم إياه تعبدون) معناه إن كنتم تخصونه بالعبادة وفى قوله تعالي (لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا) أخرت صلة الشهادة فى الأول وقدمت فى الثاني لأن الغرض فى الأول إثبات شهادتهم على الأمم وفى الثانى اختصاصهم بكون الرسول شهيدا عليهم وفى قوله تعالى (لالى الله

الجمعة سررت وتأديبا ضربته وماشيا حججت وهكذا ومن ذلك قوله (الى ربك يومئذ المساق) وهذه الأبيات .

بك اقتدت الأيام فى حسناتها وشيمتها لولاك هم وتكريب
بذا قضت الأيام مابين أهلها مصائب قوم عند قوم فوائد
وفى تعب من يحسد الشمس ضوءها ويجهد أن يأتى لها بضريب

(١) (والتخصيص فى غالب الأمر لازم للتقديم) التخصيص الذى يفيده التقديم هو القصر الآتى عند الجمهور وذهب السبكى الى أنه غيره فهو عنده إثبات حكم لشيء بخصوصه من غير تعرض لغيره باثبات أو نفى

وقد يكون التقديم لأغراض أخرى كمجرد الاهتمام والتبرك والاستلذاذ وموافقة كلام السامع ونحو ذلك كقولك العلم لزمت ومحمدا صلى الله عليه وسلم زرت وليلى أحببت ومن ذلك قوله تعالي (ووهبنا له اسحاق ويعقوب كلا هدينا ونوحا هدينا من قبل) وأما قوله تعالي(قل أرأيتكم إن أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة أغير الله تدعون إن كنتم صادقين . بل إياه تدعون فيكشف ماتدعون اليه إن شاء وتنسون ماتشركون) فالتقديم فى الأول ليس للتخصيص وفى الثانى للتخصيص .

تحشرون) معناه اليه لا الى غيره وفى قوله تعالى (وأرسلناك للناس رسولا) معناه لجميع الناس من العرب والعجم على أن التعريف للاستغراق لا لبعضهم المعين على أنه للعهد أى للعرب ولا لمسمى الناس على أنه للجنس لئلا يلزم من الأول اختصاصه بالعرب دون العجم لانحصار الناس فى الصنفين ومن الثانى اختصاصه بالانس دون الجن لا نحصار من يتصور الارسال اليهم من أهل الأرض فيهما وعلى تقدير الاستغراق لا يلزم شيء من ذلك لأن التقديم لما كان مفيد الثبوت الحكم للمقدم ونفيه عما يقابله كان تقديم للناس على رسولا مفيد النفى كونه رسولا لبعضهم خاصة لأنه هو المقابل لجميع الناس[1] لا لبعضهم مطلقا ولا غير جنس الناس وكذلك يذهب فى معنى قوله تعالى (وبالآخرة هم يوقنون) الى أنه تعريض بأن الآخرة التى عليها أهل الكتاب فيما يقولون إنه لا يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى وإنه لا تمسهم النار فيها إلا أياما معدودات وإن أهل الجنة فيها لا يتلذذون فى الجنة إلا بالنسيم والأرواح العبقة والسماع اللذيذ ليست بالآخرة وإيقانهم بمثلها ليس من الايقان بالتى هى الآخرة عند الله فى شيء أى بالآخرة يوقنون لا بغيرها كأهل الكتاب .

ويفيد التقديم فى جميع ذلك وراء التخصيص اهتماما بشأن المقدم ولهذا قدر المحذوف فى قوله بسم الله مؤخرا وأورد قوله تعالى (إقرأ بسم ربك) فان الفعل فيه مقدم وأجيب بأن تقديم الفعل هناك أهم لأنها أول سورة نزلت واجاب السكاكى بأن باسم ربك متعلق باقرأ الثانى ومعنى الأول افعل القراءة وأوجدها على نحو ما تقدم فى قولهم فلان

(١) (لا لبعضهم مطلقا) لأنه لا يتصور ارسالهم لبعض مبهم حتى ينفي عنهم والمراد ببعضهم خاصة قومه .

يعطى ويمنع (١) يعنى اذا لم يحمل على العموم (٢) وهو بعيد .

وأما تقديم بعض معمولاته على بعض (٣) فهو إما لأن أصله التقديم ولا مقتضى للعدول عنه كتقديم الفاعل على المفعول نحو ضرب زيد عمرا وتقديم المفعول الأول على الثانى نحو أعطيت زيدا درهما .

وإما لأن ذكره أهم والعناية به أتم فيقدم المفعول على الفاعل اذا كان الغرض معرفة وقوع الفعل على من وقع عليه لا وقوعه ممن وقع منه كما اذا خرج رجل على السلطان وعاث فى البلاد وكثر منه الأذى فقتل وأردت أن تخبر بقتله فتقول قتل الخارجى فلان إذ ليس للناس فائدة فى أن يعرفوا قاتله وإنما الذى يريدون علمه هو وقوع القتل به ليخلصوا من شره ويقدم الفاعل على المفعول اذا كان الغرض معرفة وقوع الفعل ممن وقع منه لا وقوعه على من وقع عليه كما اذا كان رجل ليس له بأس ولا يقدر فيه أن يقتل فقتل رجلا وأردت أن تخبر بذلك فتقول قتل فلان رجلا بتقديم القاتل لأن الذى يعنى الناس من شأن هذا القتل ندوره وبعده من الظن ومعلوم أنه لم يكن نادرا ولا بعيداً من حيث كان واقعا على من

---

(١) (يعنى إذا لم يحمل على العموم) أى العموم فى المفعول فان السكاكى كما سبق جعله محتملا لافادة العموم فى أفراد الفعل ولافادة العموم فى المفعول فيكون اقرأ الأول على هذا منزلا منزلة الفعل اللازم.

(٢) (وهو بعيد) لأنه خلاف ظاهر نظم الآية ولأن اقرأ الثانى تأكيد للأول فيلزم الفصل بين التأكيد والمؤكد وقد أجيب عن هذا بأنه يجوز الفصل بينهما بمثل ذلك كقوله تعالى (ولا يحزن ويرضين بما آتيتهن كلهن) .

(٣) (فهو إما لأن أصله التقديم . . .) تقدم أن هذه نكتة نحوية يجىء الكلام بها على مقتضى قانون النحو فلا يصح عدها فى وجوه البلاغة .

وقع عليه بل من حيث كان واقعا ممن وقع منه وعليه قوله تعالى (ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم) وقوله تعالى (ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم) قدم المخاطبين فى الأولى دون الثانية لأن الخطاب فى الأولى للفقراء بدليل قوله تعالى من إملاق فكان رزقهم أهم عندهم من رزق أولادهم فقدم لوعد برزقهم على الوعد برزق أولادهم والخطاب فى الثانية للأغنياء بدليل قوله خشية إملاق فان الخشية إنما تكون مما لم يقع فكان رزق أولادهم هو المطلوب دون رزقهم لأنه حاصل فكان أهم فقدم الوعد برزق أولادهم على الوعد برزقهم .

وإما لأن فى التأخير إخلالا ببيان المعنى (١) كقوله تعالى (وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه) فانه لو أخر من آل فرعون عن يكتم إيمانه لتوهم أن من متعلقة بيكتم فلم يفهم أن الرجل من آل فرعون (٢) أو بالتناسب كرعاية الفاصلة نحو فأوجس فى نفسه خيفة موسى .

---

(١) (كقوله تعالى وقال رجل مؤمن . . .) تقديم الجار والمجرور فى الآية لدفع ذلك الالباس ولأن الأصل عند اختلاف النعوت تقديم النعت المفرد ثم الظرف ثم الجملة وقد عرفت أن هذه النكتة نحوية لا بيانية .

(٢) (أو بالتناسب كرعاية الفاصلة . . .) سبق أن هذا يرجع إلى المحسنات البديعية وإنما قدم الجار والمجرور فى الآية على المفعول مع أن حقه التقديم عليهما لأن تقديمه يفيد حصر الخيفة فى نفسه وهو غير مراد وسيأتى أن إفادة التقديم الحصر فى نحو هذا غير متفق عليه فلعل المانع من تقديمه أنه يوهم تعلق الجار والمجرور به لا بالفعل ولا معنى لتعلقهما به .

(١) وإما لاعتبار آخر مناسب .

وقسم السكاكي التقديم للعناية مطلقا قسمين أحدهما أن يكون أصل ما قدم في الكلام هو التقديم ولا مقتضى للعدول عنه(٢) كالمبتدإ المعرف فان أصله التقديم على الخبر نحو زيد عارف وكذا الحال المعرف فان أصله التقديم على الحال نحو جاء زيد راكبا وكالعامل فان أصله التقديم على معموله نحو عرف زيد عمرا وكان زيد عارفا وإن زيدا عارف وكالفاعل فان أصله التقديم على المفعولات وما يشبهها من الحال والتمييز نحو ضرب زيد الجاني بالسوط يوم الجمعة أمام بكر ضربا شديداً تأديباً له ممتلئاً من الغضب وامتلأ الاناء ماء وكالذي يكون في حكم المبتدإ من مفعولي باب علمت نحو علمت زيداً منطلقا (٣) أو في حكم الفاعل من مفعولي باب أعطيت وكسوت نحو أعطيت زيداً درهما وكسوت عمراً جبة وكالمفعول المتعدي اليه بغير واسطة فان أصله التقديم على المتعدي اليه بواسطة نحو ضربت الجاني بالسوط (٤) وكالتوابع فان أصلها أن تذكر بعد المتبوعات ، وثانيهما أن تكون العناية بتقديمه والاعتناء بشأنه لكونه في نفسه نصب عينك وأن التفات خاطرك اليه في التزايد كما تجدك قدمنيت بهجر حبيبك

---

(١) (وإما لاعتبار آخر مناسب) ومن ذلك إفادة الاختصاص كما ذهب إليه ابن الأثير في نحو جاء راكبا زيد وخالفه فيه الجمهور .

(٢) (كالمبتدإ المعرف) بخلاف المبتدإ المنكر فانه قد يتقدم عليه الخبر لتسويغ الابتداء به نحو في الدار رجل وكذا صاحب الحال النكرة

(٣) (أو في حكم الفاعل من مفعولي باب أعطيت وكسوت . . .) فزيد آخذ والدرهم مأخوذ في المثال الأول وعمرو مكتس بالجبة في المثال الثاني .

(٤) (وكالتوابع فان أصلها أن تذكر بعد المتبوعات) يعني مباشرة فلا يقدم عليها غيرها نحو جاء زيد الطويل راكبا وعرفت أنا زيدا وهكذا

وقيل لك ماتتمنى تقول وجه الحبيب أتمنى وعليه قوله تعالى (وجعلوا الله شركاء) أى على القول بأن لله شركاء مفعولا جعلوا أو لعارض يورثه ذلك كما اذا توهمت أن مخاطبك ملتفت الخاطر اليه ينتظر أن تذكره فيبرز فى معرض أمر يتجدد فى شأنه التقاضى ساعة فساعة فمتى تجد له مجالا للذكر صالحاً أوردته نحو قوله تعالى (وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى) قدم فيه المجرور لاشتمال ماقبله على سوء معاملة أهل القرية للرسل من إصرارهم على تكذيبهم فكان مظنة أن يلعن السامع على مجرى العادة تلك القرية ويبقى مجيلا فى فكره أ كانت كلها كذلك أم كان فيها قطر دان أم قاص منبت خير منتظر الالمام الحديث به [١] بخلاف مافى سورة القصص، أو كما اذا وعدت ماتبعد وقوعه من جهتين إحداهما أدخل فى تبعيده من الأخرى فانك حال التفات خاطرك الى وقوعه باعتبارهما تجد تفاوتا فى إنكارك إياه قوة وضعفا بالنسبة [٢] ولامتناع إنكاره بدون القصد اليه يستتبع تفاوته ذلك تفاوتا فى القصد اليه والاعتناء بذكره فالبلاغة توجب أنك اذا أنكرت تقول فى الأول ـ شىء حاله فى البعد عن الوقوع هذه أنى يكون لقد وعدت هذا أنا وأبى وجدى فتقدم المنكر على المرفوع [٣] وفى الثانى لقد وعدت أنا وأبي وجدى هذا فتؤخر وعليه قوله تعالى فى سورة النمل

---

(١) (بخلاف مافى سورة القصص) حيث قيل فى قصة موسى فيها (وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى) إذ لم يكن فيها ما يقتضى تقديم المجرور كما تقدم هنا.

(٢) (ولامتناع إنكاره . . .) الجار والمجرور متعلق بقوله بعد يستتبع

(٣) (وفى الثاني لقد وعدت أنا وأبى وجدى هذا) إذ لم يذكر هنا الحال التي تبعده وتجعل القصد الى إنكاره أهم من غيره .

(لقد وعدنا هـذا نحن وآباؤنا) وقوله تعالى فى سورة المؤمنين (لقـد وعدنا نحن وآباؤنا هذا) فان ما قبل الأولى (أإذا كنا ترابا وآباؤنا أئنا لمخرجون) وماقبل الثانية (أإذامتنا وكناترابا وعظاما أئنالمبعوثون) فالجهة المنظور فيهـا هناك كونهم أنفسهم وآباؤهم ترابا والجهة المنظور فيها هنا كونهم ترابا وعظاما ولا شبهة أن الأولى أدخل عندهم فى تبعيد البعث أوكما اذا عرفت فى التأخير مانعا كما فى قوله تعالى فى سورة المؤمنين (وقال الملأ من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة وأترفناهم) بتقديم المجرور على الوصف لأنه لو أخر عنه وأنت تعلم أن تمام الوصف بتمام ما يدخل فى صلة الموصول وتمامه (وأترفناهم فى الحياة الدنيا) لاحتمل أن يكون من صلة الدنيا واشتبه الأمر فى القائلين أهم من قومه أم لا بخلاف قوله تعالى فى موضع آخر منها (فقال الملأ الذين كفروا من قومه) فانه جاء على الأصل لعدم المانع وكما فى قوله تعالى فى سورة طه (آمنا برب هرون وموسى) للمحافظة على الفاصلة بخلاف قوله تعالى فى سورة الشعراء (رب موسى وهرون) وفيما ذكره نظر من وجوه أحدها أنه جعل تقديم لله على شركاء للعناية والاهتمام وليس كذلك فان الآية مسوقة للانكار التوبيخى فيمتنع أن يكون تعلق جعلوا بالله منكراً من غير اعتبار تعلقه بشركاء إذ لا ينكر أن يكون جعل ما متعلقا به فيتعين أن يكون إنكار تعلقه به باعتبار تعلقه بشركاء وتعلقه بشركاء كذلك منكر باعتبار تعلقه بالله [1] فلم يبق

(١) (فلم يبق فرق بين التلاوة وعكسها) هـذا ينافى كما قال السبكى ما سبق له فى حذف المسند من أن تقديم اسم الله على شركاء لافادة استعظام أن يتخذ له شريك ملكا كان أو جنيا أو غيرهما لأن هذه الفائدة لا تحصل إلا بالتقديم فتنشأ من ذلك العناية بذكر اسم الله تعالى فى الأول

فرق بين التلاوة وعكسها وقد علم بهذا أن كل فعل متعد الى مفعولين لم يكن الاعتناء بذكر أحدهما إلا باعتبار تعلقه بالآخر اذا قدم أحدهما على الآخر لم يصح تعليل تقديمه بالعناية ، وثانيها أنه جعل التقديم للاحتراز عن الاخلال ببيان المعنى والتقديم للرعاية على الفاصلة من القسم الثانى (١) وليسا منه وثالثها أن تعلق من قومه بالدنيا على تقدير تأخره غير معقول المعنى (٢) إلا على وجه بعيد .

وإن تساوى المفعولان فى العناية الناشئة من الانكار التوبيخى ويصح بهذا كلام السكاكى والذى أراه أن مفعولى جعلوا أصلهما مبتدأ وخبر والمبتدأ النكرة يؤخر عن خبره فيجوز أن يكون هذا قد جاء على أصله حكاية لقولهم فيه وأما إفادة استعظام أن يكون لله شريك مطلقا فمأخوذ من تأخير لفظ الجن وجعله مفعولا لفعل محذوف أو بدلا من لفظ شركاء .

(١) (وليسا منه) لأن المراد به تقديم ماحقه التأخير والتقديم لهذين الأمرين ليس كذلك فالجار والمجرور فى قوله تعالى (وقال الملأ من قومه الذين كفروا . . .) حال من الملأ والذين كفروا صفة لقومه لا للملأ حتى يكون حقه التأخر عنه بناء على أن الحال متأخر الرتبة عن التابع وكذا تقديم هرون على موسى فى قوله تعالى (آمنا برب هرون وموسى) لأن المتعاطفين بالواو ليس من حق أحدهما التأخير عن الآخر . وقد أجيب عن هذا بأن تقسيم السكاكى التقديم للعناية الى هذين القسمين يرجع الى أن العناية فى القسم الأول لمجرد أنه الأصل ولا مقتضى للعدول عنه وفى القسم الثانى للأمور التى ذكرها ولا يرجع الى أن التقديم فى القسم الأول تقديم ما أصله التقديم وفى القسم الثانى تقديم ما حقه التأخير حتى يصح الاعتراض عليه بذلك ، ثم إن الظاهر من كلام السكاكى أن الذين صفة للملأ وهو محتمل .

(٢) (إلا على وجه بعيد) لايخفى أن احتمال ذلك فيه ولو كان بعيداً

القول فى القصر

(١) القصر حقيقى وغير حقيقي وكل واحد منهما ضربان

كاف فى إثبات ماذكره السكاكى فى نكتة تقديمه .

القصر

(١) (القصر حقيقي وغير حقيقي) القصر فى اللغة الحبس كما قال تعالى (حور مقصورات فى الخيام) ويطلق أيضاً على عدم مجاوزة شيء الى شيء من قصره على كذا اذا لم يتجاوز به الى غيره ، وهو فى الاصطلاح تخصيص شيء بشيء بطريق مخصوص والشيء الأول هو المقصور والشيء الثانى هو المقصور عليه وقيل بعكس ذلك فيهما والطريق المخصوص هو أدواته الآتية ، وهذامثل قوله تعالى (وماالحياةالدنيا إلا لعب ولهو وللدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون) فالحياة الدنيا فى الآية مقصورة على اللعب واللهو والحياة هى المقصورة واللعب هو المقصور عليه وأداة القصر هى [ما وإلا] والمراد بتخصيص الشيء بالشيء إثبات أحدهما للآخر ونفيه عن غيره ولهذا كانت جملة القصر فى قوة جملتين كجملة القصر فى الآية فهى فى قوة هاتين الجملتين [الحياةالدنيالعب ولهو ـ الحياة الدنيا ليست بجد] وهذا الايجاز فى القصر هو من أهم دواعيه وأظهر مزاياه ولكنه إنما يكون فى أغلب أحواله وقد يصرح فيه بالجملتين معا كما سيأتي فى لكن الاستدراكية وبل الابتدائية وكذا ليس فيما مثل به صاحب المفتاح [زيد شاعر ليس غيرا أو ليس إلا] أى ليس شاعر غير المذكور أو إلا المذكور ، ومن دواعى القصر أيضا أنه قد يقصد منه تمكين الكلام وتقريره فى الذهن لدفع مافيه من إنكار أو شك الى غير هذا مما يأتى فى أقسامه الآتية ومن هذا تعلم أن تقوية الحكم قد تقصد مع إفادة التخصيص فى التقديم وغيره من طرق القصر وإن سبق خلاف

(١) قصر الموصوف على الصـــفة وقصر الصفة على الموصوف

ذلك عنهم ، وقد قيل إن خير ما يقال فى تعريف القصر أنه دلالة جملة واحدة على اختصاص أمر بآخر بأى طريق كان من الوضع أو العقل أو الذوق فيشمل نحو هذين البيتين :

لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى   حتى يراق على جوانبه الدم
أروني أمـــة بلغت مناها   بغير العلم أو حـــد اليمانى

ونحو قوله تعالى (يختص برحمته من يشاء) وقولك [محمود مقصور على الكتابة] إلى غير ذلك من كل أسلوب يفهم منه معنى القصر وإن لم يكن بأداة من أدواته المعروفة ، ولا يخفى أن القصر لا يلزم فيه أن يكون جملة واحدة وأنه لو كان مثل [محمود مقصور على الكتابة] من القصر لأنه يدل على معنى أدواته المعروفة لكان قولك زيد مشارك لعمرو فى الكتابة من العطف وقولك جاء القوم بدون أن يتخلف منهم أحد من التأكيد وهكذا على أن القصر يراد هنا لمزاياه البيانيـة وهى لا تكون إلا في أدواته الآتيـة وليس قولك [محمود مقصور على الكتابة] مثل قولك [إنما محمود كاتب] فالثانى هو أسلوب العرب فى القصر والأول أسلوب المؤلفين وأشباههم ، والقصر الحقيقى هو الذي يكون فيه النفى الذى تضمنه القصر لكل ماعدا المقصور عليـه نحو ماخاتم الأنبياء إلا محمد صلى الله عليه وسلم ، والقصر غير الحقيقى هو الذى يكون فيه ذلك النفى لبعض ما عدا المقصور عليه نحو زيد كاتب لاشاعر فهو يفيد نفى الشعر فقط عن زيد لا كل ماعدا الكتابة من قيام وقعود وغيرهما ، ويسمى القصر غير الحقيقى القصر الاضافى أيضاً لأن القصر فيـه بالاضافة الى شىء معين مقابل للمقصور عليه .

(١) (قصر الموصوف على الصـفة وقصر الصـفة على الموصوف)

(١) والمراد الصفة المعنوية لا النعت والأول من الحقيقي كقولك ماز يد

قصر الموصوف على الصفة هو الذى لا يتجاوز الموصوف فيه تلك الصفة وإن جاز أن تكون لموصوف آخر ، وقصر الصفة على الموصوف هو الذى لا تتجاوز فيه الصفة ذلك الموصوف وإن جاز أن يكون له صفة أخرى.

(١) (والمراد الصفة المعنوية لا النعت) وهى كل أمر قائم بغيره وكذلك المراد بالموصوف كل ما قام به غيره وإن كان هو صفة فى نفسه مثل قولهم إنما الصبر عند الصدمة الأولى فالمعنى إنما الصبر الكائن عند الصدمة الأولى وهو من قصر الموصوف على الصفة أيضا وكذلك قوله تعالى (ما نعبدهم إلا ليقربونا الى الله زلفى) قصرت فيه العبادة على التقريب قصر موصوف على صفة أيضا ، وإنما لم يكن المراد بالصفة النعت النحوى لأنه لا يتأتى القصر بأى طريق من طرقه بين النعت والمنعوت إذ لا حكم بينهما حتى يقصر باعتباره أحدهما على الآخر .

والقصر كما سيأتى يكون بين المبتدأ والخبر نحو مازيد إلا كاتب وما كاتب إلا زيد ويكون بين الفاعل والمفعول ونحوهما نحو إنما يخشى الله من عباده العلماء . إنما يرحم الله الراحمين . ما أعطيت أخى إلا درهما والقصر فى الحقيقة للفعل الصادر من الفاعل على المفعول وهكذا ولا يراد قصر ذات الفاعل على ذات المفعول حتى يخرج عن كونه قصر موصوف أو صفة فالمعنى فى نحو إنما يخشى الله من عباده العلماء على قصر خشية الله على العلماء قصر صفة على موصوف وهكذا ، والمبتدأ والخبر اذا كانا صفتين أو أحدهما صفة فأمرهما ظاهر واذا كانا ذاتين نحو ما الباب إلا ساج وما هذا إلا زيد أول فى أحدهما حتى يكون صفة كما يؤول فى المثالين على معنى قصر المبتدا على الاتصاف بكونه ساجا أو زيدا وقد يؤول فيهما على معنى قصر البابية على الساج والاشارة على زيد فيكونان من قصر الموصوف على الصفة أو الصفة على الموصوف

إلا كاتب اذا أردت أنه لا يتصف بصفة غير الكتابة (١) وهذا لا يكاد يوجد فى الكلام لأنه ما من متصور إلا وتكون له صفات تتعذر الاحاطة بها أو تتعسر والثانى منه كثير (٢) كقولنا ما فى الدار إلا زيد والفرق بينهما ظاهر فان الموصوف فى الأول لا يمتنع أن يشاركه غيره فى الصفة المذكورة وفى الثاني

(١) (وهذا لا يكاد يوجد فى الكلام . . .) أى من البليغ المتحرى للصدق الذى لم يقصد الادعاء والمبالغة فلا يوجد إلا فى هذين الحالين [الكذب والادعاء] والأول ليس من مقاصد البلغاء والثاني من أعظم مقاصدهم وتلك فائدة هذا القصر وتكون مقاماتها فى المدح والفخر وما اليهما وذلك نحو قوله تعالى (إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون) ونحو هذه الأبيات :

هل الجود إلا أن تجود بأنفس ... على كل ماضى الشفرتين صقيل
وما البأس إلا حمل نفس على السرى ... وما العجز إلا نومة وتشمس
نقل فؤادك حيث شئت من الهوى ... ما الحب إلا للحبيب الأول

وقد قيل إن قصر الموصوف على الصفة قد يوجد تحقيقيا صادقا فى نحو قولك الله المتصف بجميع صفات الكمال المنزه عن جميع صفات النقص وهذا هو المثال الذى أمكنهم أن يذكروه فى ذلك .

(٢) (كقولنا ما فى الدار إلا زيد) يعنى من البشر لأنه هو المقصود فى مثل هذا وإلا فان الدار يوجد فيها متاعها وغيره لكن مثل هذا لا ينظر اليه فى هذا الكلام فلا يجعله من القصر الاضافى ، ومن ذلك أيضا قوله تعالى (لله ما فى السموات وما فى الأرض) (إنما يتذكر أولو الألباب) ونحو قول الشاعر :

ولا ينال العلا إلا فتى شرفت ... خلاله فأطاع الدهر ما أمرا

يمتنع (١) وقد يقصد به المبالغة لعدم الاعتداد بغير المذكور فينزل منزلة المعدوم (٢) والأول من غير الحقيقي تخصيص أمر بصفة دون أخرى أو

---

(١) (وقد يقصد به المبالغة) أى بقصر الصفة على الموصوف أما قصر الموصوف على الصفة فقد سبق أنه لا يوجد إلا على سبيل المبالغة. وأما القصر الاضافى فسيأتى بيان ذلك فيه ومن قصر الصفة على الموصوف قصرا حقيقيا ادعائيا قول الفرزدق :

أنا الذائد الحامى الذمار وإنما يدافع عن أحسابهم أنا أومثلى

ويمكن أن يكون من ذلك قوله تعالى (إنما يخشى الله من عباده العلماء). فلا شك أن غيرهم يخشاه أيضا ولكن لا اعتداد به .

(٢) (والأول من غير الحقيقى تخصيص أمر بصفة دون أخري ...) أى دون صفة اخرى والمراد جنسها فيشمل مافوق الواحد ولكن بشرط أن يكون على التفصيل ليفترق الاضافى عن الحقيقي وكذا يقال فى التعريف الثانى ولا يخفى أنه لو عبر بلفظ مكان فى الأول وبلفظ دون فى الثانى أمكن تصحيح كل منهما فوضعهما فيهما هذا الوضع إنما هو مجرد اصطلاح والباء فى التعريفين داخلة على المقصور عليه لا على المقصور والأقسام التى ذكرها للقصر غير الحقيقى ستة بخلاف القصر الحقيقى فان أقسامه أربعة كما سبق ولا يجرى فيه مثل تقسيم غير الحقيقى الى قصر إفراد وقلب وتعيين لأن القصر فيه بالنسبة الى كل ماعدا المقصور عليه على الاطلاق ولا يتأتى في مثل هذا اعتقاد شركة أو خلافها وقد قيل بأن هذا التقسيم يمكن أن يجرى في القصر الحقيقي وجعل من قصر الافراد فيه القصر فى [لا إله إلا الله] فانه من قصر الصفة على الموصوف قصرا حقيقيا للرد على معتقد الشركة فى تلك الصفة بينه جل شأنه وبين غيره والحق أنه قصر إضافي بالنسبة الى المعبودات الباطلة لا إلى كل ماعدا الله تعالى لأن المعول عليه فى قصر الافراد والقلب والتعيين حال المخاطب.

مكان أخرى والثانى منه تخصيص صفة بأمر دون آخر أو مكان آخر

والمخاطبون بذلك لا يعتقدون إلا شركة أوثانهم وأصنامهم .

وأما القصر الادعائى الذى يجرى فى القصر الحقيقى على ما سبق فقد قال الفنارى إنه لا مانع عقلا من جريانه فى القصر الاضافى ولكنه لم يقع فى كلام البلغاء فاذا كنت ترى جود حاتم ولا ترى شعره وعندك من يراه شاعرا جوادا فقلت له ماحاتم إلا جواد كان هذا قصر موصوف على صفة قصرا إضافيا ادعائيا وإذا قلت ماالشاعر إلا الفرزدق فى تفضيل الفرزدق على جرير عند من يرى تفضيل جرير على الفرزدق كان هذا قصر صفة على موصوف قصرا إضافيا ادعائيا ويمكن أن يكون من ذلك قول الشاعر :

هل الجود إلا أن تجود بأنفس　　على كل ماضى الشفرتين صقيل

إذا كان يريد قصر الجود مبالغة على الجود بالنفس لا الجود بالمال لمن يعتقد خلاف ذلك ولا مانع من حمل كثير من كلام البلغاء على نحو هذا فلا يصح ما ادعاه الفنارى من عدم وقوعه فى كلامهم ، ومن ذلك هذه الأبيات :

ماالدهر عندك إلا روضة أنف　　يامن شمائله فى دهره زهر

بك اجتمع الملك المبدد شمله　　وضمت قواص منه بعد قواصى

سيذكرني قومى إذا جد جدهم　　وفى الليلة الظلماء يفتقد البدر

والفرق بين كل من القصر التحقيقى والادعائى فى كل من القصر الحقيقى والاضافى يعلم من النظر فى هذا المثال [مافى الدار إلا زيد] فاذا أردت لا غيره ولم يكن فيها أحد غيره فهو قصر حقيقى تحقيقي واذا كان فيها غيره ونزل منزلة العدم فهو قصر حقيقى ادعائى واذا أردت لا عمرو وكان فيها بكر وخالد فهو قصر إضافى ولكنك قد تجعل عمرا الذى أضيف اليه القصر بمنزلة العدم فيكون قصرا إضافيا ادعائيا فاذا لم تجعله بمنزلة العدم فهو قصر إضافى تحقيقى .

فكل واحد منها ضربان والمخاطب بالأول من ضربي كل أعنى تخصيص أمر بصفة دون أخرى وتخصيص صفة بأمر دون آخر[١] من يعتقد الشركة أي اتصاف ذلك الأمر بتلك الصفة وغيرها جميعا فى الأول واتصاف ذلك الأمر وغيره جميعا بتلك الصفة فى الثانى فالمخاطب بقولنا ما زيد إلا كاتب من يعتقد أن زيدا كاتب وشاعر وبقولنا ما شاعر إلا زيد من يعتقد أن زيدا شاعر لكن يدعى أن عمرا أيضا شاعر وهذا يسمى قصر إفراد لقطعه الشركة بين الصفتين فى الثبوت للموصوف أو بين الموصوف وغيره فى الاتصاف بالصفة ، والمخاطب بالثانى من ضربى كل أعنى تخصيص أمر بصفة مكان أخرى وتخصيص صفة بأمر مكان آخر إما من يعتقد العكس أى اتصاف ذلك الأمر بغير تلك الصفة عوضا عنها فى الأول واتصاف غير ذلك الأمر بتلك الصفة عوضا عنه في الثاني وهذا يسمى قصر القلب لقلبه حكم السامع وإما من تساوى الأمران عنده أى اتصاف ذلك الأمر بتلك الصفة واتصافه بغيرها في الأول واتصافه بها واتصاف غيره بها فى الثاني وهذا يسمى قصر تعيين فالمخاطب بقولنا ما زيد إلا قائم من يعتقد أن زيدا قاعد لا قائم أو يعلم أنه إما قاعد أو قائم ولا يعلم أنه بماذا يتصف منهما بعينه وبقولنا ما قائم إلا زيد من يعتقد أن عمرا قائم لا زيدا أو يعلم أن القائم أحدهما دون كل واحد منهما لكن لا يعلم من هو منهما بعينه .

وشرط قصر الموصوف على الصفة إفرادا عدم تنافى الصفتين حتى تكون المنفية فى قولنا ما زيد إلا شاعر كونه كاتبا أو منجما أو نحو ذلك

(١) (من يعتقد الشركة) مثل الاعتقاد هنا وفيما يأتى ظن الشركة أو العكس وتجويزهما مطلقا لأن كل هذا يقابل التساوى في قصر التعيين .

لا كونه مفحما لا يقول الشعر ليتصور اعتقاد المخاطب اجتماعهما وشرط قصره قلبا تحقق تنافيهما حتى تكون المنفية فى قولنا ما زيد إلا قائم كونه قاعدا أو جالسا أو نحو ذلك لا كونه أسود أو أبيض أو نحو ذلك (١) ليكون إثباتها مشعرا بانتفاء غيرها وقصر التعيين أعم لأن اعتقاد كون الشيء موصوفا بأحد أمرين معينين على الاطلاق لا يقتضي جواز اتصافه بهما معا ولا امتناعه وبهذا علم أن كل ما يصلح أن يكون مثالا لقصر الأفراد أو قصر القلب يصلح أن يكون مثالا لقصر التعيين (٢) من غير عكس وقد أهمل السكاكى القصر الحقيقى (٣) وأدخل قصر التعيين فى قصر الافراد(٤) فلم يشترط فى قصر الموصوف إفرادا عدم تنافى الصفتين ولا فى قصره قلبا تحقق تنافيهما .

---

(١) (ليكون إثباتها مشعرا بانتفاء غيرها) وفائدة القصر مع هذا التنبيه على رد الخطأ وأن المخاطب اعتقد العكس فان قولنا زيد قائم وإن دل على نفي القعود لا يستفاد منه هذا التنبيه كما يستفاد من قولنا (انما زيد قائم) واستفادته منه بالذوق لا من جوهر اللفظ .

(٢) (من غير عكس) أى لغوى على ماسبق نظيره .

(٣) (وأدخل قصر التعيين فى قصر الافراد) قد قسم السكاكى القصر الى قسمين : قصر قلب لمن يعتقد العكس وقصر إفراد لمن يعتقد الشركة ومن لا يعتقد شيئا فأدرج مايسميه الخطيب قصر تعيين فى قصر الافراد ولم يسمه قصر تعيين وهى اصطلاحات لا مشاحة فيها وقد انتصر السعد التفتازانى للسكاكى بأن الذي في قصر التعيين تخصيص شيء بشيء دون آخر لا مكان آخر وقد عرفت أنه يمكن تصحيح كل من اللفظين فى التعريفين فلا معنى لاعتراضه علي الخطيب بذلك لأنه كما سبق مجرد اصطلاح لا مشاحة فيه أيضا .

(٤) (فلم يشترط فى قصر الموصوف إفرادا . . .) أما أنه لم يشترط

عدم تنافى الصفتين فى قصر الافراد فلدخول قصر التعيين عنده فيه فهو متفرع حقيقة على ماذهب فيه اليه وأما أنه لم يشترط فى قصر القلب تحقق تنافى الصفتين فلا وجه لتفرعه على ذلك لأنه لاخلاف بين السكاكى والخطيب فى حقيقته وإنما لم يشترط السكاكى ذلك فيه لأنه قد يأتى فى نحو قولك مازيد إلا شاعر لمن اعتقد أنه كاتب لاشاعر مع أنه لا تنافى بين الشعر والكتابة وماذكره الخطيب فى توجيه ذلك من أنه عند تنافى الصفتين يكون إثبات إحداهما مشعراً بانتفاء الأخرى مردود بأن أداة القصر مشعرة بهذا من غير حاجة إلى ذلك التنافى .

ولا يفوتنا بعد انتهاء الكلام فى أقسام القصر أن نذكر أن تقسيمه إلى حقيقى وإضافى ينظر فيه الى الواقع من جهة مراعاة ماعدا المقصور عليه علي الاطلاق أو التعيين ، وأن تقسيمه إلى قصر موصوف على صفة وصفة على موصوف ينظر فيه الى المقصور ويمكنك أن تقول إنه ينظر فيه الى المقصور والمقصور عليه معا ، وأن تقسيمه الى قصر إفراد وقصر قلب وقصر تعيين ينظر فيه الى حال المخاطب به لأنه يقصد من ذلك الرد عليه .

ومن هذا يمكنك أن تأخذ الداعى الي القصر في الأقسام الثلاثة الأخيرة وهو الرد على المخاطب فى قصر الافراد وقصر القلب وتعيين المبهم عند المخاطب فى قصر التعيين وسيأتي أن القصر فى ذلك قد يكون المقصود منه مجاراة الخصم لا الرد عليه كما فى قوله تعالى (قالت لهم رسلهم إن نحن إلا بشر مثلكم) وقد يكون المقصود منه التعريض نحو قوله تعالى (إنما يتذكر أولوا الألباب) .

(١) (وللقصر طرق منها العطف) ومنها أيضاضمير الفصل وتعريف المسند أو المسند اليه بأل الجنسية علي ماسبق ، والعطف أقوى هذه الطرق

(١) كقولك فى قصر الموصوف على الصفة إفرادا زيد شاعر لا كاتب

للتصريح فيه بالاثبات والنفى ويليه النفى والاستثناء ثم إنما ثم التقديم لأن دلالته على القصر ذوقية لا وضعية كالثلاثة قبله وسيأتى الكلام فى هذا .

وقد ذكر من أدوات العطف المفيدة للقصر لا وبل ومثلهما لكن نحو ما الشاعر أبو تمام والمتنبي لكن البحترى وقد تكون لكن للاستدراك لا للعطف مثل قول الشاعر :

إن ابن ورقاء لا تخشى بوادره   لكن وقائعه فى الحرب تنتظر

لأنها لا تعطف جملة على جملة وكذلك بل قد تكون للاضراب لا للعطف ولكنهما كما قال ابن يعقوب يحملان فى إفادة القصر على بل ولكن العاطفتين لافادتهما معنى العطف أيضا وقد قال بمثل هذا السبكى في بل على أن من النحويين من يجوز العطف بهما فى الجمل .

(١) (كقولك فى قصر الموصوف على الصفة إفرادا . . .) لما كان كل ما يصلح مثالا لقصر الافراد أو قصر القلب يصلح أن يكون مثالا لقصر التعيين على ماسبق استغنى هنا عن ذكر مثال له وكذا فيما يأتى من طرق القصر وقد زعم عبد الحكيم أن قصر التعيين لا يؤدى بطريق العطف وذكر عبد القاهر أن لا العاطفة لا تنفي عن الثانى أن يكون قد شارك الأول فى الفعل بل تنفى عنه أنه قد كان منه دون الأول كما فى جاءنى زيد لا عمرو فهى عنده لقصر القلب لا لقصر الافراد ولا وجه له فى هذا أيضا وقد قيل مثل ذلك فى لكن والحق أن الحروف الثلاثة تأتي لأنواع القصر الثلاثة وأنها تأتى في القصر الحقيقى أيضا كما تقول محمد خاتم الأنبياء لا غيره .

(١) أو ما زيد كاتبا بل شاعر (٢) وقلبا زيد قائم لا قاعد وما زيد قاعدا بل قائم وفى قصر الصفة على الموصوف إفرادا أو قلبا بحسب المقام زيد قائم لا عمرو أوما عمرو قائما بل زيد .

---

(١) (أو مازيد كاتبا بل شاعر) إنما ذكر بل بعد النفى لأنها بعد الاثبات تجعل ما قبلها فى حكم المسكوت عنه فقط فلا تفيد فيه القصر وقد ذهب بعض النحاة الي أنها كذلك بعد النفى .

(٢) (وقلبا زيد قائم لاقاعد) جرى فى هذا على مذهبه من اشتراط التنافى بين الصفتين فى قصر القلب فلا يمكن اجتماعه مع قصر الافراد فى مثال واحد لأنه يشترط فيه عدم تنافيهما وقد عرفت أنه لايشترط ذلك فى قصر القلب فيصح اجتماع قصر الموصوف على الصفة إفرادا وقلبا فى المثال الأول بحسب المقام كما صح اجتماعهما فى المثال الآتى لقصر الصفة على الموصوف لأنه لا يشترط فى قصر الافراد فيه اتفاقا عدم تنافى الاتصافين فلا يتنافى مع قصر القلب فى شىء ويصح اجتماعهما فى مثال واحد نعم قد يكون الوصف مما لايصح قيامه بمحلين فلا يتأتي فيه قصر الافراد لتنافي الاتصافين نحو أبو زيد عمرو لا بكر ولكن تنافي الاتصافين في قصر الصفة نادر والكثير عدم تنافيهما .

ولا يخفى أن فائدة الايجاز في القصر تتضاءل فى القصر بالعطف للتصريح فيه بالاثبات والنفي فبلاغة القصر فيه أقل منها فى غيره وإن كانت فائدة التأكيد فيه أقوى كما سبق ، وهذه أبيات من الشعر فى القصر بالعطف :

ما افترقنا فى مديحه بل وصفنا بعض أخلاقه وذلك يكفى
ليس اليتيم الذى قد مات والده بل اليتيم يتيم العلم والأدب
وماشاب رأسى من سنين تتابعت على ولكن شيبتنى الوقائع
إن الجديدين فى طول اختلافهما لا يفسدان ولكن يفسد الناس

(١) ومنها النفي والاستثناء كقولك في قصر الموصوف على الصفة إفرادا ما زيد إلا شاعر وقلبا ما زيد إلا قائم وتعيينا كقوله تعالى (وما أنزل الرحمن من شيء إن أنتم إلا تكذبون) (٢) أي لستم في دعواكم الرسالة عندنا بين الصدق والكذب كما يكون ظاهر حال المدعي اذا ادعى بل أنتم عندنا كاذبون فيها(٣) وفي قصر الصفة على الموصوف بالاعتبارين ما قائم أو

---

(١) (ومنها النفي والاستثناء) المراد النفي بأي أداة من أدواته وكذا الاستثناء وإنما قدم النفي على الاستثناء لأن الاستثناء من الاثبات ليس بقصر نحو قام القوم إلا زيدا وقد ذهب السبكي الى أنه قصر أيضا إذ قصر في هذا المثال عدم القيام على زيد وقيل إنه ليس بقصر وإنما هو قيد مصحح للحكم فكأنك قلت جاء القوم المغايرون لزيد كما تقول جاء القوم الصالحون بخلاف قولك ما جاءني إلا زيد فان الغرض منه النفي ثم الاثبات المحققان للقصر وليس الغرض منه تحصيل الحكم فقط وإلا كان يكفي فيه جاءني زيد ولهذا يستعمل النفي والاستثناء عند الانكار دون الاثبات ثم الاستثناء وقد يكون ما ذهب اليه السبكي هو الأرجح .

(٢) (أي لستم في دعواكم الرسالة عندنا بين الصدق والكذب ...) هذا لا يصح إلا بتنزيل المشركين الرسل منزلة المترددين مبالغة في إنكارهم لدعواهم وإعراضهم عن النظر فيها ولكن الظاهر أن القصر في الآية من قصر القلب لا من قصر التعيين .

(٣) (وفي قصر الصفة على الموصوف بالاعتبارين ...) كان يمكنه أيضا أن يكتفي بمثال واحد لقصري الافراد والقلب في قصر الموصوف على الصفة حتى على مذهبه في اشتراط التنافي في قصر القلب لأن النفي هنا غير مصرح به كالعطف فيجوز أن يقال ما زيد إلا شاعر أي لا كاتب فيكون قصر إفراد على مذهبه أولا مفحم فيكون قصر قلب وكذا يقال في إنما وفي التقديم الآتيين .

ما من قائم أو لا قائم إلا زيد ، (١) وتحقيق وجه القصر فى الأول أنه متى قيل ما زيد توجه النفى الى صفته لا ذاته لأن أنفس الذوات يمتنع نفيها وإنما تنفى صفاتها كما بين ذلك فى غير هذا العلم وحيث لا نزاع فى طوله وقصره وما شاكل ذلك وإنما النزاع فى كونه شاعرا أو كاتبا تناولهما النفى (٢) فاذا قيل إلا شاعر جاء القصر ، وفى الثانى أنه متى قيل ما شاعر فأدخل النفى على الوصف المسلم ثبوته أعنى الشعر لغير من الكلام فيهما كزيد وعمرو مثلا توجه النفى اليهما فاذا قيل إلا زيد جاء القصر .

ومنها إنما كقولك (٣) فى قصر الموصوف على الصفة إفرادا إنما زيد كاتب وقلبا إنما زيد قائم وفي قصر الصفة على الموصوف بالاعتبارين إنما قائم زيد

---

(١) (وتحقيق وجه القصر فى الأول ...) أى قصر الموصوف على الصفة والثانى فيما يأتى هو قصر الصفة على الموصوف .

(٢) (فاذا قيل إلا شاعر جاء القصر) لتحقق الاثبات والنفى المحققان للقصر وكذا يقال فيما يأتي .

وهذه أبيات من الشعر فى القصر بالنفى والاستثناء :

وما الخوف إلا ما تخوفه الفتى ... ولا الأمن إلا ما رآه الفتى أمنا

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم ... بهن فلول من قراع الكتائب

خلا الله لا أرجو سواك وإنما ... أعد عيالى شعبة من عيالكا

(٣) (كقولك فى قصر الموصوف على الصفة إفرادا إنما زيد كاتب) قد ذهب عبد القاهر الى أن إنما مثل لا العاطفة لا يستعملان فى الكلام البليغ المعتد به إلا فى قصر القلب وقد عرفت أن الحق خلاف مذهبه ومما جاءت فيه إنما لقصر الافراد قوله تعالى (إنما الصدقات للفقراء . الآية) إذ ليس هناك من لا يرى الصدقة للمذكورين فيها حتى يكون القصر فيها قصر قلب .

والدليل على أنها تفيد القصر (١) كونها متضمنة معنى ما وإلا (٢) لقول المفسرين في قوله تعالى (إنما حرم عليكم الميتة والدم) بالنصب معناه ما حرم عليكم إلا الميتة (٣) وهو المطابق لقراءة الرفع لما مر في باب المنطلق زيد ولقول النحاة إنما لاثبات ما يذكر بعدها ونفي ما سواه (٤) ولصحة انفصال الضمير معها كقولك إنما يضرب أنا كما تقول ما يضرب إلا أنا .

(١) (كونها متضمنة معنى ما وإلا) ومعناهما الاثبات والنفي وقد أشار بلفظ التضمن الى أن إنما لا ترادف ما وإلا لأن الفرق واضح بين أن يكون في الشيء معنى الشيء وأن يكون الشيء الشيء كما هو معنى الترادف وإنما لم يكونا مترادفين لما سيأتي من الفرق بينهما على أن من شرط الترادف أيضا أن يتحد اللفظان إفرادا وتركيبا ولفظ إنما مفرد ولفظ ما وإلا مركب

ثم إن هـذا الدليل يوجب أن تكون أنما بالفتح للقصر أيضا وقد اجتمعا في قوله تعالى (قل إنما أوحى الي أنما إلهكم إله واحد) فالأولى لقصر الصفة على الموصوف والثانية بالعكس والمعنى ما أوحي الي إلا التوحيد أي لا الشرك وقد قيل إن المفتوحة ليست للقصر .

(٢) (لقول المفسرين) المراد بهم من يحتج بقولهم في اللغة مثل ابن عباس وابن مسعود ومجاهد وغيرهم من أكابر الصحابة والتابعين .

(٣) (وهو المطابق لقراءة الرفع . . .) أي مع بناء حرم للفاعل لأن ما تتعين حينئذ أن تكون موصولة على معنى إن الذي حرمه الله عليكم الميتة وهي جملة معرفة الطرفين فتفيد القصر مثل المنطلق زيد وهناك قراءة بالرفع ليست مرادة له وهي التي مع بناء حرم للمفعول لأن إنما فيه يصح أن تكون ما فيها كافة ويصح أن تكون موصولة فلا يتم بها الدليل الذي يريده .

(٤) (ولصحة انفصال الضمير معه) هذا صحيح في إطلاقه وقد ذهب ابن مالك إلي وجوب فصل الضمير مع إنما وخالفه أبو حيان في ذلك لقوله

(١) قال الفرزدق .

أنا الذائد الحامى الذمار وإنما يدافع عن أحسابهم أنا أو مثلى

وقال عمرو بن معد يكرب :

تعالي (إنما أشكو بثى وحزنى الي الله) والحق أن الضمير اذا كان محصورا فيه وجب تأخيره وفصله فاذا لم يكن محصورا فيه أتى به متصلا كما فى الآية لأن الجار والمجرور فيها هو المحصور فيه لا الضمير .

(١) (أنا الذائد الحامى الذمار وإنما . البيت) االذائد من الذود وهو الطرد ، والذمار فى اللغة العهد وفى العرف مايلام الانسان على عدم حمايته من حماه وحريمه مأخوذ من الذمر وهو الحث لأن ماتجب حمايته كانوا يتذامرون أى يحث بعضهم بعضا على حمايته ، والواو فى (وإنما) للعطف أو للاستئناف البياني لأن الجملة الأولي تفيد قصر المدافعة عليه لأنها معرفة الطرفين والجملة الثانية تذييل لها يقصد منه بيان العلة فى قصر المدافعة والمحاماة عليه فى الجملة الأولي ، والأحساب جمع حسب وهو مايعده المرء من مفاخر نفسه وآبائه والمراد أنه لا يدافع عن أحسابهم إلا هو فلهذا فصل الضمير لأنه هو المحصور فيه وقد قيل إن فصل الضمير هنا لضرورة الشعر كما نقل عن سيبويه أنه لا يجوز فصل الضمير بعد إنما إلا فى الشعر فعلى هذا لا يصح الاحتجاج بالبيت فيما احتج به عليه وقد حاول بعضهم أن ينفي الضرورة فيه بأنه كان يمكن أن يقال (وانما أدافع عن أحسابهم أنا أو مثلى) فيستقيم الوزن أيضا وهى محاولة مبنية على أن الضرورة الشعرية هى مالا مندوحة للشاعر عنه والحق أنها ماوقع فى الشعر مطلقا ولو كان للشاعر مندوحة عنه على أن المعنى لا يستقيم على هذا وإن استقام عليه الوزن لأنه يقصد كما سبق أن يقصر المدافعة عن أحسابهم عليه لا أن يقصر مدافعته على أحسابهم إذ ليس فى هذا كبير فخر له .

(١) قد علمت سلمى وجاراتها ماقطر الفارس إلا أنا

قال السكاكى ويذكر لذلك وجه لطيف يسند الى على بن عيسى الربعي وهو أنه لما كانت كلمة إن لتأكيد إثبات المسند للمسند اليه ثم اتصلت بها ماالمؤكدة لاالنافية كما يظنه من لاوقوف له على علم النحو (١) ناسب أن يضمن معنى القصر لأن القصر ليس إلا تأكيدا على تأكيد فان قولك زيد جاء لا عمرو لمن يردد المجيء الواقع بينهما يفيد إثباته لزيد فى الابتداء صريحا وفى الآخر ضمنا .

(٢) ومنها التقديم كقولك فى قصر الموصوف على الصفة إفرادا

---

(١) (قد علمت سلمى وجاراتها . البيت) قطر مضعف قطر كنصر بمعنى صرعه صرعة شديدة .

(٢) (ناسب أن يضمن معنى القصر) قد رد هذا السبكى بأنه لو كان اجتماع تأكيدين مفيدا للقصر لكان قولك إن زيد القائم يفيد الحصر وكذلك التأكيد اللفظى والمعنوى لأن كلا منهما يتكرر ولا قصر .

وهذه أبيات من الشعر فى إفادة إنما القصر :

وإنما المرء حديث بعده فكن حديثا حسنا لمن وعى
ليس عار بأن يقال فقير وإنما العار أن يقال بخيل
ومالامريء طول الخلود وإنما يخلده طول الثناء فيخلد

(٣) (ومنها التقديم) هو ثلاثة أقسام أولها تقديم المسند اليه على ماسبق فى بابه نحو قول الشاعر :

لسنا وإن أحسابنا كرمت يوما على الأحساب نتكل

وثانيها تقديم المسند على ماسبق فى بابه كقول الشاعر :

لنا الدنيا ومن أضحي عليها ونبطش حين نبطش قادرينا

وثالثها تقديم قيد من القيود على ماسبق أيضا كقول الشاعر :

(١) شاعر هو لمن يعتقده شاعرا أو كاتبا وقلبا قائم هو لمن يعتقده قاعدا وفي قصر الصفة على الموصوف إفرادا أنا كفيت مهمك بمعنى وحدى لمن يعتقد أنك وغيرك كفيتما مهمه وقلبا أنا كفيت مهمك بمعنى لا غيرى لمن يعتقد أن غيرك كفى مهمه دونك كما تقدم .

(٢) وهذه الطرق تختلف من وجوه (٣) الأول أن دلالة الثلاثة الأولى بالوضع دون الرابع ، الثاني أن الأصل في الأول أن يدل على المثبت والمنفى

الى الله أشكو لا إلى الناس إنني أرى الأرض تبقى والأخلاء تذهب

وأما تقديم بعض معمولاته على بعض فقد سبق الخلاف في إفادته القصر بين الجمهور وابن الأثير .

(١) (شاعر هو) هذا من تقديم الخبر على المبتدإ وإنما يفيد تقديمه القصر اذا كان المبتدأ معرفة كما في هذا المثال بخلاف المبتدأ النكرة نحو في الدار رجل .

(٢) (وهذه الطرق تختلف من وجوه) أهم هذه الوجوه الوجه الرابع لأنه أشدها صلة بهذا الفن أما الثلاثة الأولى فان صلتها بالنحو أشد من صلتها بهذا الفن .

(٣) (الأول أن دلالة الثلاثة الأولى . . .) أى على القصر فدلالتها عليه بالوضع أما الرابع فدلالته عليه بالذوق وذلك في سر التقديم حتى يفهم بالقرائن الحالية أنه للاختصاص ونفى الحكم عن غير المذكور ولا تنافى بين دلالة الثلاثة الأولى على القصر بالوضع والبحث عنها في هذا العلم لأنه لا يبحث عنها فيه من جهة دلالتها على القصر وإنما يبحث فيه عن أحوال القصر السابقة وعن المقامات التى تتطلبها وهذه الأحوال إنما تستفاد من هذه الأدوات بمعونة المقام وهى المقصودة من هذا الفن دون ما استفيد منها بمجرد الوضع .

جميعا بالنص فلا يترك ذلك إلا كراهة الاطناب فى مقام الاختصار كما اذا قيل زيد يعلم النحو والتصريف والعروض والقوافى أو زيد يعلم النحو وعمرو وبكر وخالد فتقول فيهما زيد يعلم النحو(١) لاغير وفى معناه ليس إلا أي لاغير النحو ولاغير زيد(٢) وأما الثلاثة الباقية فتدل بالنص على المثبت دون المنفى ، (٣)الثالث أن النفي لايجامع الثاني لأن شرط المنفى

---

(١) (لاغير) بالبناء على الضم وقيل إنها لاتستعمل كذلك إلا بعد ليس وهو مردود بقول الشاعر :

جوابا به تنجو اعتمد فوربنا لعن عمل أسلفت لا غير تسأل

وقد ذكر بعض النحاة أن لا فى (لاغير) لنفى الجنس لا للعطف فتكون غير فى محل نصب اسم لا وخبرها محذوف أى لاغيره معلوم أو عالم فى المثالين وهى مع هذا للقصر حملا لها على لا العاطفة كما سبق فى لكن وبل والقصر هنا مركب من جملتين أيضا .

(٢) (وأما الثلاثة الباقية فتدل بالنص على المثبت دون المنفى) هذا هو الأصل فيها أيضا وقد تجىء على خلاف الأصل فيقال فى التقديم ما أنا قلت هذا بالنص على المنفى دون المثبت ويقال فى الاستثناء ما قام القوم إلا زيدا بالنص على المثبت والمنفي معا وإنما كان هذا من خلاف الأصل لأن الاستثناء المفرغ هو الأصل فى القصر .

(٣) (الثالث أن النفى لايجامع الثانى) يريد النفى بلا كما يؤخذ مما ذكره فى توجيهه له فلا يقال مازيد إلا قائم لاقاعد وقد جاء ذلك فى كلام المولدين كقول الحريرى .

لعمرك ما الانسان إلا ابن يومه على ما تجلى يومه لا ابن أمسه

أما النفى بغير لا فيجامعه فتقول مازيد إلا قائم ليس بقاعد وهكذا

بلا أن لا يكون منفيا قبلها (١) بغيرها ويجامع الأخيرين فيقال إنما زيد كاتب لا شاعر وهو يأتيني لا عمرو ولأن النفي فيهما غير مصرح به كما يقال امتنع زيد عن المجيء لا عمرو، قال السكاكي (٢) شرط مجامعته للثالث أن لا يكون الوصف مختصا بالموصوف كقوله تعالى (إنما يستجيب الذين يسمعون) فان كل عاقل يعلم أن الاستجابة لا تكون إلا ممن يسمع وكذا قولهم إنما يعجل من يخشى الفوت، وقال الشيخ عبد القاهر لا تحسن مجامعته له في المختص كما تحسن في غير المختص (٣) وهذا أقرب، قيل ومجامعته له إما مع التقديم كقوله تعالى (إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر) وإما مع التأخير كقولك ما جاءني زيد وإنما جاءني عمرو (٤) وفي كون نحو هذين مما نحن فيه نظر، الرابع أن أصل الثاني أن يكون ما استعمل له (٥) مما يجهله المخاطب

ولا يعقل لهذه التفرقة وجه إلا أن تكون سماعية.

(١) (بغيرها) أي من أدوات النفي والطريق الثاني يصرح فيه بأداة النفي وإن لم يصرح فيه بالمنفي بخلاف الطريقين الأخيرين.

(٢) (شرط مجامعته الثالث ألا يكون الوصف . . .) أي في نفسه وإن كان مختصا بالموصوف بحسب المقام الذي اقتضى قصره عليه وأما قوله تعالى (إنما يستجيب الذين يسمعون) فالمراد بهم المؤمنون ولا شك أن الاستجابة ممكنة من غيرهم فلهذا صح قصرها عليهم.

(٣) (وهذا أقرب) إذ لا دليل على امتناع ذلك عند قصد زيادة التحقيق والتأكيد على أن السكاكي هنا يناقض ما سبق له من منع التخصيص في نحو قولهم شر أهر ذا ناب.

(٤) (وفي كون نحو هذين مما نحن فيه نظر) لأن النفي فيهما بغير لا.

(٥) (مما يجهله المخاطب وينكره) قال عبد القاهر أو يشك فيه فيشمل ذلك قصر القلب وقصر الافراد وقصر التعيين وإنكار المخاطب ظاهر في قصر القلب وكذلك قصر الافراد لأنه يستعمل لنفي الشركة والمخاطب

وينكره كقولك لصاحبك وقد رأيت شبحا من بعيد ما هو إلا زيد اذا وجدته يعتقده غير زيد ويصر على الانكار وعليه قوله تعالى (وما من إله إلا الله) وقد ينزل المعلوم منزلة المجهول لاعتبار مناسب فيستعمل له الثاني إفرادا نحو (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل) [١] أى إنه صلى الله عليه وسلم مقصور على الرسالة لا يتعداها الى التبرى من الهلاك نزل استعظامهم هلاكه منزلة إنكارهم إياه ونحوه (وما أنت بمسمع من فى القبور إن أنت إلا نذير) فانه صلى الله عليه وسلم كان لشدة حرصه على هداية الناس يكرر دعوة الممتنعين عن الايمان ولا يرجع عنها فكان فى معرض من ظن أنه يملك مع صفة الانذار إيجاد الشىء فيما يمتنع قبوله إياه ، أو قلبا كقوله تعالى حكاية عن بعض الكفار [٢] (إن أنتم إلا بشر مثلنا) أى أنتم

يعتقدها فهو ينكره أيضا .

(١) (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل) وقيل إنه قصر قلب بأن يكون محط القصر الجملة الواقعة بعد المستثنى لأنها صفة له والمعنى أنه رسول يخلو كما خلت من قبله الرسل لا رسول لا يخلو كما هو مقتضى استعظامهم هلاكه والاعتبار المناسب فى الآية هو الاشعار بعظم هذا الأمر فى نفوسهم وشدة حرصهم على بقائه عندهم ولا يخفى أن بعضهم أنكر وفاته حقيقة وقال إنه ذهب لمناجاة ربه كموسى عليه السلام ولكن الكلام فى الآية يراد منه العموم لا خصوص من ذهب فى وفاته هذا المذهب.

(٢) (إن أنتم إلا بشر مثلنا) وهذا فى قوله تعالى (قالوا إن أنتم إلا بشر مثلنا تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا فأتونا بسلطان مبين قالت لهم رسلهم إن نحن إلا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده . . .) وقيل إنه يمكن أن يكون قول الكفار ليس من قبيل تنزيل المعلوم منزلة المجهول بجعله من قصر الافراد على معنى أن الرسل لم تجتمع لهم البشرية والرسالة كما يدعون فى زعمهم أو من قصر القلب على معنى

بشر لا رسل نزلوا المخاطبين منزلة من ينكر أنه بشر (١) لاعتقاد القائلين أن الرسول لا يكون بشرا مع إصرار المخاطبين على دعوى الرسالة وأما قوله تعالى حكاية عن الرسل (إن نحن إلا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده) (٢) فمن مجاراة الخصم للتبكيت والالزام والافحام فان من عادة من ادعى عليه خصمه الخلاف فى أمر هو لا يخالف فيه أن يعيد كلامه على وجهه كما اذا قال لك من يناظرك أنت من شأنك كيت وكيت فتقول نعم أنا من شأني كيت وكيت ولكن لا يلزمني من أجل ذلك

ماأنتم إلا بشر مثلنا لا بشر أعلى منا بالرسالة .

(١) (لاعتقاد القائلين أن الرسول لا يكون بشرا . . .) هذا هو الاعتبار المناسب فى الآية لتنزيل المعلوم فيها عندهم منزلة المجهول فصفة الرسالة تنافى عندهم صفة البشرية فيتعين أن يكون القصر فى كلامهم على هذا قصر قلب وقد روعى فيه حال المتكلم مع المخاطب على خلاف الأصل فى القصر من مراعاة حال المخاطب فقط على ماسبق فى تقسيم القصر .

(٢)(فمن مجاراة الخصم . . .) مجاراة الخصم تكون بوجهين : أحدهما الاعتراف بمقدمة فاسدة على سبيل المجاراة ليرتب عليها مايخالف مقصود الخصم وثانيهما الاعتراف بمقدمة صحيحة ليبين أنها لا تستلزم مقصوده كالبشرية هنا فمقصود الرسل حكاية كلامهم على صورته من غير أن يريدوا منه مايريدونه من قصرهم على البشرية دون الرسالة فهو قصر صورى فقط يقصد منه المشاكلة اللفظية لتكون أقوى فى المجاراة ولا يريد منه الرسل إلا أصل الاثبات على سبيل التجريد ، وقيل إنهم يريدون حقيقة القصر لأن الكفار يريدون من قصرهم ما أنتم إلا بشر لا ملائكة فجاراهم الرسل بتسليم أنهم كذلك ويكون القصد من القصر هذه المجاراة لا الرد عليهم لأنهم لا ينكرون بشرية الرسل بل هى أمر مسلم عندهم .

ما ظننت أنه يلزم فالرسل عليهم السلام كأنهم قالوا إن ماقلتم من أنا بشر مثلكم هو كما قلتم لا ننكره ولكن ذلك لا يمنع أن يكون الله تعالى قد من علينا بالرسالة ، وأصل (١) الثالث أن يكون ما استعمل له مما يعلمه المخاطب ولا ينكره على عكس الثاني كقولك انما هو أخوك وانما هو

---

(١) (وأصل الثالث أن يكون ما استعمل له مما يعلمه المخاطب ...)
قال عبد القاهر فى هذا : إعلم أن موضوع إنما على أن تجيء لخبر لا يجهله المخاطب ولا يدفع صحته أو لما ينزل هذه المنزلة ، وهذا هو ماجرى عليه الخطيب فيه وقد ذكر عبد القاهر بعد هذا أنها قد تأتى فى كثير من الكلام والقصد بالخبر بعدها أن تعلم السامع أمرا قد غلط فيه بالحقيقة واحتاج الى معرفته ولكن لابد مع ذلك من أن يدعى هناك فضل انكشاف وظهور فى أن الأمر كالذى ذكروهذا كما قال هو الشق الثانى مما ذكره فيما سبق فاذا جاءت لخبر لا يجهله المخاطب لايكون القصد بها إفادته وإنما يقصد بها التعريض بمقتضى الكلام بعدها كما سيأتى وإذا جاءت لخبر يجهله ولكن يدعى فيه فضل انكشاف يكون القصد منها الرد على المخاطب كغيرها من أدوات القصر وقد يقصد بها التعريض أيضا ولا خلاف فى هذا كله بين عبدالقاهر وغيره كما توهمه بعضهم إذ زعم أنها عنده لا يقصد منها إلا التعريض ولا تكون للرد على المخاطب ، وقد قال السكاكى فى ذلك أيضا : وطريق إنما يسلك مع مخاطب فى مقام لا يصر على خطئه أو يجب عليه ألا يصر على خطئه - إلى أن قال - والأصل فى إنما أن تستعمل فى حكم لا يعوزك تحقيقه إما لأنه فى نفس الأمر جلى أو لأنك تدعيه جليا ، وهذا قريب مما ذكره عبدالقاهر والخطيب ولكن ظاهره يفيد أنه لا بد من جهل المخاطب بما تدخل إنما عليه وإن كان فى نفسه جليا أو مدعي أنه جلي .

صاحبك القديم (١) لمن يعلم ذلك ويقربه وتريد أن ترققه عليه وتنبهه لما يجب عليه من حق الأخ وحرمة الصاحب وعليه قول أبي الطيب .

(٢) إنما أنت والد والأب القا طع أحنى من واصل الأولاد

لم يرد أن يعلم كافورا أنه بمنزلة الوالد ولا ذاك مما يحتاج كافور فيه الى الاعلام ولكنه أراد أن يذكره منه بالأمر المعلوم ليبنى عليه استدعاء ما يوجبه وقد ينزل المجهول منزلة المعلوم لادعاء المتكلم ظهوره فيستعمل له الثالث نحو (إنما نحن مصلحون) ادعوا أن كونهم مصلحين ظاهر جلى ولذلك جاء (ألا إنهم هم المفسدون) للرد عليهم مؤكدا بما ترى من جعل الجملة اسميه وتعريف الخبر باللام وتوسيط الفصل والتصدير بحرف التنبيه ثم بان ومثله (٣) قول الشاعر :

إنما مصعب شهاب من الله تجلت عن وجهه الظلماء

ادعي أن كون مصعب كما ذكر جلى معلوم لكل أحد على عادة الشعراء اذا مدحوا أن يدعوا فى كل ما يصفون به ممدوحيهم الجلاء وأنهم قد شهروا

---

(١) (لمن يعلم ذلك ويقربه) وحينئذ يكون المقصود منه التعريض بترقيق المخاطب عليه وتكون فائدة القصر المبالغة فى الترقيق لما فيه من زيادة التأكيد .

(٢) (إنما أنت والد . . . البيت) يشفع بهذا أبو الطيب لدى كافور فى شأن بعض غلمانه ويريد أن الأب القاطع لأولاده أحنى عليهم من الأولاد الواصلين لأبيهم لأن حنو الوالد على ولده أشد من حنو الولد على والده.

(٣) (قول الشاعر : إنما مصعب . . .) هو لعبد الله بن قيس الرقيات فى مصعب بن الزبير بن العوام ، وتجلت تكشفت .

به حتى إنه لا يدفعه أحد [1] كما قال الآخر :

وتعذلنى أفناء سعد عليهم ... وما قلت إلا بالتى علمت سعد

وكما قال البحترى :

لا أدعى لأبى العلاء فضيلة ... حتى يسلمها إليه عداه

[2] واعلم أن لطريق إنما مزية على طريق العطف وهى أنه يعقل منها إثبات الفعل لشىء ونفيه عن غيره دفعة واحدة بخلاف العطف [3] وإذا استقريت وجدتها أحسن ما تكون موقعا اذا كان الغرض بها التعريض بأمر هو مقتضى معنى الكلام بعدها كما فى قوله تعالى (إنما يتذكر أولو الألباب) فانه تعريض بذم الكفار وأنهم من فرط العناد وغلبة الهوى عليهم فى حكم من ليس بذى عقل فأنتم فى طمعكم منهم أن ينظروا ويتذكروا كمن طمع فى ذلك من غير أولى الألباب وكذا قوله تعالى (إنما أنت منذر من يخشاها) وقوله تعالى (إنما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب) المعنى على أن من لم تكن له هذه الخشية فكأنه ليس له أذن تسمع وقلب

---

(١) (كما قال الآخر . وتعذلنى أفناء سعد عليهم . البيت) سعد قبيلة ، والفنء بفتح فسكون الجماعة والأفناء جمعه .

(٢) (واعلم أن لطريق إنما مزية ...) هذا يمكن أن يعد وجها خامسا من أوجه الاختلاف بين طرق القصر وهذه المزية موجودة أيضا فى التقديم وفى النفى والاستثناء .

(٣)(وإذا استقريت وجدتها ...) لأن الحكم الذى من شأنها أن تستعمل فيه يكون معلوما للمخاطب أو يكون من شأنه العلم به فلا يهمه العلم به بخلاف المعنى الآخر الملوح إليه بالتعريض لأن المخاطب جاهل به مصر على إنكاره .

يعقل فالانذار معه كلا إنذار ، قال الشيخ عبد القاهر ومثال ذلك من الشعر قوله (١) :

أنا لم أرزق محبتها إنما للعبد مارزقا

فانه تعريض بأنه قد علم أنه لا مطمع له فى وصلها فيئس من أن يكون منها إسعاف به ، وقوله (٢) .

وإنما يعذر العشاق من عشقا

يقول ينبغى للعاشق أن لا ينكر لوم من يلومه فانه لا يعلم كنه بلوى العاشق ولو كان قد ابتلى بالعشق مثله لعرف ما هو فيه فعذره ، وقوله(٣)

ما أنت بالسبب الضعيف وإنما نجح الأمور بقوة الأسباب
فاليوم حاجتنا اليك وإنما يدعى الطبيب لساعة الأوصاب

يقول فى البيت الأول إنه ينبغى أن أنجح فى أمرى حين جعلتك السبب اليه وفى الثانى إنا قد طلبنا الأمر من جهته حين استعنا بك فيما عرض لنا من الحاجة وعولنا على فضلك كما أن من عول على الطبيب فيما يعرض من السقم كان قد أصاب فى فعله .

---

(١) (قوله أنا لم أرزق محبتها . البيت) قد وجدناه منسوبا الى العباس ابن الأحنف هكذا :

أنا لم أرزق مودتكم إنما للعبد مارزقا

(٢) (قوله : وإنما يعذر العشاق من عشقا) هو من قصر الصفة على الموصوف وقد بحثت عن قائله فلم أجده .

(٣) (وقوله ما أنت بالسبب الضعيف وإنما . البيتين) ذكر ابن خلكان أن ابن أبي دواد كان ينشدهما ولا يذكر أنهما له أو لغيره ، والسبب كل مايتوصل به الي غيره ، والأوصاب جمع وصب وهو المرض .

— (١) ثم القصر كما يقع بين المبتدإ والخبر كما ذكرنا يقع بين الفعل والفاعل (٢) وغيرهما ففي طريق النفي والاستثناء يؤخر المقصور عليه مع حرف الاستثناء كقولك في قصر الفاعل على المفعول إفرادا أو قلبا بحسب المقام (٣) ما ضرب زيد إلا عمرا وعلى الثاني لا الأول قوله تعالى (ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم) لأنه ليس المعنى أني لم أزد على ما أمرتني به شيئا إذ ليس الكلام في أنه زاد شيئا على ذلك أو نقص منه ولكن المعنى أني لم أترك ما أمرتني به أن أقوله لهم الى خلافه لأنه قاله في مقام اشتمل على معنى أنك يا عيسى تركت ما أمرتك أن تقوله الى ما لم آمرك أن تقوله فاني أمرتك أن تدعو الناس الى أن يعبدوني ثم إنك دعوتهم الى أن يعبدوا غيري بدليل قوله تعالى (أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله) وفي قصر المفعول على الفاعل ما ضرب عمرا إلا زيد وفي قصر المفعول الأول على الثاني في نحو كسوت وظننت ما كسوت

---

(١) (ثم القصر كما يقع بين المبتدإ والخبر كما ذكرنا ...) أي في أقسام القصر وطرقه لأن أمثلته السابقة لا تكاد تتجاوزهما وهذا يمكن أن يعد تقسيما نحويا للقصر وقد ذكره هنا ليمهد به للشروع في وجه آخر مما تختلف فيه طرق القصر من جهة موقع كل من المقصور والمقصور عليه مع أداة القصر

(٢) (وغيرهما) مما سيذكره ومالم يذكره كالتميز والظرف وسائر متعلقات الفعل ما عدا المصدر المؤكد والمفعول معه فلا يقال ما ضربت إلا ضربا ولا ماسرت إلا والنيل ونحوهما.

(٣) (ما ضرب زيد إلا عمرا) يصح في هذا ونحوه أن يكون الفعل المسند الى الفاعل مقصورا على المفعول فيكون من قصر الصفة على الموصوف وهو الظاهر ويصح أن يكون الفاعل مقصورا على الفعل المتعلق بالمفعول

زيدا إلا جبة وما ظننت زيدا إلا منطلقا وفى قصر الثانى على الأول ما كسوت جبة إلا زيدا وما ظننت منطلقا إلا زيدا [١] وفى قصر ذى الحال على الحال ما جاء زيد إلا راكبا وفى قصر الحال على ذى الحال ما جاء راكبا إلا زيد[٢] والوجه فى جميع ذلك أن النفى فى الكلام الناقص أعنى الاستثناء المفرغ يتوجه الى مقدر [٣] هو مستثنى منه عام مناسب للمستثني فى جنسه وصفته أما توجهه الى مقدر هو مستثنى منه فلكون إلا للاخراج واستدعاء الاخراج مخرجا منه وأما عمومه فليتحقق الاخراج

فيكون من قصر الموصوف على الصفة وكذا يقال فى قصر المفعول على الفاعل ونحوهما .

(١) (وفى قصر ذى الحال على الحال ...) هو قصر موصوف على صفة ففي المثال المذكور قصر زيد على المجيء حال الركوب وقيل إن المجيء فيه هو الذى قصر على الركوب أما قصر الحال على ذى الحال فهو قصر صفة على موصوف

وهذه أمثلة من الشعر لهذه الأقسام النحوية للقصر بالنفى والاستثناء .

وما المرء إلا كالهلال وضوئه ... يوافي تمام الشهر ثم يغيب
مابعتكم مهجتى إلا بوصلكم ... ولا أسلمها إلا يدا بيد
لا يحسن الحلم إلا فى مواطنه ... ولا يليق الوفا إلا لمن شكرا
فى ليلة لانرى بها أحدا ... يحكى علينا إلا كواكبها
أأترك ليلى ليس بيني وبينها ... سوى ليلة إنى إذن لصبور

(٢) (والوجه فى جميع ذلك . . .) لا يخفى أنه قد سبق له بيان وجه إفادة النفي والاستثناء القصر بنحو ماذكره هنا فهو تكرار له ، وهذا الى أن الكلام هنا لبيان موقع المقصور والمقصور عليه فلا معنى لذكر هذا فيه .

(٣) (هو مستثنى منه عام) ولا فرق فى هذا بين القصر الحقيقى

منه ولذلك قيل تأنيث المضمر فى كانت على قراءة أبى جعفر المدني (إن كانت إلا صيحة) بالرفع و فى ترى مبنيا للمفعول فى قراءة الحسن (فأصبحوا لا ترى إلا مساكنهم) برفع مساكنهم وفى بقيت [1] فى بيت ذى الرمة

فما بقيت إلا الضلوع الجراشع

للنظر الى ظاهر اللفظ والأصل التذكير لاقتضاء المقام معنى شيء من الأشياء وأما مناسبته فى جنسه وصفته فظاهرة لأن المراد بجنسه أن يكون فى نحو ما ضرب زيد إلا عمرا أحدا وفى نحو قولنا ما كسوت زيدا إلا جبة لباسا وفى نحو ما جاء زيد إلا راكبا كائنا على حال من الأحوال وفى نحو ما اخترت رفيقا إلا منكم من جماعة من الجماعات ومنه قول السيد الحميرى :

لو خير المنبر فرسانه ما اختار إلا منكم فارسا

لما سيأتى إن شاء الله تعالى أن أصله ما اختار فارسا إلا منكم والمراد بصفته كونه فاعلا أو مفعولا أو ذا حال أو حالا وعلى هذ القياس وإذا كان النفى متوجها الى ما وصفناه فاذا أوجب منه شيء جاء القصر [2] ويجوز والاضافى إلا بأن الاضافى يقدر فيه عام يراد به الخاص الذى يكون القصر بالاضافة اليه .

(١) (فى بيت ذى الرمة : فما بقيت إلا الضلوع الجراشع) هو غيلان ابن عقبة :

طوى النحز والأجراز ما فى غروضها فما بقيت إلا الضلوع الجراشع

طوى بمعنى أضمر ، والنحز الدفع والنخس ، والأجراز جمع جرز وهى الأرض اليابسة التى لا نبات فيها ، وغروضها أحزمتها جمع غرض بفتح فسكون ، والجراشع المنتفخة الغليظة جمع جرشع بضم الجيم والشين .

(٢) (ويجوز تقديم المقصور عليه مع حرف الاستثناء)ومن هذا بيت

تقديم المقصور عليه مع حرف الاستثناء بحالهما على المقصور كقولك ما ضرب إلا عمرا زيد وما ضرب إلا زيد عمرا وما كسوت إلا جبة زيدا وما ظننت إلا زيدا منطلقا وما جاء إلا راكبا زيد وما جاء إلا زيد راكبا وقولنا بحالهما احتراز من إزالة حرف الاستثناء عن مكانه بتأخيره عن المقصور عليه كقولك في الأول ماضرب عمرا إلا زيد فانه يختل المعنى فالضابط أن الاختصاص انما يقع في الذى يلى إلا ولكن استعمال هذا النوع أعنى تقديمهما قليل[1] لاستلزامه قصر الصفة قبل تمامها كالضرب الصادر من زيد فى ما ضرب زيد إلا عمرا والضرب الواقع على عمرو فى ماضرب عمرا الا زيد وقيل اذا أخر المقصور عليه والمقصور عن إلا وقدم المرفوع كقولنا ماضرب إلا عمرو زيدا فهو على كلامين وزيدا منصوب بفعل مضمر فكأنه قيل ماضرب الا عمرو أى ماوقع ضرب إلا منه ثم قيل من ضرب فقيل زيدا أي ضرب زيدا[2] وفيه نظر

السيد الحميرى السابق وقول الآخر:

الناس إلب علينا فيك ليس لنا … إلا السيوف وأطراف القنا وزر

(١) (لاستلزامه قصر الصفة قبل تمامها) قد سبق أنه يحتمل أيضا أن يكون قصر موصوف على صفة فعلى هذا يكون فى تأخيرهما تقديم المقصور على بعض الصفة وهذا فى قوة تقديمه عليها كلها ويكون فى تقديمهما تأخيره عنها كلها وإنما جاز التقديم مع ذينك الأمرين لأنه منوى به التأخير فكأنه مؤخر فعلا.

(٢) (وفيه نظر لاقتضائه ...) إنما يلزم هذا من يجوز أن يستثنى بأداة واحدة دون عطف شيئان أو أكثر ولعل صاحب هذا القول لايجوز ذلك فلا يقتضى ما ذهب اليه الحصر فى الفاعل والمفعول جميعا ولو كان ممن يجوز ذلك لم يحتج الى تقدير الفعل ثانيا بدليل أن من لايجوز ذلك

لاقتضائه الحصر فى الفاعل والمفعول جميعاً .

(١) وأما فى إنما فيؤخر المقصور عليه تقول إنما زيد قائم وإنما ضرب زيد وإنما ضرب زيد عمرا وإنما ضرب زيد عمرا يوم الجمعة وإنما ضرب زيد عمرا يوم الجمعة فى السوق أي مازيد إلا قائم وما ضرب إلا زيد وماضرب زيد إلا عمراً وماضرب زيد عمراً الا يوم الجمعة وماضرب زيد عمراً يوم الجمعة الا فى السوق (٢) فالواقع أخيرا هو المقصور عليه

يقول فى قوله تعالى (وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادي الرأى) إنه لم يستثن بالا الموصول والظرف معاو إنما الظرف منصوب بمضمر تقديره اتبعوك بادىء الرأى .

(١) (وأما فى إنما فيؤخر المقصور عليه) يعنى وجوبا فلا يجوز تقديمه لئلا يلتبس المقصور بالمقصور عليه وإنما يجب هذا اذا لم يعرض موجب لتقديم المقصور عليه فاذا عرض موجب لتقديمه قدم نحو قولك إنما قمت فهو قصر للمتكلم على القيام وقدقدم الفعل هنا مع أنه هو المقصور عليه لعدم صحة تقديم الفاعل عليه فاذا أريد فى هذا قصر القيام على المتكلم قيل ماقام إلا أنا فيؤخر المقصور عليه ، وكل هذا اذا لم يجتمع مع إنما أداة قصر أخرى وسيأتى قريبا بيان هذا فيها .

(٢) (فالواقع أخيرا هو المقصور عليه أبدا) المراد بالواقع أخيرا ما يكون جزءا مستقلا فى آخر الكلام ولو كان فضلة من الفضلات فالمقصور عليه فى قولك إنما جاء من أكرمته يوم الجمعة أمام الأمير هو الموصول بصلته والمقصور عليه فى قولك إنما جاءنى رجل عالم هو الموصوف بصفته وهكذا ، وقد اعترض السبكى ذلك بأمور لا يظهر فيها أن المقصور عليه فى إنما هو الأخير منها قوله صلى الله عليه وسلم « إنما يأكل آل محمد من هذا المال ليس لهم فيه إلا المأكل » أى لا يقع إلا أكلهم منه وليس المعنى لا يأكلون إلا منه ، ومنها قوله تعالى (إنما يريد الشيطان أن يوقع

أبدا ولذلك تقول إنما هذا لك وإنما لك هذا أى ماهذا إلا لك ومالك إلا هذا حتى اذا أردت الجمع بين إنما والعطف فقل إنما هذا لك لالغيرك وإنما لك هذا لاذاك وإنما أخذ زيد لاعمرو وإنما زيد يأخذ لايعطى ومن هذا تعثر على الفرق بين قوله تعالى (إنما يخشى الله من عباده العلماء) وقولنا إنما يخشى العلماء من عباد الله الله فان الأول يقتضى قصر خشية

بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر) (أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل) (ياقوم إنما فتنتم به) (فاذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون) (قل إنما يأتيكم به الله إن شاء) فالمقصور عليه فى هذا كله ليس هو الواقع أخيرا فيه وقد يمكن فى بعضه لكن المعنى المراد لايتفق معه فلعل تقديم المقصور عليه فيه لأمن اللبس الذى أوجب تأخيره .

هذا وقد تجتمع إنما مع أداة قصر أخرى مثل قولك إنما على تاجر لا صانع وإنما تفاحا أكلت وقد ذهب السعد التفتازانى والسيد الجرجانى فى المثال الأول الى أن القصر فيه مستفاد من إنما والعطف بلا تأكيد ولا ينسب له القصر لتبعيته وعلى هذا يكون المقصور عليه هو الواقع أخيرا كما هو الواجب فى إنما وقد ذهب بعض من كتب في القصر من علماء عصرنا الى أن القصر فى ذلك يجب أن ينسب للعطف لأنه الطريق الأقوى فأجاز أن يقال إنما محمود شاعر لا على بتقديم المقصور عليه وما أظن أنه يجوز مثل هذا في أسلوب العرب ولا أرى إلا أن الأمر كما قال السعد والسيد وحجتهما فيه ظاهرة معقولة ، وأما فى المثال الثانى فقد ذهب السعد الى أن القصر فيه يسند الى التقديم لأنه أقوى وأسنده السيد الى إنما لأنها أقوى وهذا خلاف لفظى لامعنى لترجيح مذهب السعد على مذهب السيد فيه والمقصور عليه فى ذلك هو المقدم باتفاقهما وان أوهم كلام بعضهم فى القصر أن فيه خلافا بينهما ، ومن ذلك قول الشاعر :

ألا فليمت من شاء بعدك إنما ... عليك من الأقدار كان حذاريا

الله على العلماء والثانى يقتضى قصر خشية العلماء على الله (١) واعلم أن حكم غير حكم إلا فى إفادة القصرين أى قصر الموصوف على الصفة وقصر الصفة على الموصوف وفى امتناع مجامعة لا العاطفة تقول فى قصر الموصوف إفرادا مازيد غير شاعر وقلبا مازيد غير قائم وفى قصر الصفة بالاعتبارين بحسب المقام لاشاعر غير زيد ولا تقول ما زيد غير شاعر لا كاتب ولا لا شاعر غير زيد لا عمرو.

القول فى الانشاء

الانشاء ضربان (٢) طلب وغير طلب والطلب يستدعى مطلوبا غير

وقول الآخر:

أساميا لم تزده معرفة ... وإنما لذة ذكرناها

وقد ترك الخطيب بيان موقع المقصور عليه فى العطف والتقديم وهو فى العطف ببل ولكن ما بعدهما وفى العطف بلا المعطوف عليه قبلها وفى التقديم مطلقا المقدم ، وإذا اجتمع العطف مع التقديم كقولك هو يأتينى لا عمرو فقد ذهب السعد والسيد فيه مذهبهما فى اجتماع إنما والعطف وخالفهما هنا من خالفهما هناك وأجاز أن يقال فى الدار سعيد لا محمود ليجعل القصر للعطف لا للتقديم ويجعل المقصور هو المعطوف عليه لا المقدم وما أظن أن مثل هذا يجوز فى أسلوب العرب أيضاً على أن يكون التقديم فيه للقصر لا للاهتمام ونحوه.

(١) (واعلم أن حكم غير . . .) وكذلك سوى ونحوها من أدوات الاستثناء كما سبق بيانه فى الكلام على ذلك الطريق فى طرق القصر.

الانشاء

(٢) (طلب وغير طلب) قد اقتصر فى كلامه على الانشاء الطلبى وأما الانشاء غير الطلبى فمنه الترجي وهو ترقب حصول شىء محبوب أو

حاصل وقت الطلب (١) لامتناع تحصيل الحاصل (٢) وهو المقصود بالنظر هنا وأنواعه كثيرة (٣) منها التمنى واللفظ الموضوع له ليت ولا يشترط

مكروه نحو لعل الحبيب قادم ولعل الصديق مريض ويدل عليه بلعل وعسى وحرى واخلولق وقد جرى كثير على عد الترجي من الانشاء الطلبي وبعضهم يجعله قسما من التمنى الآتي والحق أنه لا طلب فيه بدليل أنه يأتى فى المكروه ولا طلب فيه ، ومنه أفعال المدح والذم والتعجب وهى نعم وبئس وما أفعله وأفعل به فهى لانشاء المدح والذم والتعجب وقيل إنها أخبار تحتمل الصدق والكذب ولهذا بشر أعرابى ببنت فقيل له نعمت المولودة فقال والله ماهى بنعمت المولودة وقد وقعت نعم خبر إن فى قوله تعالي (إن الله نعما يعظكم به) ومنه القسم ويدل عليه بالواو والباء والتاء ، ومنه صيغ العقود نحو بعت واشتريت ، ومنه رب وكم الخبرية لدلالتهما على إنشاء التكثير أو التقليل وقيل إن الكلام معهما خبر لا إنشاء .

(١) (لامتناع تحصيل الحاصل) فاذا استعملت صيغ الطلب لمطلوب حاصل أجريت على غير معانيها الحقيقية لمقامات تناسبها مثل قوله تعالى يأيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذى نزل على رسوله) . الآية وقوله تعالى (يأيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين إن الله كان عليما حكيما) فالمعنى فيهما على طلب دوام الايمان والتقوى للترقى فى مراتب الكمال فيهما .

(٢) (وهو المقصود بالنظر هنا) أما الانشاء غير الطلبى فان استعمالاته تكاد تكون نحوية صرفة يبحث عنها فى النحو لافى هذا العلم .

(١) (منها التمنى) وهو طلب المحبوب الذى لامطمع فيه بأن كان غير ممكن مثل التمنى فى هذه الأبيات :

ليت الكواكب تدنو لى فأنظمها عقود مدح فما أرضى لكم كلمى

فى التمني الامكان تقول ليت زيدا يجيء وليت الشباب يعود(١) قال الشاعر.

ياليت أيام الصبا رواجعا

(٢) وقد يتمنى بهل كقول القائل هل لى من شفيع (٣) فى مكان يعلم أنه لاشفيع له فيه (٤) لابراز المتمنى لكمال العناية به فى صورة الممكن وعليه

فياليتنى من بعد موتي ومبعثي أكون رفاتا لا علي ولاليا
ليت الشباب الذى مجد عواقبه فيه نلذ ولا لذات للشيب

أو كان ممكنا لكنه بعيد مثل التمنى فى هذه الأبيات:

فياليت مابينى وبين أحبتى من البعد ما بيني وبين المصائب
فليت لى بهم قوما إذا ركبوا شنوا الاغارة فرسانا وركبانا
فليتك إذ لم ترع حق أبوتى فعلت كما الجار المجاور يفعل

ولا يخفى أن استعمال التمنى فى هذا استعمال نحوى وقيل إن الأصل فى التمنى أن يستعمل فيما يمكن فيكون استعماله فى غيره لمقامات تقتضيه مثل إظهار الوله والتدله ونحو ذلك ولكن هذا لا يقال فى غير ليت لأنها هى الموضوعة له بخلاف أدواته الآتية فلها مزاياها البلاغية التى سنبينها

(١) (قال الشاعر: ياليت أيام الصبا رواجعا) هو العجاج وليت عند الكوفيين تعمل عمل ظن فى لغة تميم والبصريون على أن خبرها محذوف تقديره أقبلن رواجعا أو تكون رواجعا

(٢) (وقد يتمنى بهل) واستعمال هل فى التمنى مجاز بالاستعارة التبعية على ما يأتى فى فن البيان

(٣) (فى مكان يعلم أنه لاشفيع له فيه) فتحمل حينئذ على التمني لأن الاستفهام لا يكون مع الجزم بانتفاء الشيء بل مع الجهل به

(٤) (لابراز المتمنى لكمال العناية به فى صورة الممكن) هذه هي

قوله تعالى حكاية عن الكفار (فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا) [١] وقد يتمنى بلو كقولك لو تأتيني فتحدثني بالنصب [٢] قال السكاكى وكأن حروف التنديم والتحضيض هلا وألا بقلب الهاء همزة ولولا ولوما مأخوذة منهما مركبتين مع لا وما المزيدتين لتضمينهما معنى التمنى ليتولد منه فى الماضى التنديم نحو هلا أكرمت زيدا وفي المضارع التحضيض نحو هلا تقوم ، وقد يتمنى [٣] بلعل فتعطى حكم ليت نحو لعلى أحج

نكتة استعمال هل فى التمنى فلا تستعمل فيه إلا فى صورة الممكن الذى يطمع فى وقوعه للمبالغة فى تمنيه ومن ذلك ما قيل :

هل من سبيل إلى خمر فأشربها أومن سبيل إلى نصر بن حجاج

(١) (وقد يتمنى بلو) واستعمال لو فيه مجاز مثل هل ونكتة هذا الاشعار بعزة المتمنى بابرازه فى صورة مالم يوجد لأن لو فى أصلها حرف امتناع لامتناع ومن ذلك قول مهلهل :

فلو نشر المقابر عن كليب فيخبر بالذنائب أى زير

(٢) (قال السكاكى وكأن حروف التنديم . . .) مذهب النحو يين أن هذه الحروف موضوعة للتحضيض والتنديم من أول الأمر وليست مأخوذة من الحرفين لأن التصرف فى الحروف بعيد ويريد السكاكى من تضمينهما معنى التمنى جعلهما كما قبل دالين عليه دلالة مطابقة لا دلالة تضمن فاذا كان فى الماضى سمي تنديما وإذا كان فى المضارع سمى تحضيضا ويكون على هذا فى هذه الحروف شبه تواطؤ لأن التواطؤ الحقيقى إنما يكون فى غير الحروف أما على مذهب النحويين فهى موضوعة لهذين المعنيين بالاشتراك لا بالتواطؤ ولا يخفى ما فى مذهب السكاكي من التعقيد والتكلف فالحق أن استعمال هذه الحروف فى هذين المعنيين استعمال نحوى لا معنى لذكره فى هذا الفن

(٣) (فتعطى حكم ليت) وهو نصب المضارع بالفاء بعدها وهذا

فأزورك بالنصب (١) لبعد المرجو عن الحصول وعليه قراءة عاصم في رواية حفص : (لعلى أبلغ الأسباب أسباب السموات فأطلع الى إله موسى) بالنصب .

(٢) ومنها الاستفهام والألفاظ الموضوعة له الهمزة وهل وما ومن وأى وكم وكيف وأين وأنى ومتى وأيان (٣) فالهمزة لطلب التصديق

مبنى على مذهب البصريين الذين لا ينصبون المضارع بعد الترجي واستعمال لعل فى التمنى مجاز أيضا

(١) (لبعد المرجو عن الحصول) هذه نكتة استعمال لعل فى التمنى ولكن لا يخفى أن لعل لا تدل على بعد المرجو بل تدل على قربه وتوقعه فالأحسن أن تجعل نكتة ذلك إظهار المتمنى فى صورة الممكن المتوقع الحصول للرغبة الشديدة فيه على نحو ما مضى فى هل وهذه النكتة هى التى تظهر فى قوله تعالى حكاية عن فرعون (لعلى أبلغ الأسباب) لأن الذى يليق بعتو فرعون وجهله أن يظن قرب هذا فيستعمل لعل فيه ولو كان يظنه بعيدا ما أمره ببناء الصرح له ، ومن استعمال لعل فى التمنى قول الشاعر :

أسرب القطا هل من يعير جناحه   لعلى إلي من قد هويت أطير

(٢) (ومنها الاستفهام . . .) وهو طلب حصول صورة الشىء فى الذهن بأدوات مخصوصة ودلالة هذه الأدوات عليه دلالة وضعية لا يصح أن تعد فى وجوه البلاغة وإنما الذى يصح أن يعد فيها دلالتها على التقرير وغيره مما يأتى وكذا ما يتعلق به الاستفهام من المسند إليه أو المسند أو غيرهما على ما يأتى أيضا

(٣) (فالهمزة لطلب التصديق . . .) وفى هذه الحالة لا يذكر معها معادل فان جاءت أم بعدها قدرت منقطعة بمعنى بل مثل قول الشاعر :

كقولك أقام زيد وأزيدقائم (١) أو التصور كقولك أدبس فى الاناء أم عسل وأفى الخابية دبسك أم فى الزق (٢) ولهذا لم يقبح أزيد قائم وأعمرا عرفت (٣) والمسئول عنه بها هو مايليها فتقول أضربت زيدا اذا كان

ولست أبالى بعد فقدى مالكا   أموتي ناء أم هو الآن واقع

(١) (أو التصور . . .) أتى له بمثالين أحدهما لطلب تصور المسند إليه والثانى لطلب تصور المسند وقد يكون المطلوب تصور المفعول أو نحوه من متعلقات الفعل كما يأتى فى أمثلته والمطلوب فى الحقيقة هو التصور مع التصديق فان حقيقة العسل أو الدبس مثلا معلومة للسائل والمطلوب له بيان الحاصل منهما فى الاناء ولكن التصديق فى ذلك حاصل غير مقصود والتصور هو المقصود ولهذا يكون الجواب هنا بتعيين المسئول عنه ويكون فى حالة طلب التصديق بنعم أولا

(٢) (ولهذا لم يقبح أزيد قام . . .) لأنا إذا جعلنا التقديم للتخصيص استدعى حصول التصديق بنفس الفعل فيكون المسئول عنه زيد بخصوصه وعمرو بخصوصه فى المثالين وهذا تصور لا تصديق والهمز صالحة للسؤال عنه وإذا جعلنا التقديم لتقوية الحكم كان المسئول عنه التصديق به والهمز صالحة له أيضا وسيأتى بيان حكم هل فى ذلك عند الكلام فيها

(٣) (والمسئول عنه بها هو ما يليها) فاذا وليتها جملة اسمية خبرها غير فعل نحو أزيد قائم فالمطلوب بها التصديق وإذا وليها غير هذا فالمطلوب بها هو ما يليها من الفعل والفاعل والمفعول وما إلي هذا من متعلقات الفعل والظاهر فى حالة إيلاء الفعل لها أنها لطلب التصديق كما ذكر الخطيب فاذا قامت قرينة على خلاف هذا صرف إليها كذكر المعادل فى نحو أجاء زيد أم عمرو ويكون المسئول عنه هنا غير ما وليها وكذلك الجملة الاسمية إذ يجوز أن يقال أزيد قائم أم قاعد ولما كان التصور الذى يطلب بها لا يخلو

الشك في الفعل نفسه وأردت بالاستفهام أن تعلم وجوده وتقول أأنت ضربت زيدا اذا كان الشك فى الفاعل من هو وتقول أزيدا ضربت اذا كان الشك فى المفعول من هو .

من تصديق كما سبق صح تعلق الشك به وقد ذكر السبكى أن غير الهمزة من أدوات الاستفهام مثل الهمزة فيما يليها ولا يخفى أن غيرها من الأدوات للتصديق وحده أو للتصور وحده فيكون المطلوب بها إما التصديق وإما ما يطلب تصوره بها وهو مدلولاتها الآتية من جنس أو عدد أو غيرهما ولا يتأتى فيها هذا التفصيل المذكور فيما يلى الهمزة ثم إن ظاهر كلام عبد القاهر والسكاكى والخطيب أنه لا يصح فى هذا كله خلاف ما ذكروه والذى نقله أبو حيان عن سيبويه أن إيلاء الهمزة ما يسأل عنه بها أحسن من عدم إيلائه لها إذ قال في تمثيله أزيد عندك أم عمرو وأزيد القيت أم بشرا فتقديم الاسم أحسن ولو قلت ألقيت زيدا أم عمرا وأعندك زيد أم عمر ولكان جائزا حسنا ويمكن الجمع بينهما بأن محل جواز هذا عند ذكر المعادل وقد سبق أنه يجوز فيه أن يلى الهمزة غير المسئول عنه بها على أن سيبويه إنما يذكر ذلك فى حكم النحو وعبد القاهر إنما يذكر حكم ذلك فى البلاغة ولا يلزم أن يتحد فيهما حكمه، ويمكنك بعد ما ذكرنا من هذا أن تعرف أن مراعاة مثل هذه المقامات من صميم البلاغة وأن وجوب إيلاء الهمزة ما يسأل عنه بها أمر يرجع فيه إلى الذوق ولا يرجع فيه إلى نحو أو وضع ، ومثال هذا من الشعر :

ألا اصطبار لسلمى أم لها جلد … إذن ألاقى الذى لاقاه أمثالى

فوالله ما أدري وإن كنت داريا … بسبع رمين الجمر أم بثمان

أفى الحق أن يعطى ثلاثون شاعرا … ويحرم ما دون الرضا شاعر مثلى

فدع الوعيد فما وعيدك ضائري … أطنين أجنحة الذباب يضير

(١) وهل لطلب التصديق فحسب كقولك هل قام زيد وهل عمرو قاعد (٢) ولهذا امتنع هل زيد قام أم عمرو (٣) وقبح هل زيدا ضربته لما سبق أن التقديم يستدعى حصول التصديق بنفس الفعل والشك فيما قدم عليه ولم يقبح هل زيدا ضربته لجواز تقدير المحذوف المفسر مقدما كما مر

جعله كأنه ظن أن طنين أجنحة الذباب بمثابة ما يضير حتى ظن أنه وعيده يضير فكان المقام لايلاء الاسم الهمزة لا الفعل

(١) (وهل لطلب التصديق) هذا معنى نحوى لها ولا يدخل فى هذا العلم مما ذكره من مباحثها إلا ما تأتى له من الأغراض فى دخولها على الجملة الفعلية أو الاسمية على ما سيأتي فى بيانها

(٢) (ولهذا امتنع هل زيد قام أم عمرو) لأن وقوع المفرد فيه بعد أم دليل على أن أم متصلة وهى لطلب تعيين أحد الأمرين مع العلم بثبوت أصل الحكم فلا يصح اجتماعها مع هل بخلاف أم المنقطعة لأنها بمعنى بل كقوله :

ألا ليت شعرى هل تغيرت الرحا رحى الحرب أم أضحت بفلج كما هيا

فالمعنى فى هذا على كلامين فى ثانيها استفهام مع إضراب وقد يقع المفرد بعد أم المنقطعة إذا كان خبرا لأنه جزء جملة نحو قولهم إنها لابل أم شاء

(٣) (وقبح هل زيدا ضربت . . .) الحق أن هـذا ممتنع لا قبيح فقط كما ذكره الخطيب وأن نحو هل زيدا ضربته ممتنع أيضا لا جائز كما ذهب اليه لأن أدوات الاستفهام غير الهمزة إذا وقع بعـدها فعل واسم وجب تقديم الفعل على الاسم ولا يجوز تقديم الاسم على الفعل إلا فى ضرورة الشعر ولا حاجة الى بناء ذلك على أنه مع تقديم الاسم يكون المطلوب التصور لا التصديق لأن التقديم قد يكون للاهتمام بالحكم لا

وجعل السكاكي قبح نحو هل رجل عرف لذلك أى لما قبح له هل زيدا ضربت ويلزمه أن لا يقبح نحو هل زيد عرف لامتناع تقدير التقديم والتأخير فيه عنده على ما سبق وعلل غيره القبح فيهما بأن أصل هل أن تكون بمعنى قد إلا أنهم تركوا الهمزة قبلها لكثرة وقوعها فى الاستفهام (١)وهل تخصص المضارع بالاستقبال (٢) فلا يصح أن يقال هل تضرب زيدا وهو أخوك كما تقول أتضرب زيدا وهو أخوك (٣) ولهذين أعني

لتخصيصه ولأن هذا لا يختص بهل من أدوات الاستفهام بل يشاركها فيه ما يطلب به التصور وكذلك لا حاجة الي بنائه على أن هل فى الأصل بمعنى قد لبعده وتكلفه ولأنه لا يأتي فى غيرها مما يشاركها فى هذا الحكم فكل ما ذكره الخطيب والسكاكي هنا منقوض من أصله فلا حاجة الى تطويل الكلام فيه

(١) (وهل تخصص المضارع بالاستقبال) هذا بحكم الوضع أيضا وهو مختص بالمضارع أما الماضى والجملة الاسمية فيبقيان معها على حالهما

(٢) (فلا يصح أن يقال هل تضرب زيدا وهو أخوك) أى على أن يكون الضرب واقعا فى الحال كما يفهم عرفا من تقييده بالأخوة لأنها حالية لا مستقبلة

(٣) (ولهذين أعنى اختصاصها بالتصديق . . .) لاشك أن كون هل لها مزيد اختصاص بالفعل يرجع فيه الى النقل أما ماذكره من ذلك فلا تأثير له فيه لأن تخصيصها المضارع بالاستقبال لا يلزم منه أن يكون لها مزيد اختصاص به ولا بالفعل مطلقا فهى فى هذا مثل قد تقرب الماضى من الحال ولا يلزم منه أن يكون دخولها على الماضى أكثر من دخولها على المضارع وكذلك الوجه الثاني ضعيف أيضا لأن النفى والاثبات فى الجملة الاسمية يتوجهان أيضا الى الصفات لا الي الذوات لأنهما لا يتسلطان

اختصاصها بالتصديق وتخصيصها المضارع بالاستقبال كان لها مزيد اختصاص بما كونه زمانيا أظهر كالفعل أما الثانى فظاهر وأما الأول فلأن الفعل لا يكون إلا صفة والتصديق حكم بالثبوت أو الانتفاء والنفى والاثبات إنما يتوجهان الى الصفات لا الذوات ولهذا كان قوله تعالى (فهل أنتم شاكرون) أدل على طلب الشكر من قولنا فهل تشكرون[1] وقولنا فهل أنتم تشكرون[2] لأن إبرازها ما سيتجدد فى معرض الثابت أدل على كمال العناية

فى الجملة إلا على النسبة ولا فرق فى هذا بين جملة فعلية وجملة اسمية وما كان أغنانا عن التطويل فى هذا لو لم يعن الخطيب به ، والكاف الداخلة فى كلامه على الفعل فى قوله كالفعل استقصائية لأنه هو المقصود وحده .

(١) (وقولنا فهل أنتم تشكرون) أى مع أنه مؤكد بالتكرير وقد ذكر السبكى أن هذا التركيب لا يصح لما سبق من وجوب تقديم الفعل فيه ولا يخفى أنه إذا جعل الضمير المنفصل فاعلا لفعل محذوف كان مثل قوله تعالى (قل لو أنتم تملكون) ولا شك أن لو أشد طلبا للفعل من هل فاذا جاز مثل هذا فى لو جاز فى هل من باب أولى .

(٢) (لأن إبراز ما سيتجدد . . .) يمكننا أن نأخذ من هذا أن هل لا يعدل بها عن الجملة الفعلية الى الجملة الاسمية إلا لهذه النكتة وأن لها مع الجملة الفعلية مقاما ومع الجملة الاسمية مقام آخر وأن للهمزة معهما مقاما يخالف مقام هل معهما وفي هذا تظهر وجوه البلاغة فيها بخلاف ما سبق وما سيأتى من مباحثها وقد قيل أيضا إن الهمزة لا يستفهم بها حتى يهجس فى النفس إثبات ما يستفهم عنه بخلاف هل فانه لا يترجح فيها إثبات ولا نفى ويمكنك أن تدرك هذا فى مواقع هل من هذه الأبيات :

هل بالطلول لسائل رد ... أم هل لها بتكلم عهد
فمن مبلغ الأحلاف عنى رسالة ... وذبيان هل أقسمتم كل مقسم
ليت شعرى هل ثم هل آتينهم ... أو يحولن دون ذاك حمام

بحصوله من إبقائه على أصله وكذا من قولنا أفأنتم شاكرون وإن كانت صيغته للثبوت لأن هل أدعى للفعل من الهمزة فتركه معها أدل على كمال العناية بحصوله ولهـذا لا يحسن هل زيد منطلق إلا من البليغ [١] وهى قسمان بسيطة وهى التى يطلب بها وجود الشيء كقولنا هل الحركة موجودة ومركبة وهى التى يطلب بها وجود شيء لشيء كقولنا هل الحركة دائمة .

والألفاظ الباقية [٢] لطلب التصور فقط أما ما فقيل يطلب به [٣] إما شرح الاسم كقولنا ما العنقاء وإما ماهية المسمى كقولنا ما الحركة [٤] والقسم الأول يتقدم على قسمى هل جميعا والثانى يتقدم على هل المركبة دون

---

(١) (وهي قسمان بسيطة . . .) هـذا كما قال السبكى لا يختص بهل لأن الهمزة مثل هل فيه ثم إنه أيضا مما لا يليق البحث عنه فى هـذا العلم

(٢) (لطلب التصور فقط) هى فى هذا مثل الهمزة فى طلب التصور فهو لا يخلو فيها من تصديق أيضاً ولهذا صح الجواب فى بعضها بالتصديق مثل قوله تعالى (قال عيسى ابن مريم للحواريين من أنصارى إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله) .

(٣) (إما شرح الاسم . . .) أى بيان مدلوله الاجمالى الذى لا يعرف منه حقيقته ولا يخفي أن هذه معانى نحوية لما وإنما يرجع إلى البلاغة ما يكون بينها وبين جوابها مما يرجع إلى أسلوب الحكيم كما سيأتي بين فرعون وموسى عليه السلام .

(٤) (والقسم الأول يتقدم على قسمى هـل جميعا . . .) فيطلب فى الأول شرح الاسم ثم وجود المفهوم فى نفسه ثم حقيقته ثم مايعرض لها ويسأل عنه بهل المركبة وهو ترتيب مستحسن لا واجب لأنه لامانع من طلب الوجود مثلا قبل الوقوف على المفهوم وهكذا .

البسيطة فالبسيطة فى الترتيب واقعة بين قسمى ما ، وقال السكاكى (١) يسأل بما عن الجنس تقول ما عندك (٢) أى أى أجناس الأشياء عندك وجوابه إنسان أو فرس أو كتاب أو نحو ذلك وكذلك تقول ما الكلمة وما الكلام وفى التنزيل فما خطبكم أي أى أجناس الخطوب خطبكم وفيه ما تعبدون من بعدى أى أى من فى الوجود تؤثرونه للعبادة (٣) أو عن الوصف تقول ما زيد وما عمرو وجوابه الكريم أو الفاضل ونحوهما وسؤال فرعون وما رب العالمين إما عن الجنس لاعتقاده لجهله بالله تعالى أن لا موجود مستقلا بنفسه سوى الأجسام كأنه قال أى أجناس الأجسام هو وعلى هذا جواب موسى عليه السلام بالوصف للتنبيه على النظر المؤدى الى

---

(١) (يسأل بما عن الجنس) المراد بالجنس الحقيقة الكلية فيشمل جميع أقسام مايقال فى جواب ماهو من النوع والجنس والحقيقة الاجمالية والتفصيلية وعلى هذا يكون الفرق فى ذلك بين القولين كما قيل أن ما على الأول يطلب بها شرح الاسم كليا كان أو جزئيا وعلى قول السكاكى لا يطلب بها إلا الكلى ولا يخفى أن السؤال بها عن الجزئي داخل فى السؤال بها عن الوصف كما سيأتى فالحق أنه لافرق فى السؤال بما بين القولين

(٢) (أى أى أجناس الأشياء عندك) فى هذه العبارة تساهل من وجهين أولهما أن مايسأل بها عن جنس واحد لا عن جمع فالمراد أى جنس من أجناس الأشياء عندك ، وثانيهما أن السؤال بما غير السؤال بأى ففى تفسيرها بها تساهل أيضا .

(٣) (أو عن الوصف . . .) قد ذكر السبكى أن هذا ينافى ماذكره علماء المنطق من أن الذى يسأل به عن الصفات المميزة أى لاما ثم أجاب عن السكاكى بأنه يريد أنها قد تخرج عن حقيقتها فيستفهم بها عن الصفات والأولى أن يقال فى جواب ذلك كريم ونحوه بالتنكير لا التعريف

معرفته لكن لما لم يطابق السؤال عند فرعون عجب الجهلة الذين حوله من قول موسى بقوله لهم ألا تستمعون ثم لما وجده مصرا على الجواب بالوصف إذ قال فى المرة الثانية (ربكم ورب آبائكم الأولين) استهزأ به وجننه بقوله (إن رسولكم الذى أرسل اليكم لمجنون) وحين رآهم موسى عليه السلام لم يفطنوا لذلك فى المرتين غلظ عليهم فى الثالثة بقوله إن كنتم تعقلون ، وإما عن الوصف طمعا فى أن يسلك موسى عليه السلام فى الجواب معه مسلك الحاضرين لو كانوا هم المسئولين مكانه لشهرته بينهم برب العالمين الى درجة دعت السحرة إذ عرفوا الحق أن أعقبوا قولهم آمنا برب العالمين بقولهم رب موسى وهرون نفياً لاتهامهم أن يعنوه ولجهله بحال موسى إذ لم يكن جمعهما قبل ذلك مجلس بدليل قال أولو جئتك بشىء مبين قال فائت به إن كنت من الصادقين فحين سمع الجواب تعداه عجب واستهزأ وجنن وتفيهق بما تفيهق من قوله لئن اتخذت إلها غيرى لأجعلنك من المسجونين .

وأما من فقال السكاكى هو للسؤال عن (١) الجنس من ذوى العلم تقول من جبريل بمعنى أبشر هو أم ملك أم جنى وكذا من إبليس ومن فلان ومنه قوله تعالى حكاية عن فرعون فمن ربكما ياموسى أى أملك هو أم بشر أم جنى منكرا لأن يكون لهما رب سواه لادعائه الربوبية لنفسه ذاهبا فى سؤاله هذا الى معنى ألكما رب سواى فأجاب موسى عليه السلام بقوله (ربنا الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى) كأنه قال نعم لنا رب سواك هو الصانع الذى إذا سلكت الطريق الذى بين بايجاده لما أوجد وتقديره إياه على ما قدر واتبعت فيه الخريت الماهر وهو العقل الهادى عن الضلال

---

(١) (عن الجنس من ذوى العلم) المراد الجنس اللغوى فيشمل النوع والصنف .

لزمك الاعتراف بكونه ربا وأن لارب سواه وأن العبادة له منى ومنك ومن الخلق أجمع حق لامدفع له ، وقيل هو للسؤال [1] عن العارض المشخص لذى العلم وهـذا أظهر لأنه إذا قيل من فلان يجاب بزيد ونحوه مما يفيد التشخيص [2] ولا نسلم صحة الجواب بنحو بشر أو جنى كما زعم السكاكى .

[3] وأما أى فللسؤال عما يميز أحد المتشاركين فى أمر يعمهما يقول القائل عندى ثياب فتقول أى الثياب هى فتطلب منه وصفا يميزها عندك عما يشاركها فى الثوبية وفى التنزيل أى الفريقين خير مقاما [4] أى أنحن

---

(١) (عن العارض المشخص . . .) يعنى بالعارض المشخص لذى العلم الأمر المتعلق به فيشمل علمه والوصف الخاص به فاذا قيل من فلان يصح أن يجاب بزيد كما ذكره ويصح أن يجاب بوصف خاص به .

(٢) (ولا نسلم صحة الجواب بنحو بشر . . .) وأما قول الشاعر :

أتوا نارى فقلت منون أنتم ... فقالوا الجن قلت عموا صباحا

فيحتمل أنه من أسلوب الحكيم وأنه سأل عن مشخصهم لظنه أنهـم من البشر فأجابوه بذلك لتخطئته فيـه لا لأنه سأل بها عن الجنس فأجابوه على وفق سؤاله .

(٣) (وأما أى فللسؤال عما يميز . . .) أى عن الوصف الذى يميز ذلك والأمر الذى يعمهما هو مضمون ماتضاف إليه كالثوبية والفريقية والخطاب فى الأمثلة الثلاثة الآتية ولا يخفى أن هذا معنى نحوى لأى فلا معنى لذكره فى هذا العلم .

(٤) (أى أنحن أم أصحاب محمد) لا يخفى أن الموافق لسياق الآية (وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للذين آمنوا أى الفريقين خير مقاما وأحسن نديا) أن يكون السؤال هكذا آلذين آمنوا بها أم الذين

أم أصحاب محمد عليه السلام وفيه أيكم يأتيني بعرشها أي الانسى أم الجنى

(١) وأما كم فللسؤال عن العدد إذا قلت كم درهما لك وكم رجلا رأيت فكأنك قلت أعشرون أم ثلاثون أم كذا أم كذا (٢) وتقول كم درهمك وكم مالك أى كم دانقا أو كم دينارا وكم ثوبك أى كم شبرا أو كم ذراعا وكم زيد ماكث أى كم يوما أو كم شهراً وكم رأيتك أى كم مرة وكم سرت أى كم فرسخا أو كم يوما قال الله تعالى قال قائل منهم كم لبثتم أى كم يوما أو كم ساعة وقال كم لبثتم فى الأرض عدد سنين وقال سل بنى إسرائيل كم آتيناهم من آية بينة ومنه قول الفرزدق :

(٣) كم عمة لك ياجرير وخالة فدعاء قد حلبت على عشارى

فيمن روى بالنصب وعلى رواية الرفع تحتمل الاستفهامية والخبرية وأما كيف فللسؤال عن الحال إذا قيل كيف زيد فجوابه صحيح أو سقيم أو مشغول أو فارغ ونحو ذلك . وأما أين فللسؤال عن المكان إذا قيل

لم يؤمنوا فيكون السؤال بأى عن الوصف المميز لأحسن الفريقين لا عن ذاتهما لأن هذا لا يسأل عنه بأى وكذا يقال فيما ذكره فى قوله تعالى (أيكم يأتينى بعرشها) .

(١) (وأما كم فللسؤال عن العدد) لا يخفى أن هذا معنى نحوى لكم أيضا وما كان أحسن لو أجمل ذكر هذه الأدوات كما أجمل ذكر أدوات الشرط فيما سبق .

(٢) (وتقول كم درهمك . . .) يشير بهذا إلى أن الشىء قد يكون واحدا والتمييز لأجزائه وإلى أن المميز قد يحذف للعلم به .

(٣) (كم عمة لك ياجرير وخالة : البيت) الفدع بفتح الدال عوج فى المفاصل كأنها قد زالت عن مواضعها ، والعشار جمع عشراء كنفساء وزنا ومعنى أو هى الناقة التى مضى لحملها عشرة أشهر .

أين زيد فجوابه فى الدار أو فى المسجد أو فى السوق ونحو ذلك . وأما أنى فتستعمل تارة (١) بمعنى كيف قال الله تعالى فأتوا حرثكم أنى شئتم أى كيف شئتم وأخرى (٢) بمعنى من أين قال الله تعالي أنى لك هذا أى من أين لك . وأما متى وأيان فللسؤال عن الزمان اذا قيل متى جئت أو أيان جئت قيل يوم الجمعة أو يوم الخميس أو شهر كذا أو سنة كذا . وعن على بن عيسى الربعى أن أيان تستعمل (٣) فى مواضع التفخيم كقوله تعالي (يسأل أيان يوم القيامة) (يسألون أيان يوم الدين) .

ثم هذه الألفاظ كثيراً ما تستعمل فى معان غير الاستفهام بحسب ما يناسب المقام (٤) منها الاستبطاء نحو كم دعوتك وعليه قوله تعالى (حتى يقول الرسول

---

(١) (بمعنى كيف) لكن يجب أن يكون بعدها فعل بخلاف كيف

(٢) (بمعنى من أين) والفرق بين أين ومن أين أن أين للسؤال عن المكان الذى حل فيه الشيء ومن أين للسؤال عن المكان الذى برز منه الشيء

(٣) (فى مواضع التفخيم) أى ونحوه كالاستبعاد وهو الأظهر فى الآيتين لأن السؤال فيهما ممن لا يعتقد بيوم القيامة ولا بيوم الدين فالظاهر فى سؤاله الاستبعاد لا التفخيم .

(٤) (فى معان غير الاستفهام) ودلالتها على هـذه المعاني مجاز أو كناية أو من مستتبعات الكلام على ما سنبينه ولا يخفى أن الأولى بأن يذكر هـذا فيه علم البيان لا علم المعانى وإن كانت هـذه المعانى ربما تأتى لأغراض سينبه على بعضها فيما يأتى .

(٥) (منها الاستبطاء . . .) إذا حمل على المجاز فهو من باب إطلاق اسم المسبب وإرادة السبب لأن الاستفهام عن عدد الدعاء مثلا مسبب عن تكرير الدعوة وتكريرها مسبب عن الاستبطاء فى إجابتها .

والذين آمنوا معه متى نصر الله) [1] ومنها التعجب نحو قوله (مالى لا أري الهدهد) [2] ومنها التنبيه على الضلال نحو (فأين تذهبون) [3] ومنها الوعيد كقولك لمن يسيء الأدب ألم أؤدب فلانا اذا كان عالما بذلك وعليه قوله تعالى (ألم نهلك الأولين) [4] ومنها الأمر نحو قوله تعالى (فهل أنتم مسلمون) ونحو

---

(١) (ومنها التعجب . . .) إذا حمل علي المجاز فهو من باب استعمال اسم الملزوم فى اللازم لأن سؤال العاقل عن حال نفسه مثلا يستلزم جهله به والجهل به يستلزم التعجب منه وقد كان الهدهد لا يغيب عن سليمان إلا باذنه فلما لم يبصره مكانه تعجب من حال نفسه فى عدم إبصاره إياه لظنه حضوره وأن المانع لرؤيته له من نفسه . ويجوز أن يكون الاستفهام حقيقيا عن السبب فى عدم رؤيته ليخبره به الحاضرون من جنوده وأصحابه .

(٢) (ومنها التنبيه على الضلال . . .) إذا حمل على المجاز فهو من استعمال اسم الملزوم فى اللازم لأن الاستفهام عن الطريق مثلا يستلزم تنبيه المخاطب اليه فاذا سلك طريقا واضح الضلالة كان هذا غفلة منه عن الالتفات لذلك الطريق فاذا نبه اليه كان هذا تنبيها له على ضلاله وقيل إنه يجوز أن يجعل اللفظ مستعملا فى الاستفهام ليتوصل به الى ذلك على طريق الكناية وأن يجعل من مستتبعات الكلام فلا يكون مجازا ولا كناية ولا يخفي أن ذلك يجوز فى غيره أيضا على ماسبق ،

(٣) (ومنها الوعيد . . .) إذا حمل على المجاز فهو من استعمال اسم الملزوم فى اللازم لأن الاستفهام فى المثال المذكور ينبه المخاطب الى جزاء إساءة الأدب وهذا يستلزم وعيده لاتصافه بها .

(٤) (ومنها الأمر . . .) إذا حمل على المجاز فهو من باب الاطلاق والتقييد علي نحو ما يأتى فى التقرير .

(فهل من مدكر)[١] ومنها التقرير ويشترط في الهمزة أن يليها المقر به كقولك أفعلت اذا أردت أن تقرره بأن الفعل كان منه وكقولك أأنت فعلت إذا أردت أن تقرره بأنه الفاعل وذهب الشيخ عبدالقاهر والسكاكي وغيرهما الى أن قوله (أأنت فعلت هذا بآلهتنا ياابراهيم) من هذا الضرب قال الشيخ لم يقولوا ذلك له عليه السلام وهم يريدون أن يقر لهم بأن كسر الأصنام قد كان ولكن أن يقر بأنه منه كان وكيف وقد أشاروا له الى الفعل في قولهم أأنت فعلت هذا وقال عليه السلام بل فعله كبيرهم هذا ولو كان التقرير بالفعل في قولهم أأنت فعلت لكان الجواب فعلت أو لم أفعل [٢] وفيه نظر لجواز أن تكون الهمزة فيه على أصلها إذ ليس في السياق مايدل على أنهم كانوا عالمين بأنه عليه السلام هو الذى كسر الأصنام وكقولك أزيداً ضربت اذا أردت أن تقرره بأن مضروبه زيد [٣] ومنها الانكار إما للتوبيخ

---

(١) (ومنها التقرير) إذا حمل على المجاز فهو أيضا من باب الاطلاق والتقييد لأن الاستفهام طلب الاقرار بالجواب مع سبق جهل المستفهم فاستعمل في مطلق طلب الاقرار ثم في طلب الاقرار من غير سبق جهل

(٢) (وفيه نظر لجواز . . .) قدرده السبكي بوجوه منها أن قوله قبل ذلك (لأكيدن أصنامكم) وقولهم سمعنا فتى يذكرهم فيهما دلالة ظاهرة على أنهم كانوا يعلمون بأنه هو الذى كسرها والخطب في ذلك سهل .

(٣) (ومنها الانكار) إذا حمل على المجاز فالعلاقة بينه وبين الاستفهام أن المستفهم عنه مجهول والمجهول منكر والأحسن حمله على الكناية أو جعله من مستتبعات الكلام لأن الاستفهام في هذا إذا كان يفسر بالانكار فهو لايخلو من قصد أيضا ليتنبه به السامع فيخجل ويرتدع ويعيا بالجواب لادعائه القدرة على ما لا يقدر عليه أو نحوه .

بمعنى ما كان ينبغي أن يكون نحو أعصيت ربك (١) أو بمعنى لا ينبغي أن يكون كقولك للرجل يضيع الحق أتنسى قديم إحسان فلان . وكقولك للرجل يركب الخطر أتخرج في هذا الوقت أتذهب فى غير الطريق والغرض بذلك تنبيه السامع حتى يرجع الى نفسه فيخجل أو يرتدع عن فعل ماهم به وإما للتكذيب بمعنى لم يكن كقوله تعالي (أفأصفا كم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة إناثا) وقوله (أصطفى البنات على البنين) أو بمعنى لا يكون نحو أنلزمكموها وأنتم لها كارهون وعليه قول امرىء القيس :

(٢) أيقتلني والمشرفي مضاجعي ومسنونة زرق كأنياب أغوال

فيمن روى أيقتلنى بالاستفهام (٣) وقول الآخر :

أأترك أن قلت دراهم خالد زيارته إنى إذا للئيم

والانكار كالتقرير يشترط أن يلي المنكر الهمزة كقوله تعالى أغير الله تدعون، أغير الله أتخذ وليا، أبشرا منا واحدا نتبعه وكقوله تعالى (وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم أهم يقسمون رحمة ربك)

(١) (أو بمعنى لا ينبغى أن يكون) وهذا إذا كان الموبخ عليه واقعا فى الحال أو بصدد الوقوع فى المستقبل .

(٢) (أيقتلني والمشرفى مضاجعى . البيت) المشر فى السيف المنسوب الى مشارف الشام ، والمسنونة السهام المحدودة النصال وقد جعلها زرقا لخضرتها وصفائها ، ولعل من روى بغير الاستفهام يقول (ليقتلني) على نحو البيت الذى قبله وسيأتى قريبا .

(٣) (وقول الآخر : أأترك أن قلت دراهم خالد . البيت) هو عمارة ابن عقيل وأن بفتح الهمزة أو كسرها وتقديره على الأول لأن قلت وهو الأظهر ، وخالد ابن يزيد بن مزيد الشيباني .

أى ليسوا هم المتخيرين للنبوة من يصلح لها المتولين لقسم رحمة الله التى لا يتولاها إلا هو بباهر قدرته وبالغ حكمته وعد الزمخشرى قوله أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين وقوله أفأنت تسمع الصم أو تهدى العمى من هذا الضرب على أن المعنى أفأنت تقدر على إكراههم على الايمان أوفأنت تقدرعلى هدايتهم على سبيل القسر والالجاء أى إنما يقدر على ذلك الله لا أنت وحمل السكاكى تقديم الاسم [(١)] فى هذه الآيات الثلاث على البناء على الابتداء دون تقدير التقديم والتأخير كما مر فى نحو أنا ضربت فلا يفيد إلا تقوى الانكار ، ومن مجيء الهمزة للانكار نحو قوله تعالى أليس الله بكاف عبده وقول جرير :

ألستم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح

أى الله كاف عبده وأنتم خير من ركب المطايا لأن نفى النفى إثبات وهذا مراد من قال إن الهمزة فيه للتقرير [(٢)] أى للتقرير بما دخله النفي لا للتقرير بالانتفاء [(٣)] وإنكار الفعل مختص بصورة أخرى وهي نحو قولك أزيدا ضربت أم عمرا لمن يدعى أنه ضرب إما زيدا وإما عمرا دون غيرهما لأنه إذا لم يتعلق الفعل بأحدهما والتقدير أنه لم يتعلق بغيرهما

(١) (فى هذه الآيات الثلاث) آية أهم يقسمون والآيتان بعدها .

(٢) (أى للتقرير بما دخله النفى) لأن التقرير لا يجب أن يكون بالحكم الذى دخلت عليه الهمزة بل يكون بما يعرف المخاطب فيه إثباتا أو نفيا ومن هذا قوله تعالى (أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى إلهين من دون الله) فان التقرير فيه بما يعرف عيسى عليه السلام من هذا الحكم لا بأنه قد قال ذلك .

(٣) (وإنكار الفعل مختص بصورة أخرى) أى لا يكون الفعل فيها واليا للهمزة كالصورة السابقة .

فقد انتفى من أصله لا محالة وعليه قوله تعالى (قل آلذكرين حرم أم الأنثيين أما اشتملت عليه أرحام الأنثيين) أخرج اللفظ مخرجه إذا كان قد ثبت تحريم فى أحد الأشياء ثم أريد معرفة عين المحرم مع أن المراد إنكار التحريم من أصله وكذا قوله آلله أذن لكم إذ معلوم أن المعنى على إنكار أن يكون قد كان من الله تعالى إذن فيما قالوه من غير أن يكون هذا الاذن قد كان من غير الله فأضافوه الى الله إلا أن اللفظ أخرج مخرجه اذا كان الأمر كذلك ليكون أشد لنفى ذلك وإبطاله فانه اذا نفى الفعل عما جعل فاعلا له فى الكلام ولا فاعل له غيره لزم نفيه من أصله ، قال السكاكى رحمه الله وإياك أن يزول عن خاطرك التفصيل الذى سبق فى نحو أنا ضربت وأنت ضربت وهو ضرب من احتمال الابتداء واحتمال التقديم وتفاوت المعنى فى الوجهين فلا تحمل نحو قوله تعالى آلله أذن لكم على التقديم فليس المراد أن الاذن ينكر من الله دون غيره ولكن احمله على الابتداء مرادا منه تقوية حكم الانكار وفيه نظر لأنه إن أراد أن نحو هذا التركيب أعنى ما يكون الاسم الذى يلى الهمزة فيه مظهرا لا يفيد توجه الانكار الى كونه فاعلا للفعل الذى بعده فهو ممنوع وإن أراد أنه يفيد ذلك إن قدر تقديم وتأخير وإلا فلا على ماذهب اليه فيما سبق فهذه الصورة مما منع هو ذلك فيه على ما تقدم ، لا يقال قد يلى الهمزة غير المنكر فى غير ما ذكرتم كما فى قوله :

* أيقتلنى والمشرفى مضاجعي *

فان معناه أنه ليس بالذى يجىء منه أن يقتل مثلى بدليل قوله :

(١) يغط غطيط البكر شد خناقه ليقتلنى والمرء ليس بقتال

---

(١) (يغط غطيط البكر شد خناقه . البيت) غط البعير هدر فى

لأنا نقول ليس ذلك معناه لأنه قال والمشرفى مضاجعى فذكر مايكون منعا من الفعل والمنع إنما يحتاج اليه مع من يتصور صدور الفعل منه دون من يكون فى نفسه عاجزاً عنه (١) ومنها التهكم نحو (أصلاتك تأمرك أن نترك مايعبد آباؤنا أو أن نفعل فى أموالنا مانشاء)(٢) ومنها التحقير كقولك من هذا وما هذا (٣) ومنها التهويل كقراءة ابن عباس رضى الله عنهما (ولقد نجينا بنى اسرائيل من العذاب المهين من فرعون) بلفظ الاستفهام لما وصف الله تعالى العذاب بأنه مهين لشدته وفظاعة شأنه أراد أن يصور كنهه فقال من فرعون أى أتعرفون من هو فى فرط عتوه وتجبره ماظنكم بعذاب يكون هو المعذب به ثم عرف حاله بقوله إنه كان عاليا من المسرفين(٤) ومنها الاستبعاد نحو أنى لهم الذكرى وقد جاءهم

الشقشقة ، والبكر الفتى من الابل ، والخناق ما يخنق به كالحبل ونحوه

(١)(ومنها التهكم) إذا حمل على المجاز فعلاقته اللزوم لأن الاستفهام عن الشيء يقتضى الجهل به وبفائدته والجهل بذلك يقتضى الاستخفاف به

(٢) (ومنها التحقير) إذا حمل على المجاز فعلاقته اللزوم لأن الاستفهام عن الشيء يقتضى الجهل به وهذا يقتضى عدم الاعتناء به وتحقيره وقد قيل فى الفرق بين التحقير والتهكم أن التهكم قد يكون مع كون المتهكم به عظيما فى نفسه

(٣) (ومنها التهويل) إذا حمل على المجاز فهو من إطلاق اسم المسبب على السبب لأن الاستفهام عن الشيء ينشأ عن الجهل به والجهل به ينشأ عن كونه هائلا لايدرك كنهه وإنما يحمل الاستفهام على التهويل لغرض يناسب حمله عليه وهو فى الآية المذكورة تأكيد شدة العذاب الذى نجى الله منه بنى إسرائيل

(٤) (ومنها الاستبعاد) هو قريب من الاستبطاء الذى سبق والفرق

رسول مبين ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون ، ومنها التوبيخ والتعجيب جميعا كقوله تعالى (كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحيا كم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم اليه ترجعون) أى كيف تكفرون والحال أنكم عالمون بهذه القصة أما التوبيخ فلأن الكفر مع هـذه الحال ينبىء عن الانهماك فى الغفلة أو الجهل وأما التعجيب فلأن هذه الحال تأبى أن لا يكون للعاقل علم بالصانع وعلمه به يأبي أن يكفر وصدور الفعل مع الصارف القوى مظنة تعجب ونظيره (أتأمرون الناس بالبر و تنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب)

ومن أنواع الانشاء الأمر والأظهر أن صيغته من المقترنة باللام نحو ليحضر زيد وغيرها نحو أكرم عمراً ورويد بكرا موضوعة لطلب الفعل استعلاء لتبادر الذهن عند سماعها إلى ذلك وتوقف ما سواه على القرينة قال السكاكى ولاطباق أئمة اللغة على إضافتها إلى الأمر بقولهم صيغة

بينهما أن الاستبطاء يتوقع ما يتعلق به بخلاف الاستبعاد .

هذا وقد يأتى الاستفهام لمعان غير هذه المعانى مثل التمنى والعرض والتحضيض والمبالغة فى المدح كقول الشاعر :

بدا فراع فؤادى حسن صورته فقلت هل ملك ذا الشخص أم ملك

أو فى الذم كقول زهير :

وما أدرى وسوف إخال أدرى أقوم آل حصن أم نساء

أو التدله فى الحب كقوله :

بالله يا ظبيات القاع قلن لنا ليلاى منكن أم ليلى من البشر

وقد ذكر السبكى أن هذا النوع من خروج الاستفهام عن حقيقته يسمى الاعنات وسماه ابن المعتز تجاهل العارف ثم اختار بقاء معنى الاستفهام فيه مع هذه المعانى وبهذا يكون ذلك من علم البديع لا من علم البيان ، وهذه أمثلة من الشعر لاستعمال الاستفهام فى هذه المعاني :

الأمر ومثال الآمر ولام الأمر (١) وفيه نظر لايخفي على المتأمل ، ثم إنها أعنى صيغة الأمر (٢) قد تستعمل فى غير طلب الفعل بحسب مناسبة المقام (٣) كالاباحة كقولك فى مقام الاذن جالس الحسن أو ابن سيرين. ومن أحسن ماجاء فيه (٤) قول كثير :

أسيئى بنا أو أحسنى لاملومة ... لدينا ولا مقلية إن تقلت

اذا محاسنى اللاتى أتيه بهـــا ... عدت ذنوبي فقل لى كيف أعتذر

ألم تر أن الله أعطاك ســورة ... ترى كل ملك دونها يتذبذب

ما أنت يا دنيـــا أرؤيا نائم ... أم ليل عرس أم بساط سلاف

أعندى وقد مارست كل خفية ... يصدق واش أو يخيب سائل

ومن مثل كافور إذا الخيل أحجمت ... وكان قليلا من يقول لها اقدمى

إذا أنت لم تشرب مرارا على القذى ... ظمئت وأى الناس تصفو مشاربه

(١) (وفيه نظر لايخفى على المتأمل) لأن أئمة اللغة لايريدون بالأمر فى هذا طلب الفعل على جهة الاستعلاء وإنما يريدون الأمر فى مثل قم، وليقم ولو لم يكن ذلك للاستعلاء بدليل أنهم يستعملون ذلك فى مقابلة صيغة الماضى والمضارع .

(٢) (قد تستعمل فى غير الطلب) أى لعلاقة بينه وبين الأمر فاذا قامت قرينة على منع إرادة معنى الأمر فهو مجاز وإلا فهو كناية وبهذا لا تكون مباحث الأمر أيضا من هذا العلم إلا بمقدار ماسيبين فى ذلك من المقامات الداعية الى استعمال صيغته فى غير ما وضعت له من المعانى الآتية والأجدر بها أن تذكر فى علم البيان أيضا .

(٣) (كالاباحة) وذلك اذا استعملت صيغة الأمر فى مقام توهم السامع فيه حظر شىء عليه والعلاقة بين الطلب والاباحة اشتراكهما فى مطلق الاذن فهو من استعمال اسم الأخص فى الأعم .

(٤) (قول كثير : أسيئى بنا أو أحسنى لاملومة . البيت) ملومة بالرفع

أى لاأنت ملومة ولامقلية ووجه حسنه إظهار الرضابوقوع الداخل تحت لفظ الأمر حتى كأنه مطلوب أى مهما اخترت فى حقى من الاساءة والاحسان فأنا راض به غاية الرضا فعامليني بهما وانظرى هل تتفاوت حالى معك فى الحالين ، (١) والتهديد كقولك لعبد شتم مولاه وقد أدبته اشتم مولاك وعليه (اعملوا ماشئتم) (٢) والتعجيز كقولك لمن لمن يدعى أمرا تعتقد أنه ليس فى وسعه افعله وعليه (فأتوا بسورة من مثله) (٣) والتسخير نحو (كونوا قردة خاسئين) (٤) والاهانة نحو (كونوا حجارة أو حديدا) وقوله تعالى (ذق إنك أنت العزيز الكريم) (٥) والتسوية كقوله (أنفقوا طوعا أو كرها لن يتقبل منكم) وقوله (اصبروا

خبر مبتدإ محذوف تقديره لا أنت ملومة ، ولا مقلية من القلى وهو البغض ، وتقلت أبغضت وهو التفات من الخطاب الى الغيبة .

(١) (والتهديد) وذلك إذا استعملت صيغة الأمر فى مقام عدم الرضا بالمأمور به والعلاقة بين الطلب والتهديد مابينهما من شبه التضاد .

(٢) (والتعجيز) وذلك فى مقام إظهار عجز من يدعى أن فى وسعه أن يفعل مايعجز عن فعله والعلاقة هنا شبه التضاد أيضا .

(٣) (والتسخير) وذلك فى مقام يكون المأمور فيه منقادا للأمر بدون قدرة له فيه والعلاقة هنا المشابهة فى مطلق الالزام .

(٤) (والاهانة) وذلك فى مقام عدم الاعتداد بشأن المأمور والعلاقة هنا اللزوم لأن طلب الشيء من غير قصد حصوله لعدم القدرة عليه مع كونه من الأحوال الخسيسة يستلزم إهانة المأمور ، والفرق بين الاهانة والتسخير أن الاهانة لايحصل فيها الفعل المأمور به بخلاف التسخير .

(٥) (والتسوية) وذلك فى مقام توهم رجحان أحد أمرين على الآخر والعلاقة هنا التضاد وقد قيل أن صيغة التسوية إخبار لا إنشاء .

أولا تصبروا) (١) والتمنى كقول امرىء القيس

(٢) ألا أيها الليل الطويل ألا انجلى *

(٣) والدعاء اذا استعملت فى طلب الفعل على سبيل التضرع نحو (رب اغفر لى ولوالدى)، والالتماس اذا استعملت فيه على سبيل التلطف كقولك لمن يساويك فى الرتبة افعل بدون الاستعلاء، (٤) والاحتقار نحو (ألقوا ماأنتم ملقون) (٥) ثم الأمر قال السكاكي حقه الفور لأنه الظاهر من الطلب ولتبادر الفهم عند الأمر بشىء بعد الأمر بخلافه إلي

---

(١) (والتمنى) وذلك فى مقام طلب شىء محبوب لا قدرة للطالب عليه والعلاقة هنا التضاد أيضا.

(٢) (ألا أيها الليل الطويل ألا انجلى) هو من معلقته (قفانبك)

ألا أيها الليل الطويل ألا انجلي بصبح ومالاصباح منك بأمثل

(٣) (والدعاء) قد اختار السبكى أن استعمال الطلب فيه حقيقة لا مجاز وكذلك الالتماس.

(٤) (والاحتقار) هو قريب من الاهانة أو هما شىء واحد فماقيل هناك فى مقام التجوز وعلاقته يقال هنا.

(٥) (ثم الأمر قال السكاكى ...) لايخفى أن هذا بحث أصولى لامعنى لذكره فى هذا العلم، وهذه أمثلة من الشعر لاستعمال الأمر فى معانيه السابقة:

سر إن اسطعت فى الهواء رويدا لا اختيالا على رفات العباد
يالبكر أنشروا لى كليبا يا لبكر أين أين الفرار
فعش واحداً أوصل أخاك فانه مقارف ذنب مرة ومجانبه
أرى العنقاء تكبر أن تصادا فعاند من تطيق له عنادا
ترفق أيها المولى عليهم فان الرفق بالجانى عتاب
فكن رجلا رجله فى الثرى وهامة همته فى الثريا

تغيير الأمر الأول دون الجمع وإرادة التراخي والحق خلافه لما تبين في أصول الفقه .

ومنها النهي وله حرف واحد وهو لا الجازمة في قولك لا تفعل وهو كالأمر في الاستعلاء (١) وقد يستعمل في غير طلب الكف أو الترك كالتهديد كقولك لعبد لا يمتثل أمرك لا تمتثل أمري .

(٢) واعلم أن هذه الأربعة أعني التمني والاستفهام والأمر والنهي (٣)تشترك في كونها قرينة دالة على تقدير الشرط بعدها كقولك ليت لي مالا

---

(١) (وقد يستعمل في غير طلب الكف أو الترك) وهذا على الخلاف بين الجماعة والمعتزلة في الأمرين وهو خلاف أصولي يشبه أن يكون لفظيا ولا معنى لذكره في هذا العلم واستعمال النهي في ذلك مجاز أيضا فالأجدر به أن يذكر في علم البيان كالأمر والعلاقة بين النهي والتهديد السببية لأن النهي عن الشيء يترتب عليه التخويف على مخالفته وقد يستعمل النهي في الدعاء كقوله تعالى (ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا) وفي الالتماس كقول الشاعر :

لا تطويا السر عني يوم نائبة ... فان ذلك ذنب غير مغتفر

وفي التمني كقول الشاعر :

ياليل طل يانوم زل ... يا صبح قف لا تطلع

وفي الارشاد كقول بشار :

ولا تحسب الشوري عليك غضاضة ... فان الخوافي قوة للقوادم

(٢) (واعلم أن هذه الأربعة . . .) لا يخفى أن هذا حكم نحوي فلا يصح أن يذكر هنا إلا من حيث بيان المقام الذي يدعو إليه من مقامات الحذف السابقة فالأولى به أن يذكر هناك ولا معنى لذكره هنا .

(٣) (تشترك في كونها قرينة . . .) وجه ذلك أن الحامل على الطلب

أنفقه أي إن أرزقه وقولك أين بيتك أزرك أى إن تعرفنيه وقولك أكرمنى أكرمك أى إن تكرمنى قال الله تعالى (فهب لى من لدنك وليا يرثنى) بالجزم فأما قراءة الرفع فقد حملها الزمخشرى على الوصف [١] وقال السكاكى الأولي حملها على الاستئناف دون الوصف لهلاك يحي قبل زكريا عليهما السلام وأراد بالاستئناف أن يكون جواب سؤال مقدر تضمنه ما قبله فكأنه لما قال فهب لى وليا قيل ماتصنع به فقال يرثنى فلم يكن داخلا فى المطلوب بالدعاء وقولك لا تشتم يكن خيرا لك أي إن لا تشتم [٢] وأما العرض كقولك لمن تراه لا ينزل ألا تنزل تصب خيرا أى إن تنزل فمولد من الاستفهام وليس به لأن التقدير أنه لا ينزل فالاستفهام عن عدم النزول طلب للحاصل وهو محال ، وتقدير الشرط فى غير هذه المواضع لقرينة جائز أيضا كقوله تعالى [٣] (فالله هو الولي) أى إن أرادوا أولياء بالحق

إما كون المطلوب مقصودا لذاته أو لغيره لتوقفه عليه فاذا كان مقصودا لغيره وذكر بعده يكون المتبادر إلى الذهن أن الطلب شرط فيه ويكون الطلب متضمنا لشرطه ومغنيا عن ذكره .

(١) (وقال السكاكى الأولى حملها على الاستئناف) فلا تدخل فى دعاء زكريا ولا يقدح تخلفها فيه وقد أجابوا بأن المراد إرث العلم والنبوة وقد حصل هذا وإن مات يحى قبله .

(٢) (وأما العرض . . .) يريد أن العرض داخل فى الاستفهام فهو مثله فى كونه قرينة دالة على الشرط وكذلك الترجى مثل التمنى فيه والدعاء ونحوه مثل الأمر والنهي .

(٣) (فالله هو الولى) وهذا من قوله تعالى (أم اتخذوا من دونه من أولياء فالله هو الولى) وقد قيل إن هذا من الأربعة السابقة لأنه استفهام وأجيب عنه بأن المعدود من الأربعة فى ذلك الحكم الاستفهام الحقيقى

فالله هو الولى بالحق لا ولى سواه وقوله (ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذن لذهب) أى لو كان معه إله إذن لذهب .

(١) ومنها النداء (٢) وقد تستعمل صيغته فى غير معناه (٣) كالاغراء فى

والاستفهام فى الآية توبيخي لا حقيقى .

(١) (ومنها النداء) هو طلب الاقبال بحرف نائب مناب أدعو ودلالة النداء على الطلب بطريق اللزوم لأنه بمقتضى تعريفه فى معنى أدعو وهي فعل مضارع لا أمر ولكن الدعاء يتضمن طلب الاقبال فلهذا جعل من أقسام الطلب وقيل إن النداء مجرد تنبيه لا طلب فيه وقيل إنه بمعنى أقبل فيدل على الطلب بالمطابقة لا بالالتزام .

(٢) (وقد تستعمل صيغته فى غير معناه) واستعماله فى هذا من المجاز فلا تكون مباحث النداء أيضا من هذا العلم إلا بمقدار ما سيذكر فى ذلك من المقامات الداعية إلى استعمال صيغته فى غير ما وضعت له ومن ذلك أيضا استعمال حروف نداء البعيد لنداء القريب لتنزيله منزلة البعيد واستعمال حروف نداء القريب لنداء البعيد لتنزيله منزلة القريب ومن الأول قول الشاعر :

يأيها السادر المزور من صلف ... مهلا فانك بالأيام منخدع

ومن الثاني قول الشاعر :

أسكان نعمان الأراك تيقنوا ... بأنكم فى ربع قلبي سكان

والأولى كما قلنا ذكر كل هذا فى علم البيان .

(٣) (كالاغراء فى قولك لمن أقبل يتظلم . . .) فلا تكون يا فيه للنداء لأن الاقبال حاصل ولا معنى لطلب الحاصل وإنما المراد إغراؤه على طلب الأمر الذى يناديه له واستعمال النداء فى هذا من المجاز المرسل وعلاقته الاطلاق والتقييد .

قولك لمن أقبل يتظلم يامظلوم (١) والاختصاص فى قولهم أنا أفعل كذا أيها الرجل ونحن نفعل كذا أيها القوم واغفر اللهم لنا أيتها العصابة أى متخصصا من بين الرجال ومتخصصين من بين الأقوام والعصائب .

(٢) ثم الخبر قد يقع موقع الانشاء إما للتفاؤل أو لاظهار الحرص فى

---

(١) (والاختصاص فى قولهم أنا أفعل كذا أيها الرجل) والمتكلم يعنى بالرجل فى هذا نفسه وهذه فى الحقيقة صورة نداء وليست بنداء ولكن أداة الاختصاص لما كثر استعمالها مع أدوات النداء نزلت منزلة أدواته وذهب الأخفش إلى أنها أداة نداء ولا يمتنع أن ينادى الانسان نفسه كما قال عمر كل الناس أفقه منك ياعمر والغرض من الاختصاص الافتخار ونحوه والعلاقة بينه وبين النداء الاطلاق والتقييد فان أيها الرجل أصله أن يستعمل دالا على تخصيص المعين لطلب الاقبال منه ثم نقل إلى مطلق التخصيص والتزم فيه حكم المنقول عنه من البناء على الضم كالنكرة المقصودة .

وقد تستعمل صيغة النداء فى الاستغاثة من استعمال ما للأعم في الأخص ، وفى التعجب لما بينه وبين النداء من المشابهة في أنه ينبغى الاقبال على كل من المنادى والمتعجب منه ، وفى التحسر والتوجع كما فى نداء الأطلال ونحوها ، ومن أمثلة ذلك كله :

ألاعم صباحا أيها الطلل البالى ... وهل يعمن من كان في العصر الخالى
أيا منازل سلمى أين سلماك ... من أجل هذا بكيناها بكيناك
يا ناق جدى فقد أفنت أناتك بى ... صبرى وعمرى وأنساعى وأحلاسى
يالك من قبرة بمعمر ... خلالك الجو فبيضى واصفرى
فواعجبا كم يدعى الفضل ناقص ... ووأسفا كم يظهر النقص فاضل
يالقومى ويالأمثال قومى ... لأناس عتوهم في ازدياد

(٢) (ثم الخبر قد يقع موقع الانشاء) واستعمال الخبر فى ذلك مجاز

وقوعه كما مر والدعاء بصيغة الماضى من البليغ يحتمل الوجهين أو للاحتراز عن صورة الأمر كقول العبد للمولى اذا حول عنه وجهه ينظر المولى الى ساعة (١) أو لحمل المخاطب على المطلوب بأن يكون المخاطب ممن لا يحب أن يكذب الطالب (٢) أو لنحو ذلك (تنبيه) ماذكرناه فى الأبواب الخمسة السابقة ليس كله مختصا بالخبر (٣) بل كثير منه حكم الانشاء فيه حكم الخبر

مرسل فى استعمال الماضى فى الطلب والعلاقة الضدية أو مجاز بالاستعارة لتشبيه غير الحاصل بالحاصل للتفاؤل أو للحرص على حصوله ، أما استعمال المستقبل فى الطلب فيجوز أن يجعل مجازا ويجوز أن يجعل كناية بأن يقال إن حصول الفعل فى الاستقبال لازم لطلب الفعل فى الحال فذكر اللازم وأريد الملزوم وقد منع السبكى أن يكون كناية لأنه فيها يكون خبراً لفظا ومعنى مع أنه إنشاء بصيغة الخبر .

(١) (أو لحمل المخاطب على المطلوب ...) كأن تقول لصاحبك تأتينى غدا بدل ائتنى لتحمله بألطف وجه على الاتيان لأنه إذا لم يأتك صرت كاذبا وهو لا يحب تكذيبك .

(٢) (أو لنحو ذلك) كالتنبيه على سرعة الامتثال فى نحو قوله تعالى (وإذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم) فى مقام لا تسفكوا .

وقد يقع الانشاء موقع الخبر لأغراض منها الاهتمام بالشىء كقوله تعالى (قل أمر ربى بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد) عدل فيه عن الخبر اهتماما بأمر الصلاة ، ومنها الرضا بالواقع حتى كأنه مطلوب كقوله صلى الله عليه وسلم (من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار) ومنها الاحتراز عن مساواة اللاحق بالسابق كقوله تعالى (قال إنى أشهد الله واشهدوا أنى برىء مما تشركون من دونه) عدل فيه عن وأشهدكم فرارا من مساواة شهادتهم بشهادته .

(٣) (بل كثير منه حكم الانشاء فيه حكم الخبر) وإنى أرى أن هذا

يظهر ذلك بأدنى تأمل فليعتبره الناظر .

القول فى الوصل والفصل

(١) الوصل عطف بعض الجمل على بعض والفصل تركه وتمييز موضع

الكثير هو الذى يعد فى الانشاء من علم المعانى أما الكلام على أنواعه هنا فقد عرفت أنه ليس من هذا العلم فيجب أن يحذف هذا الباب من أبوابه ويلحق بما يليق به من العلمين الآتيين على ما بينا وإنما كان الكثير من ذلك هو الذى يكون حكم الانشاء فيه حكم الخبر لأن بعضه لا يتفق فيه حكم الانشاء والخبر كالتأكيد فى الانشاء فانه لايكون للشك أو الانكار من المخاطب على ماسبق .

الوصل والفصل

(١) (الوصل عطف بعض الجمل على بعض ...) هذا ماذهب اليه عبد القاهر فى الفصل والوصل بل إن تنويهه بشأن الفصل والوصل ودقة مسلكهما ظاهر في أن اعتبار الفصل والوصل خاص بالجمل التى لامحل لها من الاعراب وبالواو وحدها من بين حروف العطف وقد صرح بهذا العلوى فى تعريف الفصل فقال إنه ترك الواو العاطفة بين الجملتين فيكون الوصل بحكم المقابلة ذكرها بينهما وكذلك ذكر ابن قيم الجوزى فى كتابه (الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان) نحو هذا فقال بعد تعريف الفصل والوصل والتنويه بشأنهما (واعلم أن فائدة العطف التشريك بين المعطوف والمعطوف عليه ثم من الحروف العاطفة مالا يفيد إلا هذا القدر وهو الواو وهو المراد بالذكر هنا) وقد ذكر عبد القاهر فى بيان عدم دقة الامر فى عطف المفرد على المفرد أنه يأتى للاشراك فى الحكم فامره سهل وكذلك شأن الجملة التى لها محل من الاعراب لوقوعها موقع المفرد ومثلهما شأن العطف بغير الواو لأنها تأتى لمعانيها النحوية المعروفة وأمرها سهل أيضا

أحدهما من موضع الآخر على ما تقتضيه البلاغة فن منها عظيم الخطر صعب المسلك دقيق المأخذ لا يعرفه على وجهه ولا يحيط علما بكنهه إلا من أوتى فى فهم كلام العرب طبعا سليما ورزق فى إدراك أسراره ذوقا صحيحا ولهذا قصر بعض العلماء البلاغة على معرفة الفصل من الوصل وما قصرها عليه لأن الأمر كذلك وإنما حاول بذلك التنبيه على مزيد غموضه وأن أحدا لا يكمل فيه إلا كمل في سائر فنونها فوجب الاعتناء بتحقيقه على أبلغ

وهذا كله بخلاف العطف بالواو فى الجمل التى لا محل لها من الاعراب لأنك إذا قلت زيد قائم وعمرو قاعد لم يكن معك حكم تزعم أن الواو أشركت بين الجملتين فيه فيشكل فى ذلك أمرها ويحتاج الى اعتبارات أخرى يؤتي به من أجلها كما سيأتى فى بيانها وقد ذهب الزمخشرى إلى أن الواو فى هذا تفيد الجمع بين مضمونى الجملتين فى الحصول كما تفيد فى عطف المفردين ونحوهما الاشراك فى الحكم ولا يخفى أنك إذا قلت زيد قائم عمرو قاعد بدون واو أفاد ذلك حصول الجملتين أيضا فليس للواو تأثير في هذا كما زعم الزمخشرى .

وقد جرى المتقدمون على ذلك إلى أن أتى السكاكى فقال في مفتاحه إن شرط كون العطف بالواو مقبولا هو أن يكون بين المعطوف والمعطوف عليه جهة جامعة مثل ما ترى فى نحو الشمس والقمر والسماء والأرض والجن والانس كل ذلك محدث بخلاف الشمس ومرارة الأرنب ودين المجوس كلها محدثة فبنى على هذا من أتى بعده من المتأخرين أن اعتبارات الفصل والوصل تأتى فى المفردات وفى الجمل التى لها محل من الاعراب كما تأتى فى الجمل التى لا محل لها من الاعراب وأنه لا فرق فى ذلك بين الواو وغيرها والمعول عليه عندهم فى ذلك كله هو الجهة الجامعة فمتى وجدت وجب الوصل وإلا وجب الفصل ﴾

* والحق ماذهب إليه عبد القاهر من عدم اشتراط الجهة الجامعة فى العطف بغير الواو مطلقا وبالواو فى المفردات والجمل التى لهـا محل من الاعراب لأن لها فى ذلك معانيها النحوية المعروفة من إفادة التشريك فى الحكم مطلقا أو مع الترتيب والتعقيب أو مع الترتيب والتراخى وهذه المعانى تـكفى فى تجويز العطف بهـا ولو لم يكن معها جهة جامعـة ولهذا يقبل أن تقول خرجت من المنزل فأمطرت السماء ولا يقبـل أن تقول خرجت من المنزل وأمطرت السماء لأن الواو ههنا ليست للتشريك فى الحـكم حتى يكفي فى تجويز العطف بها والاسـتغناء به عن اعتبار الجهة الجامعة الآتية فيها ولا شـك أن الاشتراك فى الحكم قد يكون بين أمور متناسـبة وقد يكون بين أمور غير متناسـبة ولا يوجد منصف يمنع من الاخبار به إلا إذا كان بين أمور متناسـبة لأنه يترتب على هذا أن يتعطل الكلام وألا يجرى بين الناس كما يقع بل كما تقتضيه تلك المناسبات اللفظية والمعنوية حتى إذا نظر إنسان إلى عالم وجاهل صح له أن يقول نظرت إلى عالم وجاهل لما بينهما من مناسـبة التقابل وإذا نظر إلي ضب ونون لايصح له أن يقول نظرت إلى ضب ونون لما يقولون من أن الجمع بين غير المتناسبين كالجمع بين الضب والنون ولايصح أن يقول بهذا أحد وقد جمع بعض الشعراء بين الضب والنون فى وصف واد جمع بينهمافقال:

زر وادى القصر نعم القصر والوادى   فى منزل حاضر إن شئت أو بادى
ترقى به السفن والظلمان حاضرة   والضب والنون والملاح والحادى

ولـكننا لا ننكر مع هـذا أن مراعاة ذلك تحسن فى الخيال الشـعرى ونحوه وقد اجتمع نصيب والـكميت وذو الرمة فأنشد الـكميت .

أم هـل ظعائن بالعلياء رافعة   وإن تكامل فيها الدل والشنب

فعقد نصيب واحـدة فقال له الـكميت ماذا تحصى ؟ فقال خطأك فانك تباعدت فى القول أين الدل من الشنب ألا قلت كما قال ذو الرمة :

ه لميـاء في شفتيها حوة لعس وفى اللثات وفى أنيابهـا برد

فالدل يذكر مع الغنج وما أشبهه والشنب يذكر مع اللعس وماأشبهه .
وكذلك عيب على أبي نواس فى قوله :

وقـــد حلفت يمينا مبرورة لا تـكذب
برب زمزم والحـو ض والصفاوالمحصب

فان ذكر الحوض مع زمزم والصفا والمحصب غير مناسب وإنما يذكر الحوض مع الصراط والميزان وماجرى مجراهما .

وإنمـا يحسن من ذلك مثل قوله تعالى (يعلم مايلج فى الأرض وما يخرج منها ومايبزل من السماء ومايعرج فيها) لما بين ذلك من تقابل التضاد ، وكذلك قول البحترى فى رثاء المتوكل :

ولم أنس وحش القصر إذ ريع سربه وإذ ذعرت أطلاؤه وجآزره
تحمل عنـــه ساكنوه فجاءة فعادت ســـواء دوره ومقابره

ولـكن ذلك كله كما ترى يرجع إلى محسنات بديعية ولايرجع إلى وجه من وجوه البلاغة التى يرجع إليها فى علم المعاني . فاذا كانت المفردات المتعاطفة صفات متتابعة من أخبار ونعوت ونحوها فالأصل فيها إذا لم تتقابل ترك العطف نظرا إلى أنها تجرى على موصوف واحد كما قال تعالي (عسى ربه إن طلقكن أن يبدله خيرا منكن مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات سائحات ثيبات وأبكارا) ويجوز عطف بعضها على بعض باعتبار المعانى الدالة عليها لتغايرها خصوصا إذا كانت متقابلة ولهذا عطفت الصفة الأخيرة فى الآية علي التى قبلها لمـا بينهما من المقابلة وإنما طلب العطف في هـذه الحالة ليزول استبعاد اجتماعهما فى ذات واحـدة وقد يترك العطف في ذلك إذا قصـد الوصف بمجموع الصفتين كـقولهم الرمان

وجه فى البيان فنقول والله المستعان : اذا أتت جملة بعد جملة (١) فالأولى منهما إما أن يكون لها محل من الاعراب أولا وعلى الأول إن قصد التشريك بينها وبين الثانية فى حكم الاعراب عطفت عليها وهذا كعطف المفرد على المفرد لأن الجملة لا يكون لها محل من الاعراب حتى تكون واقعة موقع المفرد (٢) فكما يشترط في كون العطف بالواو ونحوه مقبولا

حلو حامض وكل هذه كما ترى اعتبارات نحوية لا بيانية .

(١) (فالأولى إماأن يكون لها محل من الأعراب ...) إنماذكر السكاكى تقسيم الجمل إلى ذلك لبيان ما كان منها قريب الجامع أو بعيده لأنه يرى كما سبق أن لافرق فى الفصل والوصل بين الجمل التي لا محل لها من الاعراب وغيرها والخطيب كما سيأتى يري فى هذا رأيه ولكن أسلوبه يوهم أن لذلك شأنا فى الفصل والوصل كما هو مذهب عبد القاهر لا فى قرب الجامع أو بعده كما هو مذهب السكاكى ولو أنه جعل الجامع محل التقسيم لأصاب مذهبه .

(٢) (فكما يشترط فى كون العطف بالواو ونحوه مقبولا فى المفرد...) هذا صريح في أن الفصل والوصل يجريان عنده فى المفردات أيضا وإن لم يراع ذلك فى تعريفه لهما وقد أراد بنحو الواو ما يأتى بمعناها من حروف العطف كقول توبة بن الحمير :

وقد زعمت ليلى بأنى فاجر ... لنفسى تقاها أو عليها فجورها

أما غيرها فسيأتي أنه يوافق فيه من يرى له معنى مقصودا غير التشريك يحسن العطف به فيه عند وجوده وان لم توجد جهة جامعة معه والمراد بالجهة الجامعة الجامع الآتى بيانه لا مطلق جهة جامعة لان هذا شرط فى الكلام مطلقا على ما يأتى وتلك الجهة شرط فى العطف البيانى لا النحوى كما لا يخفى .

فى المفرد أن يكون بين المعطوف والمعطوف عليه جهة جامعة [١] كما فى قوله تعالى (يعلم مايلج فى الأرض ومايخرج منها وماينزل من السماء وما يعرج فيها) يشترط فى كون العطف بالواو ونحوه مقبولا فى الجملة ذلك كقولك زيد يكتب ويشعر أو يعطي ويمنع وعليه قوله تعالى (والله يقبض ويبسط واليه ترجعون) ولهذا عيب على أبي تمام قوله :

[٢] لا والذى هو عالم أن النوى   صبر وأن أبا الحسين كريم

إذ لا مناسبة بين كرم أبى الحسين ومرارة النوى ولا تعلق لأحدهما بالآخر، [٣] وإن لم يقصد ذلك ترك عطفها عليها كقوله تعالى (واذا خلوا الى

---

(١) (كما فى قوله تعالى يعلم ما يلج ...) الجهة الجامعة هنا التقابل وقد تكون شبه التماثل كما في قول الشاعر :

ثلاثة تشرق الدنيا ببهجتها   شمس الضحى وأبو اسحاق والقمر

(٢) (لا والذى هو عالم أن النوى . البيت) هو من قصيدة له فى مدح أبى الحسين محمد بن الهيثم وقبله هذا البيت :

زعمت هواك عفا الغداة كما عفا   عنها طلال باللوى ورسوم

والصبر بكسر الباء عصارة شجر مر والعطف فى البيت إما عطف مفرد على مفرد لتأويل أن واسمها وخبرها بالمصدر وإما عطف جملة على جملة لوقوع كل منهما موقع مفعولي عالم وهما فى الاصل مبتدأ وخبر وقد أجيب عن أبي تمام بان الجامع بينهما شبه التضاد لان مرارة النوى كالضد لحلاوة الكرم وعندى أن الذى يأخذ عليه هذا ينسى أنه يتخلص به من النسيب إلى المدح لأنا إذا راعينا هذا وجدناه من أحسن ما يتخلص به فى ذلك ويجمع به بين مقامي النسيب والمدح .

(٣) (وإن لم يقصد ذلك ترك عطفها) ترك العطف فى هذا لا يرجع الي وجه من وجوه البلاغة وإنما يرجع الى اعتبار نحوى هو عدم قصد

شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون الله يستهزىء بهم) لم يعطف الله يستهزىء بهم على إنا معكم لأنه لو عطف عليه لكان من مقول المنافقين وليس منه وكذا قوله تعالى (واذا قيل لهم لا تفسدوا فى الأرض قالوا إنما نحن مصلحون ألا إنهم هم المفسدون) وكذا قوله (واذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون) وعلى الثانى إن قصد بيان ارتباط الثانية بالأولى على معنى بعض حروف العطف [1] سوى الواو عطفت عليها بذلك الحرف فتقول دخل زيد فخرج عمرو اذا أردت أن تخبر أن خروج عمرو كان بعد دخول زيد من غير مهلة وتقول خرجت ثم خرج زيد اذا أردت أن تخبر أن خروج زيد كان بعد خروجك بمهلة وتقول يعطيك زيد دينارا أو يكسوك جبة اذا

التشريك فى الحكم فان العطف معه غير ممكن وقد سبق أن البلاغة لا تكون فى الوجه المتعين .

(١) (سوى الواو) قد وافق الخطيب فى هذا عبد القاهر لما سبق من أنه يجوز لك أن تقول خرجت من المنزل فأمطرت السماء مع أنه لا يجوز فيه العطف بالواو لعدم الجامع الآتى بين الجملتين وقد رد عليه السبكى بأنه لو لم يكن غير الواو فى ذلك كالواو لصح أن تقول جالينوس طبيب ثم سورة الاخلاص من القرآن ثم إن القرد يشبه الآدمى .وهذه غفلة ظاهرة من السبكى لأن اعتبارات الفصل والوصل إنما تقصد بعد تحقق ما يجب من اتساق الكلام فى ذاته والتئام أجزائه فاذا لم يتحقق فيه ذلك لم يفد فيه اعتبار وصل ولا فصل بدليل أنك لو قلت بدون عطف جالينوس طبيب . سورة الاخلاص من القرآن . القرد يشبه الآدمى لكان كلاما غير مستقيم أيضا فعدم اعتبار الجامع الآتى فى غير الواو لا يؤدى بنا أن نحكم بصحة العطف به فى ذلك ونحوه .

أردت أن تخبر أنه يفعل واحدا منهما لا بعينه وعليه قوله تعالى (سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين) وإن لم يقصد ذلك فان كان للأولى حكم لم يقصد إعطاؤه للثانية (١) تعين الفصل كقوله تعالى (وإذا خلوا الى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون الله يستهزىء بهم) لم يعطف الله يستهزىء بهم على قالوا لئلا (٢) يشاركه فى الاختصاص بالظرف المقدم وهو قوله (وإذا خلوا الى شياطينهم) فان استهزاء الله تعالى بهم وهو أن خذلهم فخلاهم وما سولت لهم أنفسهم مستدرجا إياهم من حيث لا يشعرون متصل لا ينقطع بكل حال خلوا الى شياطينهم أم لم يخلوا اليهم وكذلك فى الآيتين الأخيرتين فانهم مفسدون فى جميع الأحيان قيل لهم لا تفسدوا أولا وسفهاء فى جميع الأوقات قيل لهم آمنوا أولا ، وإن لم يكن للأولى حكم كما سبق (٣) فان

(١) (تعين الفصل) أى بلاغة لا نحوا لأن العطف إنما يقتضى التشريك فى حكم الاعراب لا فى القيود وقد ذكر ابن الحاجب أنه فى نحو ضربت زيدا يوم الجمعة وعمرا لا يلزم أن يكون ضرب عمرو أيضا يوم الجمعة ولكن هذا هو الظاهر من العطف فلهذا تعين الفصل فى تلك الصورة بلاغة وإن لم يتعين نحوا .

(٢) (لئلا يشاركه فى الاختصاص بالظرف المقدم) لأن تقديم المفعول ونحوه يفيد الاختصاص على ما سبق وقد قيل إن مثل هذا لا يقال فى إذا ونحوها من أدوات الشرط لأن تقديمها لما تستحق من الصدارة لا للتخصيص وإنما يجيء هنا التقييد بالظرف لا لكونه ظرفا بل لكونه شرطا فان الشرط قيد فى الجواب كما لا يخفى .

(٣) (فان كان بين الجملتين كمال الانقطاع ...) هذه أربع حالات للفصل تضاف الى الحالة السابقة فتكون خمس حالات (كمال الانقطاع بلا إيهام وكمال الاتصال وشبه كمال الانقطاع وشبه كمال الاتصال والتوسط

كان بين الجملتين كمال الانقطاع وليس فى الفصل إيهام خلاف المقصود كما سيأتى أو كمال الاتصال أو كانت الثانية بمنزلة المنقطعة عن الأولى أو بمنزلة المتصلة بها فكذلك يتعين الفصل أما فى الصورة الأولى فلأن الواو للجمع والجمع بين الشيئين يقتضى مناسبة بينهما كما مر وأما فى الثانية فلأن العطف فيها بمنزلة عطف الشىء على نفسه(١) مع أن العطف يقتضى المغايرة بين المعطوف والمعطوف عليه وأما فى الثالثة والرابعة فظاهر مما مر.

وأما كمال الانقطاع فيكون لأمر يرجع الى الاسناد أو الى طرفيه (٢) الأول أن تختلف الجملتان خبرا وإنشاء لفظا ومعنى كقولهم لاتدن من

بين الكمالين وهو الحالة السابقة التى تكون فيها الجملتان متناسبتان ولكن يوجد فى أولاهما حكم لا يقصد إعطاؤه للثانية) وأما الوصل فله حالتان (كمال الانقطاع مع الايهام والتوسط بين الكمالين مع فقد المانع من العطف) وكل من الفصل والوصل متعين في صوره ولكن تعينه فيها من جهة البلاغة لا النحو وسنبين ذلك فيما يأتى كما بيناه فيما سبق .

(١) (مع أن العطف يقتضى المغايرة) وأما العطف التفسيرى بالواو فليس من أسلوب البلغاء وإنما يأتى فى أسلوب المؤلفين وقيل إن الواو فيه حرف تفسير لاعطف وقد يكون من ذلك الواو الواردة فى فى هذين البيتين :

ألا حبذا هند وأرض بها هند وهند أتى من دونها النأى والبعد
وقددت الأديم لراهشيه وألفى قولها كذبا ومينا

ومن يرى أن هذه الواو للعطف يجعل ذلك من قبيل الحشو وسيأتى فى بابه .

(٢) (الأول أن تختلف الجملتان خبرا و إنشاء ...)اذا ختلفت الجملتان فى ذلك يكون وجوب الفصل بلاغة لانحوا لما ذكره سيبويه من جواز عطف

الأسد يا كالك وهل تصلح لى كذا أدفع اليك الأجرة بالرفع فيهما وقول الشاعر : [1]

وقال رائدهم أرسوا نزاولها ... فكل حتف امرىء يجرى بمقدار

أو معنى لا لفظا كقولك مات فلان رحمه الله [2] وأما قول اليزيدى :

ملكته حبلى ولكنه ... ألقاه من زهد على غاربى

وقال إنى فى الهوى كاذب ... إنتقم الله من الكاذب

فعده السكاكى رحمه الله من هذا الضرب [3] وحمله الشيخ عبدالقاهر

الجملتين المختلفتين بالاستفهام والخبر مثل هذا زيد ومن عمرو ؟ وإن خالفه الجمهور فى ذلك .

(١) (وقول الشاعر : وقال رائدهم أرسوا نزاولها . البيت) نسبه سيبويه الى الأخطل ولكنه لا يوجد فى ديوانه ، والرائد الذى يتقدم القوم لطلب الماء والكلا والمراد به هنا عريفهم وقائدهم ، وأرسوا بفتح الهمزة أو ضمها بمعنى أقيموا ، ونزاولها بالرفع نحاولها والضمير للحرب والحتف الهلاك والمقدار مصدر بمعنى القدر وفى العبارة قلب والأصل لحتف كل امرىء . وقيل إنه لا قلب فيه لأن الحتف يتنوع بتنوع أسبابه كما هو معلوم ، ويجوز أن يكون الفصل هنا لكون الجملة الثانية (نزاولها) مبنية على سؤال مقدر كما سيأتى والاستشهاد بالجملتين فى ذلك بالنظر الى المحكى فى ذاته لأنهما فيه لا محل لهما من الاعراب لا بالنظر الي الحكاية لأنهما بالنظر اليها فى محل نصب .

(٢) (وأما قول اليزيدى : ملكته حبلى ولكنه . البيت) الحبل فى اللغة الرباط أو الرسن أو الوصال أو العهد والذمة ، والغارب الكاهل أو مابين السنام والعنق .

(٣) (وحمله الشيخ...) قال السبكى وهو واضح فانه لا يصح أن يكون

رحمه الله على الاستئناف بتقدير قلت (١) الثانى أن لا يكون بين الجملتين جامع كما سيأتى .

مما نحن فيه إلا اذا كان (انتقم الله) من كلام المحكى عنه وفيه بعد .

(١) (الثاني ألا يكون بين الجملتين جامع ...) وانتفاء الجامع بينهما إما أن يكون بسبب انتفائه عن المسند اليه فيهما مثل قولك زيد طويل عمرو قصير وزيد وعمرو لا جامع بينهما من صداقة ونحوها وإما أن يكون بسبب انتفائه عن المسند فيهما كقولك فى حال صداقتهما مثلا زيد طويل عمرو نائم ، وهذا ما يريده القوم بكمال الانقطاع بين الجملتين فلا يعنون به إلا انتفاء ذلك الجامع الخاص ولا يعنون تفكك الكلام بحيث لا يكون هناك جهة ما تجمع بين أجزائه لأنه لا يقول به أحد ولا يصح تأليف كلام بهذا الشكل وصلت فيه أو فصلت كما سبق ذلك واذا كان ذلك مرادهم بكمال الانقطاع لم يكن هناك معنى لاعتراض بعض الكاتبين فى الفصل والوصل عليهم فى تلك التسمية التى زعمها توهم جواز تفكيك الكلام وقد بنى على هذا أنه يجب فيما يسمونه كمال الانقطاع وشبه كمال الانقطاع وما الى ذلك مما سبق أن يكون كله وجوه ارتباط واتصال بين الجمل ولا يضير بعد هذا أن يكون هذا الاتصال بالواو أو بترك الواو ولست أدرى كيف يكون الاتصال بترك الواو مع أن الواو هى أداة الاتصال ولا كيف يكون البحث عن وجوه ارتباط الكلام وهى ترجع الى اشتراك أجزائه فى غرض من الأغراض التى لا تنحصر واذا كان لا يريد بها إلا مواضع الوصل والفصل كما فعل فأى جديد أتى ؟ وأى قديم ترك ؟ إلا أن يكون القصد الى الخلاف اللفظى الذى لا قيمة له.

وهذه أبيات من الشعر تريك كيف يكون كمال الانقطاع بين الجملتين مع اتساقهما وتلاقيهما فى غرض من الأغراض :

سلمت وما الديار بسالمات ... على عنت البلى يادار هند
ولا زالت مفوقة الغوادي ... نصيب رباك من خطأ وعمد

وأما كمال الاتصال فيكون لأمور ثلاثة (الأول) (١) أن تكون الثانية

على أني متى مطرتك عيني   ففضل ما ســـقاك الغيث بعدى

أرى بصري عن كل يوم وليلة   يكل وخطوي عن مدى الخطو يقصر
ومن يصحب الأيام تسعين حجة   يغـــيرنه والدهر لا يتغـــير
لعمري لئن أمسيت أمشي مقيدا   لما كنت أمشي مطلق القيد أكثر

وقد يبلغ من تلاقى الجملتين يكون بينهما كمال الانقطاع الى حد أن تكون الثانية منهما مفرعة على الأولى ويصح لك عطفها عليها بالفاء أو الاكتفاء بالاتيان بها بعدها كما فى قول الشاعر :

الشيب كره وكره أن يفارقني   إعجب لشيء على البغضاء مودود

وقد روى أيضا هكذا (فاعجب لشيء على البغضاء مودود).

ومن الفصل لفقد ذلك الجامع مع اتصال سياق الكلام قوله تعالى (إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم) الآية . قطع فيه إن الذين كفروا عما قبله مع اتصال سياق السورة لأن ماقبله كان حديثا عن القرآن أما هو فحديث عن الكفار فكان الفصل فيه إيذانا بالانتقال الى موضوع آخر فى هذا السياق وتنبيها للسامع الى مواقع الكلام .

(١) (أن تكون الثانية مؤكدة للأولى) وكما يمتنع بالتأكيد العطف بين المؤكد وتأكيده يمتنع العطف بين التأكيدين قياسا على امتناع ذلك فى المفرد نحو قوله تعالى (فسجد الملائكة كلهم أجمعون) ومن ذلك فى الجمل قوله تعالى (الم ذلك الكتاب لاريب فيه هدى للمتقين) على ما يأتى وقد يعطف التأكيد فى الجمل على المؤكد بثم أو الفاء مثل قوله تعالى (كلا سيعلمون ثم كلا سيعلمون) (أولى لك فأولي ثم أولى لك فأولى) وهذا مما يؤيد ماسبق من تخصيص اعتبارات الفصل والوصل بالواو دون غيرها من حروف العطف وقد قيل إن هذا عطف صورى لا حقيقى وهى دعوى لا قيمة لها ولعل ما ذهب اليه الزمخشرى من أن ذلك تأسيس لا تأكيد

مؤكدة للأولى والمقتضى للتأكيد دفع توهم التجوز والغلط وهو قسمان (١) أحدهما أن تنزل الثانية من الأولى منزلة التأكيد المعنوى من متبوعه فى إفادة التقرير مع الاختلاف فى المعنى (٢) كقوله تعالى (الم ذلك الكتاب لاريب فيه) فان وزان لاريب فيه فى الآية وزان نفسه فى قولك جاءنى الخليفة نفسه فانه لما بولغ فى وصف الكتاب ببلوغه الدرجة القصوى من الكمال بجعل المبتدإ ذلك وتعريف الخبر باللام كان عند السامع قبل أن يتأمله مظنة (٣) أنه مما يرمى به جزافاً من غير تحقق فأتبعه لاريب فيه (٤) نفيا لذلك إتباع الخليفة نفسه إزالة لما عسى أن يتوهم السامع أنك فى

أولى بالقبول منها لأنه جعل الجملة الثانية أبلغ فى الانذار من الأولى ويمكن أن يحمل عليه نحو قوله تعالى (يامريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين) .

(١) (أحدهما أن تنزل الثانية من الأولى منزلة التأكيد المعنوى) بأن يختلف مفهومهما ولكن يلزم من ثبوت معنى إحداهما ثبوت معنى الأخرى .

(٢) كقوله تعالى (الم ذلك الكتاب لاريب فيه) وهذا اذا جعلت الم طائفة من الحروف أو جملة مستقلة وذلك الكتاب جملة ثانية ولا ريب فيه جملة ثالثة فاذا جعلت خبرا عن ذلك الكتاب كانا جملة واحدة لاجملتين ثانيتهما مؤكدة للأولى .

(٣) (أنه مما يرمى به جزافا) أى بقطع النظر عن كونه كلام الله تعالى لأن القرآن يجرى فى هذا ونحوه على قاعدة البلاغة العرفية المعتبرة فى كلام البلغاء من الناس .

(٤) (نفيا لذلك) كأنه قيل لا ريب فيه ولا مجازفة أو لا ريب فى بلوغه فى الكمال تلك الغاية وهذا المعنى يخالف معنى ذلك الكتاب

قولك جاءني الخليفة متجوز أو ساه (١) وكذا قوله (كأن لم يسمعها كأن في أذنيه وقرا) الثاني مقرر لما أفاده الأول (٢) وكذا قوله (إنا معكم إنما نحن مستهزئون) لأن قوله إنا معكم معناه الثبات على اليهودية وقوله إنما نحن مستهزئون رد للاسلام ودفع له منهم لأن المستهزىء بالشيء المستخف به منكر له ودافع له لكونه غير معتد به ودفع نقيض الشيء تأكيد لاثباته ويحتمل الاستئناف أى فما بالكم إن صح أنكم معنا توافقون أصحاب محمد (٣) وثانيهما أن تنزل الثانية من الأولى منزلة التأكيد اللفظي من متبوعه في

لكنهما متلازمان فبلوغه الدرجة القصوى في الكمال يلزمه أنه لاريب فيه ونفي الريب عنه يلزمه بلوغ هذه الدرجة .

(١) (وكذا قوله كأن لم يسمعها كأن في أذنيه وقرا) وجه كونه من التأكيد المعنوى أن المعنى مختلف في الجملتين وإن كانا متلازمين فمعنى الأولى أنه لم يسمعها اتفاقا أو قصدا الي عدم سماعها ومعنى الثانية أنه لم يسمعها لفساد سمعه ولكن المقصود من التشبيهين واحد وهو عدم التأثر بسماع الآيات وهذا هو ما يتلازمان فيه فالتشبيهان في ذلك مختلفان في معناهما متحدان في الغرض المقصود منهما ، قال السبكي وجعله كأن لم يسمعها من قسم مالا محل له من الاعراب فيه نظر ولعله يقصد بهذا أنه في محل نصب حال من مستكبرا ويمكن مع هذا أن يكون ما بعده حال منه لا تأكيد له .

(٢) (وكذا قوله إنا معكم إنما نحن مستهزئون) ذكر السبكي أن هذين الجملتين في محل نصب بقالوا قبلهما فالاستشهاد به منظور فيه إلى المحكى لا إلى الحكاية علي ماسبق .

(٣) (وثانيهما أن تنزل الثانية من الأولى منزلة التاكيد اللفظي) بألا يكون بين معنييهما تخالف وإن اختلف لفظاهما كما في الأمثلة التي

اتحاد المعنى كقوله تعالى (ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين) فان هدي للمتقين معناه أنه فى الهداية [٢] بالغ درجة لا يدرك كنهها حتى كأنه هداية محضة وهذا معنى قوله ذلك الكتاب لأن معناه كما مر الكتاب الكامل [٣] والمراد بكماله كماله فى الهداية لأن الكتب السماوية بحسبها تتفاوت فى درجات الكمال [٤] وكذا قوله تعالى (سواء عليهم

ذكرها الخطيب ومن التأكيد اللفظى فيما اتحد لفظه قوله تعالي (فمهل الكافرين أمهلهم رويدا) وقد استحسن بعضهم قصر التاكيد اللفظى فى الجمل على هذا فيكون كل ما اختلف لفظه من التأكيد المعنوى ولا يخفى ضعفه لأن اختلاف اللفظ فى الجمل قد يكون مع ترادف ألفاظ الجملتين وهذا من التاكيد اللفظى قطعا .

(١) (فان هدى للمتقين) أى على تقدير كونه جملة مستقلة محذوفة المبتدإ فاذا جعل خبرا لذلك الكتاب أوحالا لم يكن جملة يصح الاستشهاد بها فيما نحن بصدده .

(١) (بالغ درجة لا يدرك كنهها حتى كأنه هداية محضة) أخذ هذا من تنكير هدى وأنه قال هدى ولم يقل هاد .

(٤) (والمراد بكماله كماله فى الهداية) ويجوز أن يراد كماله الأعم فى الهداية وحسن العبارة وغير ذلك فيكون من التأكيد المعنوى لاختلاف معنى الجملتين أو يكون بدل بعض من كل .

(١) (وكذا قوله تعالى سواء عليهم . . .) ذكر السبكى أن هذا لا يصح أن يكون من قسم مالامحل له من الاعراب لأن سواء عليهم خبر إن وهي غفلة ظاهرة لأن الخطيب يريد أن لا يؤمنون جملة تأكيد لجملة إن واسمها وخبرها خصوصا إذا جعل سواء خبرها والمصدر المؤول بعده فاعلا له ، وقد قيل أيضا إن ذلك من التاكيد المعنوى للفرق الظاهر بين معني الجملتين وقد يقال إنه لا فرق بينهما لأن معنى الجملة الاولي أنهم

أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون) فان معنى قوله لا يؤمنون معنى ماقبله (١) وكذا مابعده تأكيد ثان لأن عدم التفاوت بين الانذار وعدمه لا يصح إلا فى حق من ليس له قلب يخاص اليه حق وسمع تدرك به حجة وبصر تثبت به عبرة ويجوز أن يكون لا يؤمنون خبرا لان فالجملة قبلها اعتراض (الثاني) أن تكون الثانيـة بدلا من الأولى والمقتضى للابدال كون الأولى غير وافية بتمام المراد بخلاف الثانيـة والمقام يقتضى اعتناء بشأنه لنـكتة ككونه مطلوبا فى نفسه أوفظيعا أو عجيبا أولطيفا (٢) وهو ضربان أحدهما أن تنزل الثانية من الأولى منزلة بدل البعض من متبوعه (٣) كقوله تعالى (أمدكم بما تعلمون أمدكم بأنعام وبنين وجنات وعيون) فانه مسوق للتنبيه على نعم الله تعالى عنـد المخاطبين وقوله أمدكم بأنعام وبنين وجنـات وعيون أوفى بتأديته مما قبله لدلالته عليها بالتفصيل

لا يؤمنون أنذرتهم أولم تنذرهم فكأنه قيل لا يؤمنون أنذرتهم أولم تنذرهم لا يؤمنون أنذرتهم أولم تنذرهم وحذف هذا من الثانى اكتفاء بالأول.

(١) (وكذا مابعـده تأكيد ثان ...) قد يفهم من هـذا أن الخطيب يريد أنه توكيد لفظي ولـكن كلامه ليس صريحا فى ذلك وما ذكره فى فى تعليله ظاهر فى أنه تأكيد معنوى لا لفظى.

(٢) (وهو ضربان ...) أسقط من ذلك بدل الكل لما سيأتى وبدل الغلط لأنه لا يقع فى فصيح الكلام على ماسبق.

(٣) (كقوله تعـالى أمدكم بما تعلمون ...) هـذا مما يكون البدل فيه لـكونه مطلوبا فى نفسـه وكونه مطلوبا فى نفسه لا يمنع أن يكون مطلوبا أيضا لغيره كالأمر بالتقوى فى الآية وجملة أمدكم صلة الموصول فى قوله (واتقوا الذى أمدكم) فلا محل لهـا من الاعراب وإن كان موصولها فى محل نصب.

من غير إحالة على علمهم مع كونهم معاندين والامداد بماذكر من الأنعام وغيرها (١) بعض الامداد بما يعلمون (٢) ويحتمل الاستئناف ، وثانيهما أن تنزل الثانية من الأولى منزلة بدل الاشتمال من متبوعه كقوله تعالي (اتبعوا المرسلين اتبعوا من لايسألكم أجرا وهم مهتدون) فان المراد به حمل المخاطبين على اتباع الرسل وقوله تعالى (اتبعوا من لا يسألكم أجرا وهم مهتدون) أوفى بتأدية ذلك لأن معناه لاتخسرون معهم شيئا من دنياكم وتربحون صحة دينكم فينتظم لكم خير الدنيا وخير الآخرة (٣) وقول الشاعر

أقول له ارحل لا تقيمن عندنا وإلا فكن فى السر والجهر مسلما

فان المراد به كمال إظهار الكراهة لا قامته بسبب خلاف سره العلن

---

(١) (بعض الامداد بما يعلمون) يريد أنه بعضه فى ظاهر الأمر وإن كان المراد من الثانى هو المراد من الأول كما فى قولك أكلت الرغيف ثلثه وبهذا لا يكون مافى الآية من ذكر الخاص بعد العام لأن العام فيها يراد منه ما يراد بالخاص بعده وذكر الخاص بعد العام يبقى العام فيه على عمومه وقد قيل إنه لا فرق فى الجمل بين بدل البعض من الكل وذكر الخاص بعد العام وقيل إن ذلك عطف بيان لا بدل بعض من كل .

(٢) (ويحتمل الاستئناف) بأن يكون جوابا عن سؤال مقدر قال السبكى وفيه نظر لأنه كان يلزم أن يكون التأكيد مستحسنا كما سيجىء وكما سبق فى أضرب الخبر مع أنه قد أعيدت الجملة الثانية فى الآية بدون تأكيد والحق أن احتمال هذا فى الآية بعيد كما هو ظاهر .

(٣) (وقول الشاعر : أقول له ارحل لاتقيمن عندنا . البيت) ذكر شارح الشواهد أنه لايعلم قائله ، وهو يريد من صاحبه أن يكون معه على ما يكون عليه المسلم من استواء ظاهره وباطنه ويجوز أن يكون المراد مسالما والاستشهاد بالبيت فى ذلك باعتبار المحكى لا باعتبار الحكاية كما سبق نظير ذلك .

وقوله لا تقيمن عندنا أوفى بتأديته (١) لدلالته عليه بالمطابقة مع التأكيد بخلاف ارحل ووزان الثانية من كل واحد من الآية والبيت وزان حسنها فى قولك أعجبتني الدار حسنها (٢) لأن معناها مغاير لمعنى ما قبلها وغير داخل فيه مع ما بينهما من الملابسة (الثالث) (٣) أن تكون الثانية

---

(١) (لدلالته عليه بالمطابقة ...) يعنى فى العرف تقول لآخر لا تقم عندى فلا تقصد كفه عن الاقامة بل إظهار الكراهة لاقامته وكذلك دلالة ارحل عليه بالالتزام دلالة عرفية لأن طلب الشيء عرفا يقتضى غالبا محبته ومحبة الشيء تقتضى كراهة ضده وهو الاقامة فهى دلالة التزامية عرفية وإنما كان هذا فى الغالب لأن طلب الرحيل قد يكون لمصلحة من المصالح وإن كان لايحتمل هذا فى البيت لتصريحه فيه بما ينافى حمله عليه

(٢) (لأن معناها مغاير لمعنى ماقبلها . . .) ومغايرة عدم الاقامة للارتحال فى البيت بحسب المفهوم وإن تلازما فى الوجود وهو يريد بهذا تحقيق كون ذلك بدل اشتمال لا تأكيدا ولا بدل بعض من كل ولكنه لا يمنع إلا أن يكون تأكيدا لفظيا لأن التأكيد المعنوى فيه مغايرة فى المعنى على ما سبق ولهذا قيل إنه يصح أن يكون مافى البيت تأكيدا أيضا وقد فرق ابن يعقوب بين التأكيد المعنوى وبدل الاشتمال بان التأكيد يذكر لدفع توهم التجوز لا لافادة المعنى بوجه أوفى كما فى بدل الاشتمال .

ومما يكون البدل فيه لكونه عجيبا قوله تعالى (بل قالوا مثل ماقال الأولون قالوا أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون) ومما يكون البدل فيه لكونه فظيعا قولك لمن تزني وتتصدق أتجمعين بين الأمرين تزنين وتتصدقين ، ومما يكون البدل فيه لكونه لطيفا قولك زيد جمع بين أمرين جمع بين اللطف والاستقامة .

(٣) (أن تكون الثانية بيانا للأولى) قد فرقوا بين البيان والبدل مع وجود الخفاء فى كل من المبدل منه والمبين وإزالته بالبدل وعطف البيان

بيانا للأولي وذلك بأن تنزل منها منزلة عطف البيان من متبوعه فى إفادة الايضاح والمقتضى للتبيين أن يكون فى الأولى نوع خفاء مع اقتضاء المقام إزالته كقوله [١] تعالى (فوسوس اليه الشيطان قال ياآدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى) فصل جملة قال عما قبلها لكونها تفسيرا له وتبيينا ووزانه وزان عمر فى قوله [٢]

أقسم بالله أبو حفص عمر

وأما قوله تعالى (ما هذا بشرا إن هذا إلا ملك كريم) فيحتمل

بأن المقصود فى البدل هو الثانى لا الأول والمقصود فى البيان هو الأول والثانى توضيح له .

(١) (كقوله تعالى فوسوس اليه الشيطان . . .) لايخفى أن وسوس معطوفة على قلنا في قوله قبله (واذ قلنا للملائكة اسجدوا . الآية) فتكون فى محل جر مثلها وقد سبق أن الاستشهاد بمثل هذا منظور فيه الي المحكى لا الى الحكاية .

(٢) (فى قوله : اقسم بالله أبو حفص عمر) هو أعرابي أتي عمر رضى الله عنه فقال إن أهلي بعيد وإنى على ناقة دبراء عجفاء نقباء ثم استحمله فظنه عمر كاذبا وقال والله مانقبت وأبى أن يحمله فانطلق الأعرابى فحل بعيره ثم استقبل البطحاء وأنشد :

أقسم بالله أبو حفص عمر ... مامسها من نقب ولا دبر

فاغفر له اللهم إن كان فجر

فقال له عمر ضع عن راحلتك فوضع فاذا هى نقباء عجفاء فحمله على بعير وزوده وكساه ، والنقب ضعف أسفل الخف فى الابل وضعف أسفل الحافر فى غيرها من خشونة الأرض ، والدبر جراحة الظهر ، وفجر حنث فى يمينه .

التبيين والتأكيد أما التبيين فلأنه يمتنع أن يخرج من جنس البشر ولا يدخل فى جنس آخر فاثبات الملكية له تبيين لذلك الجنس وتعيين وأما التأكيد فلأنه اذا كان ملكا لم يكن بشرا ولأنه اذا قيل فى العرف لانسان ماهذا بشرا حال تعظيم له وتعجب مما يشاهد منه من حسن خلق أو خلق كان الغرض أنه ملك بطريق الكناية ، فان قيل هلا نزلتم الثانية منزلة بدل الكل من متبوعه فى بعض الصور ومنزلة النعت من متبوعه فى بعض [1] قلنا لأن بدل الكل لا ينفصل عن التأكيد إلا بأن لفظه غير لفظ متبوعه وأنه مقصود بالنسبة دون متبوعه بخلاف التأكيد والنعت،

---

(١) (قلنا لأن بدل الكل . . .) يريد بهذا أن يثبت أنهم استغنوا بالتأكيد فى الجمل عن بدل الكل وبعطف البيان عن النعت وذكر السبكى أن عطف البيان يغنى عن بدل الكل أيضا لأنه قريب منه والذي يظهر من كلام عبد القاهر أنه يجعل كل ما يكون من كمال الاتصال من باب التأكيد وإن كان قد يشتمل أحيانا على نوع من البيان ولعل هذا أسهل من تكلف تلك الفروق السابقة في إجراء كل تلك التوابع فيه ولعل إلحاق هذا النوع من الفصل بعلم النحو أولى من ذكره فى علم المعانى لأنه لا فرق بين ترك العطف فى تأكيد المفردات وتركه فى تأكيد الجمل فهو يرجع الى ما يقتضيه العطف بأصل وضعه من المغايرة التى لا تتحقق فيهمامعا ، هذاوقد يظن فيمواضع أنها منهذا الباب ومع هذا يعطف فيها بالواو مثل قوله تعالى (وما أهلكنا من قرية إلا ولها كتاب معلوم) فقد ذكر الزمخشرى أن جملة ولها كتاب معلوم صفة لقرية وأن الواو توسطت لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف والحق أنها واو الحال وأن الجملة حالية وليست صفة لأن إلا لا تفصل بين الصفة والموصوف .

لا ينفصل عن عطف البيان إلا بأنه يدل علي بعض أحوال متبوعه لا عليه وعطف البيان بالعكس وهذه كلها اعتبارات لا يتحقق شيء منها فيما نحن بصدده .

وأما كون الثانية بمنزلة المنقطعة عن الأولى فلكون عطفها عليها موهما[1] لعطفها علي غيرها ويسمى الفصل لذلك قطعا مثاله[2] قول الشاعر

وقد تعطف الجملة علي ما قبلها وهي تصلح بيانا لها تنبيها على صحة اعتبار استقلالها عنها ومغايرتها لها ولهذا جاء قوله تعالى (وإذ نجينا كم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم) ثم جاء هكذا (وإذ نجينا كم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب ويذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم) فاعتبر في هذا سوء العذاب مرة أنه تذبيح الأبناء واستحياء النساء ومرة أنه جنس يشمل هذا وغيره ثم عطف عليه مع أنه نوع منه تنبيها على أنه كان أفظع أنواع العذاب وأنه بلغ في ذلك ما يصح أن يعد به كأنه جنس مستقل بذاته مغاير لما قبله .

ومن الفصل لكمال الاتصال هذه الأبيات :

إن هذا المكان شيء عجيب   تضحك الأرض من بكاء السماء

إنما الدنيا فناء   ليس للدنيا ثبوت

وما الدهر إلا من رواة قصائدي   اذا قلت شعرا أصبح الدهر منشدا

(١) (موهما لعطفها على غيرها) هذه هي النكتة البلاغية للفصل هنا وبها وجب ترك العطف من جهة البلاغة وإن لم يكن في ذلك مانع نحوى كما هو ظاهر .

(٢) (قول الشاعر : وتظن سلمى أنني أبغي بها . البيت) لم يعرف قائله ، وأراها أظنها على صيغة المبنى للمفعول وهو للفاعل ، وتهيم من هام على وجهه مشى من غير قصد .

وتظن سلمى أننى أبغى بها بدلا أراها فى الضلال تهيم

لم يعطف أراها على تظن لئلا يتوهم السامع أنه معطوف على أبغى لقربه منه مع أنه ليس بمراد ويحتمل الاستئناف ، وقسم السكاكى القطع الى قسمين أحدهما القطع للاحتياط وهو مالم يكن لمانع من العطف كما فى هذا البيت والثانى القطع للوجوب وهو ما كان لمانع ومثله بقوله تعالى (الله يستهزىء بهم) قال لأنه لو عطف لعطف إما على جملة قالوا وإما على جملة إنا معكم وكلاهما لا يصح لما مر وكذا قوله ألا إنهم هم المفسدون وقوله ألا إنهم هم السفهاء وفيه نظر لجواز أن يكون المقطوع فى المواضع الثلاثة معطوفا [١] على الجملة المصدرة بالظرف وهذا القسم لم يبين امتناعه

---

(١) (على الجملة المصدرة بالظرف) يعنى جملة الشرط وجوابه معا واذا جاز العطف على هذا ولا مانع منه كان القطع فيه للاحتياط أيضاً ومن هذه الجهة تؤخذ النكتة البلاغية لترك العطف فى هذه الآيات أما الجهتان السابقتان فقد ذكر السبكى أن ترك العطف فيهما واجب من جهة اللغة لامن جهة البلاغة لأن العطف فيهما يقتضى التشريك وقصد التشريك فيهما فاسد فى هذه الآيات كلها ولكنك قد عرفت أن العطف على قالوا صحيح لغة أيضا وأنه إنما امتنع بلاغة مثل امتناع العطف على جملة الشرط وجوابه هنا وإن كان اعتبار البلاغة هنا أقوى من اعتبارها هناك

ومن الفصل لشبه كمال الانقطاع قول الشاعر :

يقولون إنى أحمل الضيم عندهم أعوذ بربي أن يضام نظيرى

فجملة أعوذ بربى يصح عطفها على يقولون ولكن يمنع منه توهم عطفها على جملة أحمل فتكون من مقولهم وإن كان المعنى على ذلك فاسدا لأن الايهام يعتمد على ظاهر اللفظ بقطع النظر عن المعنى وقد قيل إنه لا إيهام فى هذا لعدم صحة العطف على أحمل فلا يكون الفصل فيه لشبه

وأما كونها بمنزلة المتصلة بها فلكونها جوابا عن سؤال اقتضته الأولى فتنزل منزلته فتفصل الثانية عنها [١] كما يفصل الجواب عن السؤال وقال السكاكي فينزل ذلك منزلة الواقع ثم قال وتنزيل السؤال بالفحوى منزلة الواقع لا يصار اليه إلا لجهات لطيفة إما لتنبيه السامع على موقعه أو لا غنائه أن يسأل أو لئلا يسمع منه شيء أو لئلا ينقطع كلامك بكلامه أو للقصد الى تكثير المعنى بتقليل اللفظ وهو تقدير السؤال وترك العاطف أو لغير ذلك مما ينخرط فى هذا السلك ويسمى الفصل لذلك استئنافا وكذا الجملة الثانية أيضا تسمى استئنافا والاستئناف ثلاثة أضرب لأن السؤال الذى تضمنته الجملة الأولى إما عن سبب الحكم فيها مطلقا كقوله [٢] قال لى كيف أنت قلت عليل سهر دائم وحزن طويل

كمال الانقطاع وإنما يكون للاستئناف ولا يخفى ضعف ذلك .

ومما قيل إنه من شبه كمال الانقطاع قول جرير :

قالت بليت فما نراك كعهدنا ليت العهود تجددت بعد البلى

ولا يخفى أن الجملتين مختلفتان خبرا وإنشاء فبينهما كمال الانقطاع لاشبه كمال الانقطاع لأنه إنما يكون حيث لا يكون هناك مانع من العطف سوى ذلك الايهام .

(١) (كما يفصل الجواب عن السؤال) وفصل الجواب عن السؤال قيل إنه من باب كمال الاتصال وقيل إنه من باب كمال الانقطاع لكون السؤال إنشاء والجواب خبرا كقوله تعالى (وما أدراك ماليلة القدر . ليلة القدر خير من ألف شهر) وقوله (وأما من خفت موازينه فأمه هاوية . وما أدراك ماهيه . نار حاميه) ووجوب الفصل فى الاستئناف من جهة البلاغة أيضا وسيأتى أنه قد يدخل على الجملة المستأنفة لام التعليل أو فاؤه .

(٢) (قال لى كيف أنت قلت عليل . البيت) فسهر فيه خبر مبتدإ

أى ما بالك عليلا أو ما سبب علتك وكقوله

(١) وقدغرضت من الدنيا فهل زمنى   معط حياتى لغر بعد ما غرضا
جربت دهرى وأهليه فما تركت   لى التجارب فى ود امرىء غرضا

أى لم تقول هـذا ويحك وما الذى اقتضاك أن تطوى عن الحياة الى هذا الحد كشحك ، (٢) وإما عن سبب خاص له كقوله تعالى (وما أبرىء نفسى إن النفس لأمارة بالسوء) كأنه قيل هل النفس أمارة بالسوء فقيل إن النفس لأمارة بالسوء (٣) وهذا الضرب يقتضى تأكيد الحكم كما مر فى باب

محذوف وقيل إنه خبر ثان على تأويل سهر بساهر فلا يكون فيـه شاهد وهو بعيد .

(١) (وقد غرضت من الدنيا فهل زمنى . البيتين) قد نسبا إلى أبى العلاء المعرى ، وغرضت ضجرت ، والغر الغافل ، وألف غرضا مزيدة للروى لأنه فعـل ماض بمعنى ضجر أيضا ، أما غرضا فى البيت الثانى فبمعنى حاجة، يتمنى بعد أن ضجر من دنياه أن تعطى حياته لغر لم يضجر بعد منها لأنه جرب الناس فسئم الحياة معهم وقطع الأمل فيهم .

(٢) (وإما عن سبب خاص) ضابط ذلك أنه إذا لوحت الجملة السابقة أو سـياقها بالاستئناف فالسؤال المقـدر عن سبب خاص وإلا فهو عن سبب عام وهـذا كما فى البيت السابق (قال لى كيف أنت قلت عليل) فلا يدل هذا إلا على وجود العلة المستدعية لسبب ما بخلاف آية (وما أبرىء نفسى) فان الذهن ينصرف فى هذا إلى سبب خاص وهو أنها أمارة بالسوء.

(٣) (وهذا الضرب يقتضى تأكيد الحكم) لأن السؤال فيه عن حكم تصديقى بخلاف السؤال عن السبب العام فهو سؤال عن حقيقته ما هى وهذا تصور لا يكون محلا لشك حتى تطلب إزالته بالتأكيد كما تطلب هنا وقد يترك التأكيد فى السؤال عن السبب الخاص ويؤكد في السؤال عن

أحوال الاسناد [١] وإما عن غيرهما كقوله تعالى (قالوا سلاما قال سلام) كأنه قيل فماذا قال ابراهيم عليه السلام فقيل قال سلام ومنه [٢] قول الشاعر

زعم العواذل أنني فى غمرة ... صدقوا ولكن غمرتي لا تنجلي

السبب العام لامكان رد التصديق إلى التصور ورد التصور إلى التصديق فيهما ولكن ذلك نادر وقد قيل إن منه قول الشاعر :

إذا ما الدهر جر على أناس ... كلا كله أناخ بآخرينا

فقل للشامتين بنا أفيقوا ... سيلقى الشامتون كما لقينا

ولكن هذا كما ترى ليس من هذا الباب وإنما هو من كمال الانقطاع لاختلاف الجملتين فى الخبر والانشاء.

(١) (وإما عن غيرهما) أى عن شيء آخر له تعلق بالجملة الأولى غير التعلق بالسببية وهو أيضا إما عام كما فى المثال الأول وإما خاص كما فى المثال الثانى والسؤال عن الخاص هنا يقتضى التأكيد أيضا ومن هذا كما قيل قول الشاعر :

فغنها وهى لك الفداء ... إن غناء الابل الحداء

فليس السؤال هنا عن السبب العام أو الخاص لأن كون غناء الابل الحداء ليس سببا للأمر بالغناء وإنما تقدير السؤال هكذا هل غناء الابل الحداء لأن هذا هو الذى تتجه إليه النفس بعد الأمر بالغناء للابل في الشطر الأول ولا يخفي أن الفصل هنا لكمال الانقطاع لا ختلاف الجملتين فى الخبر والانشاء اللهم إلا أن يقال إنه للأمرين معا .

ومن ذلك أيضا قول الآخر :

يري البخيل سبيل المال واحدة ... إن الكريم يرى فى ماله سبلا

وقد يترك التأكيد أيضا هنا لنحو ماسبق فى السؤال عن السبب الخاص كما سيأتى .

(٢) (قول الشاعر : زعم العواذل أنى فى غمرة . البيت) ذكر شارح

فانه لما أبدى الشكاية من جماعات العذال كان ذلك مما يحرك السامع ليسأل أصدقوا فى ذلك أم كذبوا فأخرج الكلام مخرجه اذا كان ذلك قد قيل له ففصل ومثله قول جندب بن عمار .

(١) زعم العواذل أن ناقة جندب بجنوب خبت عريت وأجمت
كذب العواذل لو رأينا مناخنا بالقادسية قلن لج وذلت

وقدزادهنا أمرالاستئناف تأكيدا بأن وضع الظاهر موضع المضمر من حيث وضعه وضعا لا يحتاج فيه الى ما قبله وأتي به مأتى ما ليس قبله كلام ومن الأمثلة (٢) قول الوليد .

عرفت المنزل الخالى عفا من بعد أحوال

الشواهد أنه لا يعرف قائله ، والزعم يستعمل فى الاعتقاد الباطل كثيرا وقد يستعمل فى القول مطلقا كما هنا ، والعواذل جمع عاذل كفوارس جمع فارس وجمع فاعل للعاقل على فواعل سماعي وقد ذكر السبكي أنه لامانع من أن يكون منه جمع عاذل علي عواذل وقال السعد التفتازانى إنه جمع لعاذلة فجعل العواذل بمعنى الجماعات العواذل ليتفق مع تذكير الضمير العائد اليه فى صدقوا وهو تكلف ظاهر ، والغمرة الشدة ، وانجلاؤها انكشافها ، وإنما لم يؤكد مع أن السؤال تصديقي كما سبق لتنزيله ذلك منزلة الظاهر الذى لا يشك فيه ولا ينكر .

(١) (زعم العواذل أن ناقة جندب . البيتين) عريت أزيل عنها رحلها ، وأجمت تركت فلم تركب وكلاهما كناية عن قعوده بهذا المكان دون غرضه ، ولج جد فى السير ، وذلت انقادت له .

(٢) (قول الوليد . عرفت المنزل الخالى . البيتين) هو الوليد بن يزيد وعفا درس من بعد أحوال سعد فيها بسكانه ، والحنان السحاب ، وعسوف الوبل شديد المطر .

عفاه كل حنان   عسوف الوبل هطال

فانه لما قال عفا وكان العفاء مما لا يحصل للمنزل بنفسه كان مظنة أن يسأل عن الفاعل ومثله قول أبي الطيب .

(١) وما عفت الرياح له محلا   عفاه من حدا بهم وساقا

فانه لما نفي الفعل الموجود عن الرياح كان مظنة أن يسأل عن الفاعل وأيضا من الاستئناف ما يأتى باعادة اسم ما استؤنف عنه كقولك أحسنت الي زيد زيد حقيق بالاحسان ومنه ما يبنى علي صفته كقولك أحسنت الى زيد صديقك القديم أهل لذلك وهذا أبلغ (٢) لانطوائه على بيان السبب ، (٣) وقد يحذف صدر الاستئناف لقيام قرينة كقوله تعالى(يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال) فيمن قرأ يسبح مبنيا للمفعول وعليه نحو قولهم نعم الرجل أو رجلا زيد وبئس الرجل أو رجلا عمرو على القول بان المخصوص خبر مبتدإ محذوف أى هو زيد كأنه لما قيل ذلك فأبهم الفاعل بجعله معهودا ذهنيا مظهرا أو مضمرا سئل عن تفسيره فقيل هو زيد ثم حذف المبتدأ وقد يحذف الاستئناف كله ويقام ما يدل عليه مقامه (٤) كقول الحماسي :

---

(١) (وما عفت الرياح له محلا . البيت) عفت محت ، ومن حدا بهم من غنى للابل التى سارت بهم .

(٢) (لا نطوائه على بيان السبب) يعنى به الصفة التى دعت الى الاحسان اليه وهذا بخلاف الأول فان فيه بيان سبب لا يشتمل على تلك الصفة التى دعت الى ذلك.

(٣) (وقد يحذف صدر الاستئناف ...) وقد يحذف عجزه كما فى نعم الرجل زيد علي القول بان المخصوص مبتدأ والخبر محذوف .

(٤) (كقول الحماسي : زعمتم أن إخوتكم قريش . البيت) هو مساور

زعمتم أن إخوتكم قريش   لهم إلف وليس لكم إلاف

حذف الجواب الذى هو كذبتم فى زعمكم وأقام قوله لهم إلف وليس لكم إلاف مقامه لدلالته عليه ويجوز أن يقدر قوله لهم ألف وليس لكم إلاف جوابا لسؤال اقتضاه الجواب المحذوف كأنه لما قال المتكلم كذبتم قالوا لم كذبنا فقال لهم إلف وليس لكم إلاف فيكون فى البيت استئنافان وقد يحذف ولا يقام شيء مقامه كقوله تعالى نعم العبد أى أيوب أو هو لدلالة ماقبل الآية وما بعدها عليه ونحوه قوله فنعم الماهدون أى نحن

ابن هند بن قيس بن زهير العبسى يهجو بذلك بنى أسد ويكذبهم فى انتسابهم الى قريش ، وإلف مصدر ألف وإلاف مصدر آلف يريد بهذا رحلتى الشتاء والصيف الى اليمن والشام ، ويجوزأن يكون ترك العطف فى البيت لدفع إيهام عطفه على أن إخوتكم قريش فيكون من شبه كمال الانقطاع

هذا وقد يدخل على الجملة المستأنفة لام التعليل أو فاؤه ولكن التعليل بالاستئناف أبلغ وأدق ومن ذلك قول أبى تمام :

لا تنكرى عطل الكريم من الغنى   فالسيل حرب للمكان العالى

وقول العباس بن الأحنف :

أيها الراقدون حولى أعينو   ني على الليل حسبة وائتجارا

حدثونى عن النهار حديثا   أوصفوه فقد نسيت النهارا

وقد قيل إن الواو قد تأتى فى هذا مكان الفاء واللام وتسمى واو الاستئناف وهى غير واو العطف مثل قول الشاعر :

أرى بصرى عن كل يوم وليلة   يكل وخطوى عن مدي الخطو يقصر

ومن يصحب الأيام تسعين حجة   يغيرنه والدهر لا يتغير

وقيل إن الواو فى هذا ونحوه للعطف على محذوف مفصول عما قبله كأنه قيل فى هذا من يقاسي مثل أهوالى يكون حاله مثل حالى ومن يصحب الأيام تسعين حجة يغيرنه مثلى .

وإن لم يكن بين الجملتين شيء من الأحوال الأربع تعين الوصل [١] إما لدفع إيهام خلاف المقصود كقول البلغاء لا وأيدك الله وهذا عكس الفصل للقطع ، وإما للتوسط بين حالتى كمال الانقطاع وكمال الاتصال [٢] وهو ضربان أحدهما أن يتفقا خبرا أو إنشاء لفظا ومعنى كقوله تعالى (إن الأبرار لفى نعيم وإن الفجار لفى جحيم) وقوله (يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى) [٣] وقوله (يخادعون الله وهو خادعهم) وقوله تعالى

(١) (إما لدفع إيهام خلاف المقصود) ووجوب الوصل فى هذا من جهة البلاغة لأنه يمكن دفع ذلك بالسكوت بين الجملتين أو بمعونة القرائن وهو إنما يكون فى كمال الانقطاع بين الجملتين كما فى المثال المذكور (لا وأيدك الله) لأن هذه الصورة من الوصل تقابل ما اشترطوه فى الفصل لكمال الانقطاع من عدم تأديته الى إيهام خلاف المقصود وقيل إنه يمكن اعتبار الوصل لدفع الايهام فى كمال الاتصال أيضا كما تقول لمن سألك هل تشرب خمرا لا وتركت شربه وقيل إنه يتعين الفصل فى كمال الاتصال مطلقا ويدفع الايهام فى مثل هذا بطريق آخر فيقال لا قد تركت شربه أو نحوه ، هذا والخلاف فى أن هذه الواو عاطفة أو زائدة لدفع الايهام أو استئنافية مما لا يصح الاشتغال به فى هذا العلم وقد سبق أن عبد القاهر يرى فى الواو التى يؤتى بها لوصل الجمل أنها تأتى لاعتبارات الوصل فقط وأنها تفيد من ذلك غير ما تفيده واو العطف .

(٢) (وهو ضربان أحدهما أن يتفقا خبرا ..) أى مع وجود الجامع الآتى فى الضربين لأن هذه الصورة من الوصل تقابل صورة الفصل فى كمال الانقطاع لعدم وجود الجامع فيما سبق ووجوب الفصل فى هذا أيضا من جهة البلاغة وهو ظاهر

(٣) (وقوله يخادعون الله وهو خادعهم) وهو من آية سورة النساء (إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم واذا قاموا الى الصلاة قاموا

(كلوا واشربوا ولا تسرفوا) والثانى أن يتفقا كذلك معنى لا لفظا [١] كقوله تعالى (وإذ أخذنا ميثاق بنى إسرائيل لا تعبدون إلا الله وبالوالدين إحسانا وذى القربى واليتامى والمساكين وقولوا) عطف قوله وقولوا على قوله لا تعبدون لأنه بمعنى لا تعبدوا وأما قوله وبالوالدين إحسانا فتقديره إما وتحسنون بمعنى وأحسنوا وإما وأحسنوا [٢] وهذا أبلغ من صريح الأمر والنهى لأنه كأنه سورع الى الامتثال والانتهاء فهو يخبر عنه وأما قوله فى سورة البقرة (وبشر الذين آمنوا) فقال الزمخشرى فيه فان قلت علام عطف هذا الأمر ولم يسبق أمر ولا نهى يصح عطفه عليه قلت المراد ليس الذى اعتمد بالعطف هو الأمر حتى يطلب له مشا كل من أمر أو نهى يعطف عليه [٣] إنما المعتمد بالعطف هو جملة وصف ثواب المؤمنين فهي معطوفة على جملة وصف عقاب الكافرين كما تقول زيد يعاقب بالقيد والارهاق وبشر عمراً بالعفو والاطلاق ولك أن تقول هو معطوف على

كسالى يراءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا) وهذا من العطف على ماله محل من الاعراب وليس كلامنا الآن فيه

(١) (كقوله تعالى وإذ أخذنا ميثاق بنى إسرائيل لا تعبدون ..) أى قائلين لا تعبدون فهو معمول للقول فى محل نصب وقد سبق فى نظيره أنه يذكر هنا بالنظر الى المحكي فى ذاته بقطع النظر عن حكايته .

(٢) (وهذا أبلغ من صريح الأمر والنهى) يعنى إيثار صيغة الخبر فى لا تعبدون وفي تحسنون بمعنى لا تعبدوا وأحسنوا .

(٣) (إنما المعتمد بالعطف هو جمله وصف ثواب المؤمنين ..) وهذا ما يسمونه عطف القصة على القصة أو عطف مضمون كلام على مضمون كلام آخر فتعتبر فيه المناسبة بين القصتين ولا يمنع مثل هذا من عطف إحداهما على الأخرى .

فاتقوا كما تقول يا بنى تميم احذروا عقوبة ماجنيتم وبشر يا فلان بنى أسد باحسانى اليهم (١) هذا كلامه وفيه نظر لايخفى على المتأمل وقال أيضا فى قوله تعالى فى سورة الصف وبشر المؤمنين أنه معطوف على تؤمنون لأنه بمعنى آمنوا (٢)وفيه أيضا نظر لأن المخاطبين فى تؤمنون هم المؤمنون وفى بشر هو النبى عليه السلام ثم قوله تؤمنون بيان لما قبله على سبيل

(١) (هذا كلامه وفيه نظر) قد أرجع السبكى هذا النظر الى تجويزه العطف على فاتقوا لا الى ما قبله ووجهه أنه لا مناسبة بينهما لاختلاف المخاطب فى الأمرين ولأن الأمر الاول مقيد بالشرط قبله (فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة) فلوعطف وبشر الذين آمنوا عليه لكان هذا الشرط قيدا فيه مثله وأجيب عن الأول بأن اختلاف المخاطب فى الأمرين لا يمنع تناسبهما لما بينهما من مناسبة التقابل وعن الثاني بأن التقييد بالشرط فى الثانى لا ضرر فيه لأنه يكون مقيدا بعدم فعلهم ما أمروا به من الاتيان بسورة مثله وهم لا يمكنهم أن يفعلوا ذلك حتى يضر هذا فى تقييد تلك البشارة بعدم فعله .

(٢) (وفيه أيضا نظر ..) قد عرفت أن اختلاف الخطاب لا يمنع المناسبة كما مر وكذلك مضمون هذه الجملة مما يصح أن يستأنف به عما قبل تؤمنون أيضا .

هذا ويمكن أن يكون من عطف القصة على القصة لما بينهما من المناسبة قول الشاعر :

إن الكبير اذا تناهت سنه ... أعيت رياضته على الرواض
واذا دفعت الى الصغير فانما ... تكفيك منه إشارة الايماض

وقول الآخر :

لولا أميمة لم أجزع من العدم ... ولم أقاس الدجى فى حندس الظلم
وزادنى رغبة فى العيش معرفتي ... ذل اليتيمة يجفوها ذوو الرحم

الاستئناف فكيف يصح عطف بشر المؤمنين عليه وذهب السكاكى الى أنهما معطوفان على قل مرادا قبل يا أيها الناس ويا أيها الذين آمنوا لأنه إرادة القول بواسطة انصباب الكلام الى معناه غير عزيزة فى القرآن. وذكر صورا كثيرة منها قوله تعالى (وأنزلنا عليكم المن والسلوى كلوا) وقوله (وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا) وقوله (وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا واتخذوا) أى وقلنا أو قائلين والأقرب أن يكون الأمر فى الآيتين معطوفا على مقدر يدل عليه ماقبله وهو فى الآية الأولى فأنذر أو نحوه أى فأنذرهم وبشر الذين آمنوا وفى الآية الثانية فابشر أو نحوه أى فابشر يامحمد وبشر المؤمنين وهذا كما قدر الزمخشرى قوله تعالى (واهجرنى مليا) معطوفا على محذوف يدل عليه قوله لأرجمنك أى فاحذرنى واهجرنى لأن لأرجمنك تهديد وتقريع .

(۱) والجامع بين الجملتين يجب أن يكون باعتبار المسند اليه فى هذه والمسند اليه فى هذه وباعتبار المسند فى هذه والمسند فى هذه جميعا كقولك يشعر زيد ويكتب ويعطى ويمنع وقولك زيد شاعر وعمرو كاتب وزيد طويل وعمرو قصير اذا كان بينهما مناسبة كأن يكونا أخوين أو نظيرين بخلاف قولنا زيد شاعر وعمرو كاتب اذا لم يكن

---

(۱) (والجامع بين الجملتين يجب أن يكون باعتبار المسند اليه ..) قد اعتبر الخطيب الجامع فى المسند اليه والمسند فى الجملتين ولم يعتبره فى متعلقاتهما وقد اعتبره بعضهم فيها أيضا وقيل إنه لا يعتبر فيها إلا اذا كان القيد مقصودا بالذات فى الجملتين كما فى قوله تعالى (ياقوم مالى أدعوكم الى النجاة وتدعوننى الى النار) ونحو :

ظل يسعى الى المعالي بجد   والعلا لا ينال إلا بكد
أريد حياته ويريد قتلي   عذيرك من خليلك من مراد

بينهما مناسبة وقولنا زيد شاعر وعمرو طويل كان بينهما مناسبة أولا وعليه قوله تعـالى (إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لايؤمنون) قطع عما قبله لأنه كلام فى شأن الذين كفروا وما قبله كلام فى شأن القرآن (١) وأما مايشعر به ظاهر كلام السكاكى فى موضع من

(١) (وأما ما يشعر به ظاهر كلام السكاكى ..) يريد الخطيب ألا يجعل خلافا بينه وبين السكاكى فى وجوب اعتبار الجامع فى المسند اليه والمسند فى الجملتين جميعا وأن يحمل ما يشعر به ظاهر كلامه من خلاف هذا على السهو بدليل تصريحه بامتناع العطف فى مثل خفى ضيق وخاتمى ضيق مع اتحادهما فى الخبر وقد خالف السبكى الخطيب فى هذا وذكر أن الذى يظهر من كلام السكاكى وغيره من أهل هذا الفن أن الجامع المعتبر فى الوصل هو التناسب بين الجملتين لا غير ولـكن هذا التناسب له سبب وله مظنة فاما سببه فاجتماعهما فى القوة المفكرة بطريق العقل أو الوهم أو الخيال على ما يأتى وأما مظنتـه فحصول الاتحاد بين الطرفين حقيقـة أو بتأويل قريب أو بعيد ولا شك أن المظنة غير ملازمة للمظنون فقد يحصل التناسب مع الاتحاد فى الطرفين نحو يعطى زيد ويمنـع وقد يحصل مع الاتحاد فى أحدهما كمن يذكر فى مجلسه الحركة والبياض فتقول له الحركة عرض نقلة والبياض لون مفرق للبصر فالتناسب موجود ولم يحصل الاتحاد فى المسند وإنما حصل فى المسند اليه بالجامع الخيالى وقد يقع الاتحاد فى الطرفين ولا يحصل التناسب كقولك انظر الى علم زيد وانظر الى هـذا القطع فى ثوبك وإنما يمنع السكاكى نحو خاتمى ضيق وخفى ضيق حيث لم يجمع بينهما ذكر فى مجلس أو نحو ذلك فانه فرض الأمر فيما اذا جرى ذكر خواتيم ولم يتقدم للخف ذكر فالمعول عليـه فى كل ذلك هو وجود التناسب بين الجملتين حصل الاتحاد بين الطرفين أو لم يحصل كما فى قوله تعالى (مسنا وأهلنا الضر وجئنا ببضاعة مزجاة) فالمسندان المس والمجيء

كتابه أنه يكفي أن يكون الجامع باعتبار المخبر عنه أو الخبر أو قيد من قيودهما فانه منقوض بما مر وبنحو قولك هزم الأمير الجند يوم الجمعة وخاط زيد ثوبي فيه ولعله سهو فانه صرح فى موضع آخر منه بامتناع عطف قول القائل خفى ضيق على قوله خاتمى ضيق مع اتحادهما فى الخبر.

ثم قال الجامع بين الشيئين عقلى ووهمى وخيالى (١) أما العقلى فهو أن

والمسند اليه فيهما الضر وإخوة يوسف ومع هذا حصل الوصل بين الجملتين لوجود التناسب بينهما لأن المس سبب في المجيء فاتحد المسندان فى ذلك وإن لم يتحد المسند اليه فيهما.

وقد ذهب السيد الجرجانى الى نحو ما ذهب اليه السبكي في هذا فرأى أن مجرد الاتحاد أو التناسب فى الغرض الذى تصاغ له الجملة يكفى فى صحة العطف ولو لم يتحد الطرفان فى الجملتين وهذا كما يأخذ شخص فى ذكر ما وقع فى يوم من الأفعال فيقول انطلق زيد وطاب الطعام وهكذا والذى أراه أن هذا يصح فى قوانين النحو لا فى قوانين البلاغة لأن واو الوصل غير واو العطف كما سبق واذا فصلنا في هذا فالمعنى النحوى المستفاد من الواو حاصل بدونها ايضا فلا يكون هناك فائدة فى ذكرها وإنما يؤتى بواو الوصل لدفع الايهام أو للدلالة على التناسب البلاغى بين الجملتين وهو لا يكون إلا بذلك الاتحاد بين أطرافهما أما الاتحاد فى الغرض الذى يساق له الكلام فهذا واجب فى حالة الفصل أيضا على ما قدمنا وأما الآية السابقة فالمسند اليه فيهما متحد أيضا لملازمة الضر لاخوة يوسف فى ذلك القحط الذي حصل لهم.

(١) (أما العقلى فهو أن يكون بينهما اتحاد فى التصور . . .) هذا فى الحقيقة تقسيم لا تعريف وقد عرفوه بأنه أمر بسببه يجمع بين الشيئين جمعا حقيقيا بأن يكون فى الواقع ونفس الأمر ، والمراد بالاتحاد فى التصور

يكون بينهما اتحاد فى التصور أو تماثل فان العقل بتجريده المثلين عن التشخص فى الخارج يرفع التعدد أو تضايف كما بين العلة والمعلول والسبب والمسبب والسفل والعلو والأقل والأكثر فان العقل يأبى أن لا يجتمعا فى الذهن (١) وأما الوهمى فهو أن يكون بين تصوريهما شبه تماثل كأن

أن يكونا شيئا واحدا حقيقة بالشخص والنوع كاتحاد المسند اليه في قول الشاعر :

سافر تجد عوضا عمن تفارقه وانصب فان لذيذ العيش فى النصب

ولا يمكن اتحاد المسند فى الجملتين مع اختلاف المسند اليه ويمكن اتحاده مع اتحاد المسند اليه فيهما ولكن هذا يكون من باب كمال الاتصال لا مما نحن فيه .

والمراد بالتماثل أن يتفقا فى الحقيقة ويختلفا بالشخص مع اشتراكهما فى وصف له نوع اختصاص بهما من صداقة أو نحوها كما سبق في زيد شاعر وعمرو كاتب وكتماثل المسند فى قول الشاعر :

فيبكى إن نأوا شوقا اليهم ويبكى إن دنوا خوف الفراق

وكتماثل المسند اليه فى قول الآخر :

ولولا كثرة الباكين حولى على إخوانهم لقتلت نفسى
وما يبكون مثل أخى ولكن أعزى النفس عنه بالتأسى

والمراد بالتضايف أن يكونا بحيث لا يمكن تعقل كل منهما بدون الآخر كما بين المبادرة الى الفرصة والنهوض الى المراد فى قول الشاعر :

بادر الى الفرصة وانهض لما تريد فيها فهى لا تلبث

وكما بين الدنيا والقصوى فى قوله تعالى (إذ أنتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى) .

(١) (وأما الوهمى فهو أن يكون بين تصوريهما شبه تماثل . .) عرفوا الجامع الوهمى أيضا بأنه أمر بسببه يجمع بين الشيئين جمعا اعتباريا غير

بياض ولون صفرة فان الوهم يبرزهما في معرض المثلين ولذلك حسن الجمع بين الثلاثة التى فى قوله :

(١) ثلاثة تشرق الدنيا ببهجتها   شمس الضحي وأبو إسحق والقمر

أو تضاد كالسواد والبياض والهمس والجهارة والطيب والنتن والحلاوة والحموضة والملاسة والخشونة وكالتحرك والسكون والقيام والقعود والذهاب والمجيء والاقرار والانكار والايمان والكفر وكالمتصفات

محسوس باحدى الحواس الظاهرة ، فالجمع بين لونى البياض والصفرة إنما هو باعتبار الوهم أما العقل فهو يعرف أنهما نوعان متباينان داخلان تحت جنس اللون مثل البياض والسواد وكذلك الجمع بين الضدين إنما هو باعتبار الوهم وأما العقل فيدرك كلا منهما بدون الآخر والمراد بتقابل التضاد ما يشمل تقابل الضدين الوجوديين كالسواد والبياض وتقابل الايجاب والسلب وتقابل العدم والملكة كتقابل العمى والبصر والمراد بشبه التضاد تقابل الشيئين اللذين لا يتنافيان فى ذاتهما ولكن يستلزم كل منهما معنى ينافى ما يستلزمه الآخر وقيل إن تقابل التضاد خاص بتقابل الضدين الوجوديين وما عداهما يدخل فى شبه التضاد والخطب فى ذلك سهل.

ومن أمثلة الجامع الوهمى قوله تعالى (فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا) (إن الأبرار لفى نعيم وإن الفجار لفى جحيم) ومنها قول الشاعر :

المرء يأمل أن يعيش وطول عيش قد يضره
تفنى بشاشته ويبقى بعد حلو العيش مره

وقول الآخر :

إذا كنت ذا رأى فكن ذا عزيمة   ولا تك بالترداد للرأى مفسدا

(١) (ثلاثة تشرق الدنيا ببهجتها . البيت) هذا من عطف المفردات وكلامنا فى عطف الجمل .

بذلك كالأسود والأبيض والمؤمن والكافر أو شبه تضاد كالسماء والأرض والسهل والجبل والأول والثاني فان الوهم ينزل المتضادين والشبيهين بهما منزلة المتضايفين فيجمع بينهما فى الذهن ولذلك تجد الضد أقرب خطورا بالبال مع الضد (١) والخيالى أن يكون بين تصوريهما تقارن فى الخيال سابق وأسبابه مختلفة ولذلك اختلفت الصور الثابتة فى الخيالات ترتبا ووضوحا فكم صور تتعانق فى خيال وهى فى آخر لا تترا أى وكم صورة لا تكاد تلوح فى خيال وهى فى غيره نار على علم كما يحكى أن صاحب سلاح ملك وصائغا وصاحب بقر ومعلم صبية سافروا ذات يوم وواصلوا سير النهار بسير الليل فبينماهم فى وحشة الظلام ومقاساة خوف التخبط والضلال طلع عليهم البدر بنوره فأفاض كل منهم فى الثناء عليه وشبهه بأفضل ما فى خزانة صوره فشبهه السلاحي بالترس المذهب يرفع عند الملك والصائغ بالسبيكة من الابريز تفتر عن وجهها البوتقة والبقار بالجبن الأبيض يخرج من قالبه طريا والمعلم برغيف أحمر يصل اليه من بيت ذى مروءة وكما يحكى عن وراق يصف حاله : عيشى أضيق من محبرة

(١) (والخيالى أن يكون بين تصوريهما تقارن فى الخيال سابق) أي على العطف فيأتى العطف باعتباره وقد عرفوه أيضا بأنه أمر بسببه يجمع بين الشيئين جمعا اعتباريا مسندا إلى إحدى الحواس الظاهرة ، وهذا كما فى الآية الآتية (أفلا ينظرون إلى الابل كيف خلقت) ونحو قول الشاعر:

أعز مكان فى الدنا سرج سابح   وخير جليس فى الزمان كتاب

وقول الأرجانى :

فبت من وصلك فى لذة   حتى جلا الصبح محياه
والنجم قد أطبق أجفانه   والنوم قد أطلق أسراه
والليل سيف الفجر فى فرقه   يقتله والديك ينعاه

وجسمى أدق من مسطرة وجاهي أرق من الزجاج وحظى أخفي من شق القلم وبدنى أضعف من قصبة وطعامي أمر من العفص وشرابى أشد سوادا من الحبر وسوء الحال لى ألزم من الصمغ .

ولصاحب علم المعانى فضل احتياج الى التنبه لأنواع الجامع لاسيما الخيالى فان جمعه على مجرى الالف والعادة بحسب ما تنعقد الأسباب فى ذلك كالجمع بين الابل والسماء والجبال والأرض فى قوله تعالى (أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت والى السماء كيف رفعت والى الجبال كيف نصبت والى الأرض كيف سطحت) بالنسبة الى أهل الوبر فان جل انتفاعهم فى معاشهم من الابل فتكون عنايتهم مصروفة اليها وانتفاعهم منها لايحصل إلا بأن ترعى وتشرب وذلك بنزول المطر فيكثر تقلب وجوههم فى السماء ثم لابد لهم من مأوى يؤويهم وحصن يتحصنون به ولا شيء لهم فى ذلك كالجبال ثم لاغنى لهم لتعذر طول مكثهم فى منزل عن التنقل من أرض الي سواها فاذا فتش البدوى فى خياله وجد صور هذه الأشياء حاضرة فيه على الترتيب المذكور بخلاف الحضرى فاذا تلا قبل الوقوف على ماذكرنا ظن النسق لجهله معيبا .

(١) ومن محسنات الوصل تناسب الجملتين في الاسمية والفعلية وفى المضى

---

(١) (ومن محسنات الوصل تناسب الجملتين فى الاسمية ...) قد سبق أن الجملة تكون اسمية لافادة الثبوت وتكون فعلية لافادة التجدد وأنه متى كان المراد إفادة الثبوت وجبت اسمية الجملة ومتى كان المراد إفادة التجدد وجبت فعليتها فلا يراد من عدتناسب الجملتين فى ذلك من محسنات الوصل إلا أنه إذا اتفق ذلك عند وجود داعيه يكون حسنا فى ذاته مع وجوبه بالنظر إلى ذلك الداعي الذى يقتضيه لأن واجبات البلاغة يستند أكثرها إلى التحسين ولهذا كان كل ماوجب لغة وجب بلاغة ولم يكن كل

والمضارعة إلا لمانع (١) كما اذا أريد بأحداهما التجدد وبالأخرى الثبوت كما اذا كان زيد وعمرو قاعدين ثم قام زيد دون عمرو وقلت قام زيد وعمرو قاعد كما سبق .

ما وجب بلاغة وجب لغة كما هنا فان العطف مع عدم التناسب فى ذلك جائز عند النحويين مطلقا وهو المشهور الصحيح عندهم وقيل إن المراد من ذلك الاستحسان البديعى وأن محله عند قصد النسبة فى الجملتين فى ضمن أى خصوصية كانت فيجوز فى هذا رعاية التناسب وعدمه وتكون رعاية التناسب من المحسنات البديعية ولكن هذا إنما يجرى على القول بأن الجملة الاسمية لا تفيد الدوام إلا بالقرائن وبأن الجملة الفعلية لا تفيد التجدد إلا بالقرائن أيضافلا يكون لهافى ذاتها دلالة على أكثر من الثبوت كالجملة الاسمية .

ومن أمثلة رعاية التناسب فى ذلك :

أسود إذا ماأبدت الحرب نابها ... وفى سائر الدهر الغيوث المواطر
أعطيت حتى تركت الريح حاسرة ... وجدت حتى كأن الغيث لم يجد
أخوك الذى إن تدعه لملمة ... يجبك وإن تغضب إلى السيف يغضب

(١) (كما إذا أريد باحداهما التجدد ...) وقد سبق ذلك فى قوله تعالى (وإن تدعوهم إلى الهدى لا يتبعوكم سواء عليكم أدعوتموهم أم أنتم صامتون) أى سواء أجددتم الدعوة أم استمر عليكم صمتكم عن دعائهم يريد الله تعالى معبوداتهم لأن حالهم المستمرة السكوت عن دعوتهم إلى الهدى لأنهم يعرفون أنها لا تجيبهم إلى ذلك وإنما هو فرض يقدر الله تعالى حدوثه منهم، وكذلك قوله تعالى (قالوا أجئتنا بالحق أم أنت من اللاعبين) لأنهم كانوا يزعمون أن اللعب حالة مستمرة له صلى الله عليه وسلم فاستفهموا عن تجدد مجيئه بالحق لهم ، ومنه قول الشاعر :

أهدى إلى أبو الحسين يدا ... أرجو الثواب بها لديه غدا

ومما يتصل بهذا الباب القول فى الجملة اذا وقعت حالا منتقلة [١] فانها تجىء تارة بالواو وتارة بغير الواو فنقول[٢] أصل الحال المنتقلة أن تكون

وكذاك عادات الكريم إذا أولى يدا حسبت عليه يدا

ومن محسنات الوصل أيضا التناسب فى الاطلاق والتقييد والتناسب فى الاطلاق كثير ومن التناسب فى التقييد :

دنوت تواضعا وعلوت مجدا فشأناك انحدار وارتفاع

تنام عيني وعين النجم ساهرة وتستحيل وصبغ الليل لم يحل

بدت قمرا ومالت خوط بان وفاحت عنبرا ورنت غزالا

(١) (فانها تجىء تارة بالواو وتارة بغير الواو) قال بعض الكاتبين فى الفصل والوصل إن مجىء الحال كذلك يجرى على مقتضى أحكامه النحوية لا على مقتضى مقامات بيانية يصح بها ذكره هنا والحق أن مجىء الحال كذلك يجرى على مقتضى مقامات بيانية يجب بها منه بلاغة مالا يجب نحوا وأن كل جملة وقعت حالا ثم امتنعت من الواو فذاك كما قال عبد القاهر لأنك عمدت الى الفعل الواقع فى صدرها فضممته الى الفعل الأول فى إثبات واحد نحو قولك جاءنى زيد يسرع فهو بمنزلة قولك جاءنى زيد مسرعا وهذا بخلاف كل جملة وقعت حالا ثم اقتضت الواو فانها لا تكون إلا حيث تكون مستأنفا بها خبرا وغير قاصد الى أن تضمها الى الفعل الأول فى إثبات واحد وهذا إنما يكون عند قصد الاهتمام بها أو إزالة شك أو إنكار أو نحوهما ولاشك أن مراعاة هذا فى الحال من صميم البلاغة وأما النحو فيجعل قولك جاء زيد مسرعا مثل قولك جاء زيد يسرع وجاء زيد وهو يسرع ويصح فيه أن تقال جميعا فى حالة واحدة .

(٢) (أصل الحال المنتقلة أن تكون بغير واو) تنقسم الحال الي منتقلة ولازمة نحو جاء زيد يضحك خلق الله الزرافة يديها أطول من رجليها وتنقسم أيضا الي مؤسسة ومؤكدة نحو خلق الله الزرافة يديها أطول من رجليها

بغير واو لوجوه : الأول أن إعرابها ليس بتبع وما ليس إعرابه بتبع لا يدخله الواو وهذه الواو وإن كانت تسمي واوالحال فان أصلها العطف الثاني أن الحال فى المعنى حكم على ذى الحال كالخبر بالنسبة الي المبتدإ إلا أن الفرق بينه وبينها أن الحكم به يحصل بالاصالة لا فى ضمن شيء آخر والحكم بها إنما يحصل فى ضمن غيرها فان الركوب مثلا فى قولنا جاء زيد راكبا محكوم به على زيد لكن لا بالاصالة بل بالتبعية بأن وصل بالمجيء وجعل قيدا له بخلافه فى قولنا زيد راكب . الثالث أنها فى الحقيقة وصف لذى الحال فلا يدخلها الواو كالنعت فثبت أن أصلها أن تكون بغير واو لكن خولف الأصل فيها اذا كانت جملة لأنها بالنظر اليها من حيث هى جملة مستقلة بالافادة فتحتاج الى مايربطها بما جعلت حالا عنه وكل واحد من الضمير والواو صالح للربط (١) والأصل الضمير بدليل الاقتصار عليه فى الحال المفردة والخبر والنعت .

واذا تمهد هذا فنقول الجملة التي تقع حالا ضربان خالية عن ضمير ماتقع حالا عنه وغير خالية أما الأولى فيجب أن تكون بالواو لئلا تصير

هو الحق لا شبهة فيه ، والحال المؤسسة منتقلة أو لازمة هي التى تكون بغير واو فى الأصل الغالب والحال المؤكدة هى التى تمتنع الواو فيها وقد قيد الخطيب بالمنتقلة ليحترز من أجل هذا عنها ولكن التى يصح الاحتراز بها عنها هى الحال المؤسسة لا المنتقلة كما لا يخفى .

(١) (والأصل الضمير) يعنى فى نظر البلغاء فلا يعدل عنه إلا لنكتة تدعوا الى زيادة ارتباط بغيره من قصد اهتمام بالحال ونحوه فيؤتي به فى جملة مستقلة وتربط بالواو وحدها أو معه أما النحاة فيستوى عندهم الحال المفرد والجملة والربط بالضمير وغيره .

منقطعة عنه غير مرتبطة به [١] وكل جملة خالية عن ضمير مايجوز أن ينتصب عنه حال يصح أن تقع حالا عنه اذا كانت مع الواو إلا المصدرة بالمضارع المثبت كقولك جاء زيد ويتكلم عمرو على أن يكون ويتكلم عمرو حالا عن زيد لما سيأتى أن ارتباط مثلها يجب أن يكون بالضمير وحده ، وأما الثانية فتارة يجب أن تكون بالواو وتارة يمتنع ذلك وتارة يترجح أحدهما وتارة يستوي الأمران والواو غير مناف للضمير فى إفادة الربط فتعين التنبيه على أسباب الاختلاف فنقول الجملة إن كانت فعلية والفعل مضارع مثبت امتنع الواو كقوله تعالى (ونذرهم فى طغيانهم يعمهون) وقوله [٢] (ولا تمنن تستكثر) وقوله (وسيجنبها الأتقى الذى يؤتى ماله يتزكى) [٣] لأن أصل الحال

---

(١) (وكل جملة خالية ...) يقصد بهذا تقييد وجوب الربط بالواو فى الجملة الخالية عن ضمير ذى الحال بأن محله اذا كانت صالحة الربط بالواو بأن تكون غير مصدرة بمضارع مثبت لأن الجملة اذا صدرت به لا يصح ربطها بالواو ويجب ربطها بالضمير .

(٢) (وقوله ولا تمنن تستكثر) أي بالرفع على القراءة المتواترة وقد قرىء بالجزم على البدلية.

(٣)(لأن أصل الحال المفردة أن تدل ...) هذه نكتة نحوية لامعنى لذكرها هنا وقد سبقت نكتته البلاغية عن عبد القاهر ولايقدح وجوب ربطه بالضمير فى بلاغته لأنه ينظر إليه في البلاغة من جهة أنه كان يمكن أن يؤدى بحال مفردة أوجملة إسمية فالعدول اليه لماسبق من نكتته البلاغية ولا يفوتنا هنا أن ننبه الى أن نحو جاء زيد يسرع أقوى فى إثبات معنى الحال من جاء زيد مسرعا وأن نحو جاء زيد وهو يسرع أقوى في إثبات ذلك منهما وأن كل واحد من ذلك يرجع الى مقام يقتضيه كما قدمنا ، وما

المفردة أن تدل على حصول صفة غير ثابتة مقارن لما جعلت قيدا له والمضارع المثبت كذلك أما دلالته على حصول صفة غير ثابتة فلأنه فعل مثبت (١) والفعل المثبت يدل على التجدد وعدم الثبوت كما مر وأما دلالته على المقارنة (٢) فلكونه مضارعا فوجب أن يكون بالضمير وحده كالحال المفردة ولهذا امتنع نحو جاء زيد ويتكلم عمرو كما مر وأما ماجاء من نحو قول بعض العرب قمت وأصك عينه أووجهه وقول عبد الله بن همام السلولي

(٣) فلما خشيت أظافيرهم نجوت وأرهنهم مالكا

فقيل على حذف المبتدإ أي وأنا أصك عينه وأنا أرهنهم وقيل الأول شاذ والثاني ضرورة وقال الشيخ عبد القاهر ليست الواو فيهما للحال بل هي للعطف وأصك وأرهن بمعنى صككت ورهنت ولكن الغرض من إخراجهما على لفظ الحال أن يحكيا الحال في أحد الخبرين ويدعا الآخر على أصله كما في قوله .

ذكره من دلالة الحال . المفردة على حصول صفة غير ثابتة مبني على ماقدمه من جعل الكلام في الحال المنتقلة وقد علمت مافيه .

(١) (والفعل المثبت يدل على التجدد ...) أي على حصول التجدد ودلالته على الحصول بكونه مثبتا وعلى التجدد بكونه فعلا .

(٢) (فلكونه مضارعا) والمضارع يدل على الحال فيدل على تلك المقارنة وقد رد هذا بأن تلك المقارنة معناها أن يكون الحال مقارنا لزمان عامله ماضيا كان أو حالا أو استقبالا فأين هي من دلالة المضارع على ذلك ؟ .

(٣) (فلما خشيت أظافيرهم . البيت) الأظافير جمع أظفار وهي جمع ظفر والمراد به الشوكة والقوة كناية عن الظفر به ، وأرهنهم بضم النون كما رواه الأصمعي والذي أنشده الجوهري وأرهنتهم على أن أرهنته بمعنى رهنته .

ولقد أمر على اللئيم يسبنى فمضيت ثمت قلت لا يعنينى

يبين ذلك أن الفاء قد تجيء مكان الواو فى مثله كما فى خبر عبد الله بن عتيك فانه ذكر دخوله على أبي رافع اليهودى حصنه ثم قال فانتهيت اليه فاذا هو فى بيت مظلم لا أدرى أين هو من البيت قلت أبا رافع قال من هذا فأهويت نحو الصوت فأضربه بالسيف وأنا دهش ، فان قوله فأضربه مضارع عطفه بالفاء على ماض لأنه فى المعنى ماض ، وإن كان الفعل مضارعا منفيا فيجوز فيه الأمران من غير ترجيح (١) لدلالته على المقارنة لكونه مضارعا وعدم دلالته على الحصول لكونه منفيا أما مجيئه بالواو فكقراءة ابن ذكوان فاستقيما ولا تتبعان (٢) بتخفيف النون وقول بعض العرب كنت ولا أخشى بالذيب وقول مسكين الدرامى .

ومما جاء بدون الواو من الشعر فى المضارع المثبت :

وقد علوت قتود الرحل يسفعنى يوم قديدمة الجوزاء مسموم

ولقد أغتدى يدافع ركنى أحوذي ذو ميعة إضريج

(١) (لدلالته على المقارنة . . .) قد سبق بيان ضعف هذه النكتة والحق أن دخول حرف النفى على المضارع أبعده عن دخوله مع ماقبله فى إثبات واحد فلهذا جاز دخول الواو فيه دون المضارع المثبت على أن جمهور النحاة على أن المضارع المنفى لا تدخله الواو كالمضارع المثبت وتأويل مادخلت عليه من ذلك بتقدير مبتدإ وقد تبع الخطيب فى تجويز دخولها عليه صاحب المفصل .

(٢) (بتخفيف النون) أما بتشديدها فهو نهي معطوف على ماقبله والحق أن الواو مع التخفيف للعطف أيضا لأنه نفي فى معنى النهى ولا يصح أن تكون للحال لأنها تكون حينئذ حالا مؤكدة كما هو ظاهر والحال المؤكدة لايصح دخول الواو عليها كما سبق .

(١) أكسبته الورق البيض أبا ولقد كان ولا يدعى لأب

وقول مالك بن رفيع وكان قد جنى جناية فطلبه مصعب بن الزبير

(٢) بغانى مصعب وبنو أبيه فأين أحيد عنهم لا أحيد
أقادوا من دمى وتوعدونى وكنت وما ينهنهى الوعيد

وأما مجيئه بغير واو فكقوله تعالى (ومالنا لا نؤمن بالله) وقول عكرمة العبسى.

(٣) مضوا لا يريدون الرواح وغالهم من الدهر أسباب جرين على قدر

وقول خالد بن يزيد بن معاوية.

لو أن قوما لارتفاع قبيلة دخلوا السماء دخلتها لا أحجب

(٤) وقول الأعشى:

أتينا أصبهان فهزلتنا وكنا قبل ذلك فى نعيم
وكان سفاهة منى وجهلا مسيرى لا أسير الي حميم

---

(١) (أكسبته الورق البيض أبا. البيت) الورق بكسر الراء المال من الدراهم ويجمع علي أوراق وقد وصف هنا بالجمع كما يقال الدرهم البيض لتعدده فى المعنى.

(٢) (بغانى مصعب وبنو أبيه. البيتين) بغانى طلبنى، وأحيد أتنحى، وأقادوا من دمى قتلوا بدل قتيلهم، وينهنهى يزجرنى.

(٣) (مضوا لا يريدون الرواح وغالهم. البيت) الرواح الرجوع، وغالهم أهلكهم، وقدر باسكان الدال من قدرته قدرا بمعنى قدرته تقديرا يعني أسبابا مقدرة.

(٤) (وقول الأعشى: أتينا أصبهان فهزلتنا. البيتين) هو أعشى همدان وكان قد صحب عباد بن ورقاء إلى أصبهان فلم يحمده، وهزلتنا أضعفتنا، والحميم الصديق.

كأنه قال وكان سفاهة منى وجهلا أن سرت غير سائر الى حميم ، وإن كان ماضيا لفظا أو معنى فكذلك يجوز الأمران من غير ترجيح أما مجيئه بالواو فكقوله تعالى (أني يكون لى غلام وقد بلغنى الكبر) وقوله تعالى (أنى يكون لى غلام وكانت امرأتى عاقرا) وقول امرىء القيس .

(١) أيقتلنى وقد شعفت فؤادها كما شعف المهنوأة الرجل الطالى

وقوله :

(٢) فجئت وقد نضت لنوم ثيابها لدى الستر إلا لبسة المتفضل

وقوله تعالى (أوقال أوحى الي ولم يوح اليه شىء) وقوله (أني يكون لى غلام ولم يمسسنى بشر)(٣) وقول كعب :

لا تأخذنى بأقوال الوشاة ولم أذنب وإن كثرت فى الأقاويل

وقوله تعالى (أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم) (٤) وقول الشاعر :

بانت قطام ولما يحظ ذومقة منها بوصل ولا إنجاز ميعاد

---

(١) (أيقتلنى وقد شعفت فؤادها . البيت) رواية الديوان أيقتلنى أنى شعفت فؤادها أى غلب حبى قلبها وخالطه، والمهنوءة المطلية بالقطران، وشعفها طلاها به يعنى أن حبه بلغ منها كما يبلغ القطران من الناقة المهنوءة فانه يسرى فى جسمها حتى يوجد طعمه فى لحمها .

(٢) (فجئت وقد نضت لنوم ثيابها . البيت) نضت نزعت ، واللبسة بكسر اللام اسم هيئة ، والمتفضل الذى يبقى فى ثوب واحد لينام أو يعمل عملا .

(٣) (وقول كعب : لا تأخذنى بأقوال الوشاة ولم . البيت) هو لكعب ابن زهير من قصيدته :

بانت سعاد فقلبى اليوم متبول متيم إثرها لم يفد مكبول

(٤) (وقول الشاعر : بانت قطام ولما يحظ ذو مقة . البيت) قطام

وأما مجيئه بلا واو فكقوله تعالى (أو جاؤوكم حصرت صدورهم) وقول الشاعر (١)

وإنى لتعروني لذكراك هـــزة كما انتفض العصفـور بلله القطر

وقوله : (٢)

أتينا كم قد عمكم حـذر العـدى فنلتم بنا أمنا ولم تعدموا نصرا

وقوله : (٣)

متى أرى الصبح قد لاحت مخايله والليل قد مزقت عنه السرابيل

وكقوله تعالى (فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء) وقوله (ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا) (٤) وقول امرىء القيس .

فأدرك لم يجهد ولم يثن شأوه

اسم امرأة ، والمقة اسم من ومقه يمقه ومقا ومقة أحبه .

(١) (وقول الشاعر : وإني لتعرونى لذكراك هزة . البيت) هو أبو صخر الهزلى ، وهزة بكسر الهاء اسم هيئة .

(٢) (وقوله : أتينا كم قد عمكم حذر العدى . البيت) حذر العدى خوفهم من إضافة المصدر إلى مفعوله ، والعدى بكسر العين وضمها الأعداء .

(٣) (وقوله : متى أرى الصبح قد لاحت مخايله . البيت) هو حندج ابن حندج المرى ، ومخايل الصبح طلائعه ، وسرابيل الليل ظلامه شبه بها .

(٤) (وقول امرىء للقيس : فأدرك لم يجهد ولم يثن شأوه) هو من قصيدته (خليلى مرابى على أم جندب) :

فأدرك لم يجهـــد ولم يثن شأوه يمر كخذروف الوليد المثقب

وهو مما جاء منها فى وصف فرسه يعني أنه أدرك طريدته بغير مشقة فى أول شأوه، والشأو الطلق، والخذروف الدوارة التي يلعب بها الصبيان.

(١) وقول زهير :

كأن فتات العهن فى كل منزل نزلن به حب الفنا لم يحطم

(٢) والسبب فى أن جاز الأمران فيه اذا كان مثبتا دلالته على حصول صفة غير ثابتة لكونه فعلا وعدم دلالته على المقارنة لكونه ماضيا ولهذا اشترط أن يكون مع قد ظاهرة أو مقدرة حتى تقربه الى الحال فيصح وقوعه حالا وظاهر هذا يقتضى وجوب الواو فى المنفى لانتفاء المعنيين لكنه لم يجب فيه بل كان مثله أما المنفى بلما (٣) فلأنها للاستغراق وأما المنفى بغيرها فلأنه لما دل على انتفاء متقدم وكان الأصل استمرار ذلك حصلت الدلالة على المقارنة عند إطلاقه بخلاف المثبت فان وضع الفعل على إفادة التجدد وتحقيق هذا أن استمرار العدم لا يفتقر الى سبب بخلاف استمرار الوجود كما بين فى غير هذا العلم، وإن كانت الجملة اسمية فالمشهور أنه يجوز فيها الأمران ومجىء الواو أولى (٤) أما الأول فلعكس

---

(١) (وقول زهير : كأن فتات العهن فى كل منزل . البيت) هو من معلقته (أمن أم أوفى دمنة لم تكلم) والفتات اسم لما انفت وتقطع من الشىء ، والعهن الصوف المصبوغ ، والفنا عنب الثعلب واحده فناة ، يريد تشبيه قطع الصوف المصبوغ الذى زينت به الهوادج بحب عنب الثعلب فى حمرته قبل تحطيمه لأنه إذا حطم تزول حمرته .

(٢) (والسبب فى أن جاز الأمران فيه . . .) قد سبق بيان ضعف هذه النكتة والحق أن دخول قد أو حرف النفى فى ذلك أبعده عن دخوله مع ماقبله فى إثبات واحد كالمضارع المنفى .

(٣) (فلأنها للاستغراق) يعنى امتداد النفى إلى زمن التكلم .

(٤) (أما الأول فلعكس ماذكرناه . . .) يريد بالأول جواز الأمرين فيها وعكس ما ذكره فى المصدرة بالماضى المثبت هو أن الجملة

ماذكرناه فى المصدرة بالماضى المثبت فمجىء الواو كقوله تعالى (فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون) وقوله (ولا تباشروهن وأنتم عاكفون فى المساجد) وقول امرىء القيس .

أيقتلني والمشـــرفى مضـاجـعى ومسنونة زرق كأنياب أغـوال

(١) وقوله :

ليالى يدعوني الهوى وأجيبـه وأعين من أهوى الى روانـــ

والخلو منها كما رواه سيبويه كلمته فوه الى فى ورجع عوده على بدئه بالرفع وما أنشده أبو على فى الاغفال

(٢) ولولا جنان الليل ما آب عامر الى جعفر سرباله لم يمـــزق

(٣) وقول الآخر

ما بال عينك دمعها لا يرقأ

(٤) وقول الآخر

الاسمية تدل على المقارنة لكونها مستمرة لا على حصول صفة غير ثابتة لدلالتها على الدوام والثبوت وقد عرفت ضعف هذه النكتة .

(١) (وقوله : ليالى يدعونى الهوى فأجيبه . البيت) يعنى قول امرىء القيس من قصيدته (لمن طلل أبصرته فشجانى) وروانى جمع رانية وهن مديمات النظر .

(٢) (ولولا جنان الليل ما آب عامر . البيت) هو لسلامة بن جندل وجنان الليل ظلمته ، وسرباله فى الأصل قميصه استعاره لنفسه يعني أنه لولا ظلمة الليل لقتل ولم يرجع إليه .

(٣) (وقول الآخر: مابال عينك دمعها لا يرقأ) البال الحال، ولا يرقأ من رقأ الدمع أو الدم جف وانقطع .

(٤) (وقول الآخر: ثم راحوا عبق المسك بهم) هو طرفة بن العبد:

ثم راحوا عبق المسك بهم

(١) وأما الثانى فلعدم دلالة الاسمية على عدم الثبوت مع ظهور الاستئناف فيها لاستقلالها بالفائدة فتحسن زيادة رابطاً كد الربط،(٢) وقال الشيخ عبد القاهر إن كان المبتدأ ضمير ذى الحال وجب الواو كقولك جاء زيد وهو يسرع أو وهو مسرع ولعل السبب فيه أن أصل الفائدة كان يحصل بدون هذا الضمير بأن يقال جاءنى زيد يسرع أو مسرعا فالاتيان

ثم راحوا عبق المســـك بهـم يلحقون الأرض هداب الأزر

وعبق المســك مصدر عبق بمعنى لصق ، وهداب الأزر ما استرسل منها الى الأرض .

(١) (وأما الثانى فلعدم دلالة الاسمية ...) يعنى بالثانى كون مجيء الواو أولى والمهم فى نكتته ظهور قصد الاستئناف فيهما وأما دلالتها على الثبوت فلا تأثير له فى ذلك وكان الأولى عدم ذكره فيه .

(٢) (وقال الشيخ عبد القاهر إن كان المبتدأ ...) ما مضى من جواز الأمرين فى الجملة الاسمية هو مذهب علماء النحو وهم كما سبق ينظرون الى صحة الكلام فى ذاته ولا خلاف بينهم وبين عبد القاهر فى ذلك كما توهموه لأنه ينظر فيه من جهة البلاغة ويبنى الاتيان بالواو وتركها فى الجملة الاسمية على قصد الاستئناف وعدمه على نحو ما سبق فى الجملة الفعلية ولكن الأصل عنده فى الاسمية أن تكون مبنية على قصد الاستئناف ولا فرق فى هذا عنده بين الجملة المبتدأة بضمير ذى الحال والمبتدأة بغيره إلا بأن الأولى تكون دائما مقصودا منها استئناف الاثبات أما الثانية فيجوز أن تأتي على خلاف الأصل فيها فتكون فى تأويل المفرد نحو كلمته فوه الى فى وما أشبه ذلك وكل هذا كما سبق يجرى علي اختلاف حال المخاطب فى الانكار وغيره وهذه اعتبارات أخرى غير تلك الاعتبارات النحوية .

به يشعر بقصد الاستئناف المنافى للاتصال فلا يصلح لأن يستقل بافادة الربط فتجب الواو وقال أيضا (١) إن جعل نحو على كتفه سيف بتقديم الظرف حالا عن شيء كما في قولنا جاء زيد على كتفه سيف كثر فيها أن تجيء بغير واو كقول بشار :

(٢) إذا أنكرتني بلدة أو نكرتها خرجت مع البازي على سواد

يعنى على بقية من الليل وقول أبي الصلت عبد الله الثقفى يمدح ابن ذى يزن .

(٣) فاشرب هنيئا عليك التاج مرتفقا في رأس غمدان دارا منك محلالا

(٤) وقول الآخر

لقد صبرت للذل أعواد منبر تقوم عليها في يديك قضيب

ثم قال والوجه أن يقدر الاسم فى الأمثلة مرتفعا بالظرف فانه جائز باتفاق من صاحب الكتاب وأبى الحسن (٥) لاعتماده على ماقبله ثم اختار

---

(١) (إن جعل نحو على كتفه سيف) أى من كل جملة اسمية خبرها جار ومجرور متقدم .

(٢) (اذا أنكرتنى بلدة أو نكرتها . البيت) أنكر ونكر بكسر العين واستنكر بمعنى كره ، وخروجه مع البازى كناية عن تبكيره فتكون جملة على سواد حالا مؤكدة له وقد سبق أن موضوع هذا الفصل الحال المؤسسة لا المؤكدة .

(٣) (فاشرب هنيئا عليك التاج مرتفقا . البيت) مرتفقا متكئا ومحلالا كثير حلولها لكرم صاحبها .

(٤) (وقول الآخر : لقد صبرت للذل أعواد منبر . البيت) هو لأبى واثلة بن خليفة السدوسى يهجو به عبد الملك بن المهلب .

(٥) (لاعتماده على ماقبله) يعنى به صاحب الحال .

أن يكون الظرف ههنا خاصة فى تقدير اسم فاعل وجوز أيضا أن يكون فى تقدير فعل ماض مع قد ومنع أن يكون فى تقدير فعل مضارع ولعله إنما اختار تقديره باسم فاعل لرجوع الحال حينئذ الى أصلها فى الافراد ولهذا كثر مجيئها بلا واو وإنما جوز التقدير بفعل ماض أيضا لمجيئها بالواو قليلا (١) وإنما منع التقدير بفعل مضارع لأنه لو جاز التقدير به لامتنع مجيئها بالواو ثم قال وربما يحسن مجيء الاسمية بلا واو لدخول حرف على المبتدإ (٢) كما فى قوله :

فقلت عسى أن تبصرينى كأنما بنى حوالى الأسود الحوارد

فانه لولا دخول كأن عليه لم يحسن الكلام إلا بالواو كقولك عسى أن تبصرينى وبنى حوالى الأسود ثم قال وشبيه بهذا أن تقع حالا بعقب المفرد (٣) فيلطف مكانها بخلاف مالو أفردت كقول ابن الرومى :

(٤) والله يبقيك لنا سالما برداك تبجيل وتعظيم

---

(١) (وإنما منع التقدير بفعل مضارع ...) الحق أنه يجوز تقديره أيضا وأن هذا لايمنع منه كما لم يمنع من تقدير المفرد .

(٢) (كما فى قوله : فقلت عسى أن تبصرينى كأنما . البيت) هو الفرزدق يخاطب امرأة عزلته فى اعتنائه ببنيه ، والحوارد الغضاب .

(٣) (فيلطف مكانها) يعنى بغير الواو .

(٤) (والله يبقيك لنا سالما . البيت) يدعو له بأن يبقى سالما مشتملا عليه التبجيل والتعظيم اشتمال البرد على لابسه وقد ثناه باعتبار لفظ التبجيل والتعظيم وإن كان معناهما واحدا .

القول في الايجاز والاطناب والمساواة

(١) قال السكاكى أما الايجاز والاطناب فلكونهما نسبيين لا يتيسر الكلام فيهما إلا بترك التحقيق والبناء على شيء عرفى مثل جعل كلام الأوساط على مجرى متعارفهم فى التأدية للمعاني فيما بينهم ولا بد من الاعتراف بذلك مقيسا عليه ولنسمه متعارف الأوساط وإنه فى باب البلاغة لا يحمد منهم ولا يذم (٢) فالايجاز هو أداء المقصود من الكلام بأقل من عبارات

الايجاز والاطناب والمساواة

(١) (قال السكاكى أما الايجاز والاطناب . . .) إنما كان الايجاز والاطناب نسبيين لأن الكلام الموجز إنما يكون موجزا بالنسبة الى كلام أزيد منه والكلام المطنب إنما يكون مطنبا بالنسبة الى كلام أنقص منه وكذلك المساواة أيضا من الأمور النسبية مثل الايجاز والاطناب ولما كان هذا شأن هذه الأمور لم يتيسر الكلام فيها إلا بترك التحقيق والتعيين إذ لا يمكن تعيين مقدار من الكلام للايجاز ومقدار منه للاطناب إذ رب كلام موجز يكون مطنبا بالنسبة الى كلام آخر وبالعكس فلا بد من شيء يضبطهما فى الجملة وأقرب شيء يرجع اليه فى ذلك هو الكلام العرفى وهو كلام أوساط الناس فى مجرى عرفهم فى تأدية المعانى عند معاملاتهم ومحاوراتهم ولا بد من الاعتراف بكلامهم لأن أكثر الناس منهم ولاشك أن قياس الايجاز والاطناب به يعينهما فى الجملة لانضباطه وقلة التفاوت بين أفراده وأوساط الناس هم الذين لم يصلوا الى رتبة البلاغة ولم ينحطوا الى حالة الفهاهة فيعبرون عن مرادهم بكلام صحيح الاعراب من غير مراعاة مايقتضيه الحال فى البلاغة والفصاحة .

(٢) (فالايجاز هو أداء المقصود ...) لم يذكر السكاكى المساواة هنا

متعارف الأوساط والاطناب هو أداؤه بأكثر من عباراته سواء كانت القلة أو الكثرة راجعة الى الجمل أو الى غير الجمل (١) ثم قال الاختصار لكونه من الأمور النسبية يرجع فى بيان دعواه الي ماسبق تارة والى كون

وفيما سبق لأنها على ذلك تكون هى متعارف الأوساط وهو يرى أنه لافضيلة لكلام الأوساط وأنه لايحمد منهم ولا يذم فما يصدر عن البليغ مساويا له لا يكون بليغا مثله لعدم اشتماله على نكتة يعتد بها وهذا إنما يمنع بلاغته من جهة المساواة ولا يمنع بلاغته من جهات البلاغة الأخرى اذا اشتمل عليها وقيل إن المساواة من البليغ اذا اقتضاها المقام بأن كان المخاطب من الأوساط تعد من البلاغة مثل الايجاز والاطناب والحق أنه لا بلاغة فيها لأنها كما سيأتي عبارة عن دلالة المطابقة وهى دلالة وضعية لا شأن فيها للبلاغة وقال ابن يعقوب إن عدول البليغ عن الايجاز الى المساواة يصيرها إطنابا وعن الاطناب اليها يصيرها إيجازا فتخرج فى الحالين عن أن تكون متعارف الأوساط ولا تكون من البليغ مثلها من غير البليغ ولا يخفى ضعف ذلك أيضا لأن المساواة ذات حقيقة مستقلة عن الايجاز والاطناب فلا يمكن أن تصير منهما بهذا الاعتبار

(١) (ثم قال الاختصار لكونه من الأمور النسبية يرجع فى بيان دعواه . . .) أى معناه فيعرف بتعريف آخر هو كون الكلام أقل مما يقتضيه المقام بحسب الظاهر كما فى قوله تعالى (رب إنى وهن العظم منى واشتعل الرأس شيبا) فهو إيجاز بالنسبة الى ما يقتضيه ظاهر مقام انقراض الشيب من بسط الكلام فيه غاية البسط وإن لم يكن إيجازا بالنسبة الى متعارف الأوساط فى ذلك وهو قولهم يارب شخت بل هو إطناب بالنسبة اليه وإنما اعتبر فيه أن يكون أقل مما يقتضيه المقام ظاهرا لأنه اذا كان أقل مما يقتضيه المقام تحقيقا لم يكن من البلاغة فى شيء .

المقام خليقا بأبسط مما ذكر الخطيب (١) وفيه نظر لأن كون الشيء نسبيا لا يقتضي أن لا يتيسر الكلام فيه إلا بترك التحقيق والبناء على شيء عرفي ثم البناء على متعارف الأوساط والبسط الذي يكون المقصود جديرا به (٢) رد الى جهالة فكيف يصلح للتعريف والأقرب أن يقال المقول من طرق التعبير عن المعنى هو (٣) تأدية أصل المراد بلفظ مساوله أو ناقص

---

(١) (وفيه نظر لأن كون الشيء نسبيا . . .) يعني بهذا أن كون الشيء نسبيا لا يقتضي تعسر تحقيق معناه كما صرح بذلك في التلخيص وقد أجاب عنه السعد التفتازاني بأن السكاكي لم يرد بذلك تعسر بيان معناهما بدليل أنه بين بعد هذا معناهما بما بينه به وإنما أراد كما سبق تعسر التحقيق والتعيين في أن هذا القدر إيجاز وذلك إطناب ولا يخفى أنه بعد البناء على متعارف الأوساط يتعين الايجاز والاطناب من هذه الناحية أيضا فلا يصح حمل تعسر التحقيق عليها كما لا يصح حمله على بيان معناهما .

(٢) (رد إلى جهالة) لأن متعارف الأوساط يختلف باختلاف طبقاتهم وكذلك المقامات المقتضية لبسط الكلام غير منضبطة وقد أجيب عن الأول بأنه يراد من متعارف الأوساط حد معلوم من الكلام تجري فيه الألفاظ على قدر المعاني لعدم قدرتهم على اختلاف العبارات والتصرف في لطائف الاعتبارات وإذا كان هذا هو المراد من متعارف الأوساط لم يكن هناك خلاف بين السكاكي والخطيب فيما يقاس به الايجاز والاطناب ولا حاجة إلى إطالة الكلام في تلك المحاكات كما أن الاطلاق الثاني الذي ذكره السكاكي للايجاز ليس عندي إلا إطلاقا مجازيا ولا يراد به ذكر ضابط آخر للايجاز بعد ضبطه بالاضافة إلى متعارف الأوساط كما فهم الخطيب ولقد كنا في غنى عن كل هذا التطويل لو لم يشتبه عليه الأمر فيما حكاه من كلام السكاكي .

(٣) (هو تأدية أصل المراد . . .) إضافة أصل إلى المراد إضافة بيانية

عنه واف أو زائد عليه لفائدة والمراد بالمساواة أن يكون اللفظ بمقدار أصل المراد لا ناقصا عنه بحذف أو غيره كما سيأتى ولا زائدا عليه بنحو تكرير أو تتميم أو اعتراض كما سيأتى وقولنا واف احتراز عن الاخلال وهو أن يكون اللفظ قاصرا عن أداء المعنى كقول عروة بن الورد :

عجبت لهم إذ يقتلون نفوسهم ومقتلهم عند الوغى كان أعذرا

فانه أراد إذ يقتلون نفوسهم فى السلم ، وقول الحرث بن حلزة :

(١) والعيش خير فى ظلا ل النوك ممن عاش كدا

فانه أراد العيش الناعم فى ظلال النوك خير من العيش الشاق فى

وقيل إنما زاد لفظ الأصل لأن المعتبر فى المساواة والايجاز والاطناب هو المعنى الأول وهو المعنى الذى يقصد المتكلم إفادته للمخاطب ولا يتغير بتغير العبارات واعتبار الخصوصيات ، وتأدية أصل المراد بلفظ مساو له هو المساواة ، وتأديته بلفظ ناقص عنه واف هو الايجاز ، وتاديته بلفظ زائد عليه لفائدة هو الاطناب ، ولا يلزم فى الاطناب أن يكون معناه مستفادا مما قبله وإنما المعول فيه على إفادته من المعنى ما يزيد على متعارف الأوساط وقد ذكر السبكى أن الخطيب فى حكمه بقبول المساواة كالايجاز والاطناب يخالف السكاكى فيما سبق من جعله لها غير مقبولة وأنها إنما يقاس بها الايجاز والاطناب المقبولان والحق أن السكاكى لا يخالف الخطيب فى قبول المساواة إذا اقتضاها المقام وهو لم يحكم فيما سبق إلا بأنها لا تحمد فى باب البلاغة ولا تذم وهذا لا ينافى قبولها وصحتها عنده إذا كان المقام مقتضيا لها لأن قبولها بهذا المعنى لا يمنع كونها غير محمودة فى باب البلاغة .

(١) (والعيش خير ... البيت) النوك الحمق والجهالة و إضافة الظلال إليه من إضافة المشبه به إلى المشبه .

ظلال العقل فأخل كما ترى وقولنا لفائدة احتراز من شيئين أحدهما التطويل وهو أن لا يتعين الزائد فى الكلام (١) كقوله :

وألفى قولها كذبا ومينا

فان الكذب والمين واحد ، وثانيهما مايشتمل على الحشو والحشو مايتعين أنه الزائد وهو ضربان أحدهما مايفسد المعنى كقول أبى الطيب (٢) ولا فضل فيها للشجاعة والندى … وصبر الفتى لولا لقاء شعوب

فان لفظ الندى فيه حشو يفسد المعنى لأن المعنى أنه لا فضل فى الدنيا للشجاعة والصبر والندى لولا الموت وهذا الحكم صحيح فى الشجاعة دون الندى لأن الشجاع لو علم أنه يخلد فى الدنيا لم يخش الهلاك فى

ومن ذلك أيضاً قول الشاعر :

أعاذل عاجل ماأشتهى … أحب من الأكثر الرايث

لأنه أراد عاجل ماأشتهي مع القلة أحب إلى من الأكثر المبطيء .

(١) (كقوله : وألفى قولها كذبا ومينا) هو عدى بن زيد العبادى :

وقددت الأديم لراهشيه … وألفى قولها كذبا ومينا

وقددت قطعت ، والأديم الجلد ، والراهشان عرقان فى باطن الذراعين ، وروى كذبا مبينا فلا يكون فيه تطويل وقيل إنه لا تطويل فيه على الرواية الأولى لأن القصد منه التأكيد والمقام يقتضيه .

(٢) (ولا فضل فيها للشجاعة والندى . البيت) شعوب علم جنس للمنية فهو ممنوع من الصرف وإنما جر بالكسرة لأجل القافية وقد ذكر السبكى أن لفظ الندى فى البيت ليس زيادة لفظ لمعنى مدلول لغيره حتى يكون حشوا وإنما هو إتيان بلفظ لمعناه وإن كان فى مقامه فاسدا وقد أجيب عنه بأن المراد من الحشو أن يؤتي بما لا يحتاج إليه ولو لم يكن معناه مدلولا لغيره فيشمل هذا ونحوه .

الاقدام فلم يكن لشجاعته فضل بخلاف الباذل ماله فانه اذا علم أنه يموت هان عليه بذله ولهذا يقول اذا عوتب فيه كيف لا أبذل مالا أبقي له أني أثق بالتمتع بهذا المال وعليه قول طرفة :

فان كنت لا تستطيع دفع منيتي فذرني أبادرها بما ملكت يدى

وقول مهيار :

فكل إن أكلت وأطعم أخاك فلا الزاد يبقى ولا الآكل

فلو علم أنه يخلد ثم جاد بماله كان جوده أفضل فالشجاعة لولا الموت لم تحمد والندى بالضدوأجيب عنه بأن المراد فى البيت بذل النفس لا بذل المال كما قال مسلم بن الوليد :

يجود بالنفس إن ضن الجواد بها والجود بالنفس أقصى غاية الجود

ورد بأن لفظ الندى لا يكاد يستعمل فى بذل النفس وإن استعمل فعلى وجه الاضافة فأما مطلقا فلا يفيد إلا بذل المال ، والثاني مالا يفسد المعنى (١) كقوله .

ذكرت أخى فعاودنى صداع الرأس والوصب

فان لفظ الرأس فيه حشو لافائدة فيه لأن الصداع لا يستعمل إلا في الرأس وليس بمفسد للمعنى وقول زهير

وأعلم علم اليوم والأمس قبله ولكننى عن علم مافى غد عمي

فان قوله قبله مستغنى عنه غير مفسد (٢) وقول أبى عدى :

---

(١) (كقوله : ذكرت أخى فعاودنى . البيت) هو أبو العيال الهذلى والصداع وجع الرأس ، والوصب المرض والوجع الدائم ، وقد أخذ عليه أيضا أن الذاكر لما فات من محبوب يوصف بألم القلب واحتراقه لا بصداع الرأس .

(٢) (وقول أبى عدى : نحن الرؤوس وما الرؤوس إذا سمت . البيت)

نحن الرؤوس وما الرؤوس اذا سمت ... في المجد للأقوام كالأذناب

فان قوله للأقوام حشو لا فائدة فيه مع أنه غير مفسد ، واعلم أنه قد تشتبه الحال على الناظر لعدم تحصيل معنى الكلام وحقيقته فيعد من الزائد على أصل المراد ما ليس منه كما مثله بعض الناس (٢) بقول القائل :

ولما قضينا من منى كل حاجة ... ومسح بالأركان من هو ماسح

وشدت على دهم المهارى رحالنا ... ولم ينظر الغادى الذى هو رائح

أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا ... وسالت بأعناق المطى الأباطح

يبين أنه ليس منه ماذكره الشيخ عبد القاهر فى شرحه قال أول ما يتلقاك من محاسن هذا الشعر أنه قال ولما قضينا من منى كل حاجة فعبر عن قضاء جميع المناسك فرائضها وسننها بطريق العموم الذى هو أحد طرق الاختصار ثم نبه بقوله ومسح بالأركان من هو ماسح على طواف الوداع الذى هو آخر الأمر ودليل المسير الذى هو مقصوده من الشعر ثم قال وشدت البيت فوصل بذكر مسح الأركان ماوليه من زم الركاب

هو عبد الله بن عمر بن عبد الله العبلى الأموى ، والرؤوس جمع رأس وهو مايلى الرقبة من أعلاها أو أعلى الشيء مطلقا .

(١) (بقول القائل : ولما قضينا من منى كل حاجة . الأبيات) هو كثير عزة وقيل إنه ابن الطثرية وقد زعم من عده من الزائد على أصل المراد أن أصل المراد فيه ولما رجعنا من منى أخذنا فى الكلام ، و دهم المهارى سودها جمع مهرية لأن أصلها من مهرة ، والغادى الذى يسير فى أول النهار ضد الرائح ، والأباطح جمع بطحاء وهى كل مسيل واسع فيه رمل ودقاق الحصى.

هذا وقد قيد ابن مالك فى المصباح هذا الحشو بما ليس فيه بديع فان كان فيه بديع حسن كقول المتنبي .

وركوب الركبان ثم دل بلفظ الأطراف على الصفة التى تختص بها الرفاق فى السفر من التصرف فى فنون القول وشجون الحديث أو ماهو عادة المتطرفين من الاشارة والتلويح والرمز والايماء وأنبأ بذلك عن طيب النفوس وقوة النشاط وفضل الاغتباط كما توجبه ألفة الأصحاب وأنسة الأحباب ويليق بحال من وفق لقضاء العبادة الشريفة ورجا حسن الاياب وتنسم روائح الأحبة والأوطان واستماع التهانى والتحايا من الخلان والاخوان ثم زان ذلك كله باستعارة لطيفة حيث قال وسالت بأعناق المطى الأباطح فنبه بذلك على سرعة السير ووطاءة الظهر وفى ذلك مايؤكد ماقبله لأن الظهور اذا كانت وطيئة وكان سيرها سهلا سريعا زاد ذلك فى نشاط الركبان فيزداد الحديث طيبا ثم قال بأعناق المطى ولم يقل بالمطى لأن السرعة والبطء فى سير الابل يظهر ان غالبا فى أعناقها ويتبين أمرها

وخفوق قلب لو رأيت لهيبه يا جنتى لرأيت فيـــه جهنما

وأما قوله فى كافور :

ترعرع الملك الأستاذ مكتهلا قبل اكتهال أديبا قبل تأديب

وقيل فيه إن ذكر الأستاذ بعد الملك مفسد ينقص المدح وقد اعتذر عنه بأن الأستاذ صار لكافور كاللقب الذى لايريد تغييره لأنه كان مدبر الأمر ولد الاخشيذ يفتخر بخدمته .

وكان على الخطيب أن يذكر مقـام كل من المساواة والايجاز والاطناب ، ومقام المساواة هومقام الاتيان بالأصـل حيث لامقتضى للعدول عنه وقد عرفت قيمة هذه النكتة وأنها لاتلحق بالبلاغة المساواة ولاغيرها ، ومقام الايجاز هو مقام حذف أحد المسندين أو المتعلقات ، ومقام الاطناب يكون بضد ذلك من قصـد التقرير أو زيادة الايضاح أو رعاية الفاصلة أوبسط الكلام حيث الاصغاء مطلوب ولذلك مواضع

من هواديها وصدورها وسائر أجزائها تستند اليها في الحركة وتتبعها في الثقل والخفة

القسم الأول المساواة

كقوله تعالى (ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله) وقوله (واذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا فى حديث غيره) وقول النابغة الذبيانى :

(١) فانك كالليل الذى هو مدركى　　وإن خلت أن المنتأى عنك واسع

كالمدح والهجاء والوعظ والارشاد ونحو ذلك .

(١) (فانك كالليل الذى هو مدركى . البيت) المنتأى مكان الانتياء وهو البعد وإطلاق السعة عليه مجاز مرسل علاقته المجاورة لأن الموصوف بالسعة فى الحقيقة هو مسافة ما بين المخاطب ومكان البعد الذى لجأ اليه الشاعر.

هذا ولا يقدح فى المساواة حذف المستثنى منه كما فى الآية الأولى ولا حذف جواب الشرط على نحو ما فى البيت ولا نحو ذلك مما يكون اعتبار الحذف فيه لرعاية الاعراب ولا يفتقر إليه فى تأدية أصل المراد بحيث إنه لو صرح به يكون من الحشو نعم يقدح فى عد ما فى الآية من المساواة أنه تذييل لقوله قبله ومكر السيء. اللهم إلا أن ينظر اليه فى ذاته بقطع النظر عما قبله .

وهذه أمثلة شعرية من المساواة :

ومهما يكن عند امرىء من خليقة　　وإن خالها تخفى على الناس تعلم
إذا أنت لم تقصر عن الجهل والخنا　　أصبت حليما أو أصابك جاهل
ستبدى لك الأيام ما كنت جاهلا　　ويأتيك بالأخبار من لم تزود
ما زال يسبق حتى قال حاسده　　له طـــريق إلى العلياء مختصر

القسم الثانى الايجاز

وهو ضربان (١) أحدهما إيجاز القصر وهو ماليس بحذف كقوله تعالى (ولكم فى القصاص حياة) (٢) فانه لاحذف فيه مع أن معناه كثير يزيد على لفظه لأن المراد به أن الانسان اذا علم أنه متى قتل قتل كان ذلك داعيا له قويا الى أن لايقدم على القتل فارتفع بالقتل الذي هو قصاص كثير من قتل الناس بعضهم لبعض فكان ارتفاع القتل حياة لهم وفضله على ما كان عندهم أوجز كلام فى هذا المعنى وهو قولهم القتل أنفى للقتل من وجوه أحدها أن عدة حروف مايناظره منه وهو فى القصاص حياة عشرة فى التلفظ وعدة حروفه أربعة عشر وثانيها مافيه من التصريح بالمطلوب الذى هو الحياة بالنص عليها فيكون أزجر عن القتل بغير حق لكونه أدعى الى الاقتصاص وثالثها مايفيده تنكير حياة من التعظيم أو النوعية كما سبق ورابعها اطراده بخلاف قولهم فان القتل الذى ينفى القتل هو ما كان على وجه القصاص لاغيره وخامسها سلامته من التكرار الذى هو من عيوب الكلام بخلاف قولهم وسادسها استغناؤه عن تقدير محذوف بخلاف قولهم (٣) فان تقديره القتل أنفي للقتل من

---

(١) (أحدهما إيجاز القصر ...) بكسر القاف وفتح الصاد وإن كان المشهور فتح القاف وسكون الصاد وكثرة المعاني مع قصر الألفاظ تأتي من أن اللفظ لايقتصر على دلالة واحدة بل تتنوع دلالته ويدل بالتضمن أو الالتزام على أكثر مما يدل عليه بالمطابقة .

(٢) (فانه لاحذف فيه) أى ليس فيه شيء محذوف مما يؤدى به أصل المراد أما متعلق الجار والمجرور فان تقديره لرعاية الاعراب على نحو ماسبق.

(٣) (فان تقديره أنفي للقتل من تركه) اعترض هذا بأنه تقدير

تركه وسابعها أن القصاص ضد الحياة فالجمع بينهما إطباق كما سيأتى وثامنها جعل القصاص كالمنبع والمعدن للحياة بادخال فى عليه على ماتقدم ومنه قوله تعالى (هدى للمتقين) أى هدي للضالين الصائرين الى الهدى بعد الضلال وحسنه التوصل الى تسميه الشيء باسم مايؤول اليه والى تصدير السورة بذكر أولياء الله تعالى وقوله (أتنبئون الله بمالا يعلم) أى بمالا ثبوت له ولا علم الله متعلق بثبوته نفيا الملزوم بنفي اللازم وكذا قوله تعالى (ماللظالمين من حميم ولا شفيع يطاع) أى لاشفاعة ولا طاعة على أسلوب (١) قوله

على لاحب لايهتدى بمناره

أي لامنار ولا اهتداء ، (٢) وقوله :

ولا ترى الضب بها ينجحر

إعرابي كتقدير متعلق الجار والمجرور فى الآية على أن أفعل التفضيل ليس على بابه فى هذا التقدير فلا يكون هناك حاجة إليه فالأحسن أن يقدر أنفى للقتل من كل زاجر فلا يكون تقديرا إعرابيا فقط بل يتوقف عليه أصل المراد أيضا ويكون أفعل التفضيل فيه على بابه.

(١) (قوله : على لاحب لا يهتدى بمناره) هو لامرىء القيس من قصيدته (سما لك شوق بعد ما كان أقصرا) .

على لاحب لايهتدى بمناره　　إذا سافه العود النباطي جرجرا

واللاحب الطريق يمشى على جهة ، ومناره مايجعل عليه من علامة ، وسافه شمه ، والعود الجمل المسن ، والنباطى الضخم منسوب إلى النبط ، وجرجر رغا وضج وإنما يرغو الجمل لمعرفته ببعد الطريق .

(٢) (وقوله : ولا تري الضب بها ينجحر) هو لأوس بن حجر :

لا يفزع الأرنب أهوالها　　ولاترى الضب بها ينجحر

أى لاضب ولا انجحار ومن أمثلة الايجاز أيضا قوله تعالى فيما يخاطب به النبي عليه الصلاة والسلام (خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين) فانه جمع فيه مكارم الأخلاق لأن قوله خذ العفو أمر باصلاح قوة الشهوة فان العفو ضد الجهد [1] قال الشاعر :

خذى العفو منى تستديمي مودتى

أى خذ ماتيسر أخذه وتسهل وقوله (وأعرض عن الجاهلين) أمر باصلاح قوة الغضب أي أعرض عن السفهاء واحلم عنهم ولا تكافئهم على أفعالهم هذا مايرجع اليه منها وأما مايرجع الى أمته فدل عليه بقوله وأمر بالعرف أى بالمعروف والجميل من الأفعال ولهذا قال جعفر الصادق رضى الله عنه فيما روى عنه أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم بمكارم الأخلاق وليس فى القرآن آية أجمع لها من هذه الآية ومنها قول الشريف الرضى :

[2] مالوا الى شعب الرحال وأسندوا أيدى الطعان الى قلوب تخفق

فانه لما أراد أن يصف هؤلاء القوم بالشجاعة فى أثناء وصفهم بالغرام

يصف مفازة عناها فى شعره بأنها غير مطروقة للناس فلا يوجد مايفزع أرانبها أو ينجحر به ضبها أى يدخل فى جحره

(١) (قال الشاعر: خذ العفو منى تستديمى مودتي) هو أسماء بن خارجة الفزارى وقيل إنه أبو الأسود الدؤلى وليس بصحيح :

خذ العفو منى تستديمى مودتى ولا تنطقى فى سورتي حين أغضب

وسورة الشىء شدته

(٢) (مالوا الى شعب الرحال وأسندوا . البيت) شعب الرحال خشبها وميلهم اليها عبارة عن ارتحالهم وركوبهم عليها ، وتخفق تضطرب لفراق الأحبة .

عبر عن ذلك بقوله أيدى الطعان ومنه ما كتب عمرو بن مسعدة عن المأمون لرجل يعنى به الى بعض العمال حيث أمره أن يختصر كتابه ماأمكن : كتابى اليك كتاب واثق بمن كتب اليه معنى بمن كتب له ولن يضيع بين الثقة والعناية حامله .

والضرب الثانى إيجاز الحذف وهو ما يكون بحذف والمحذوف إما جزء جملة أو جملة أو أكثر من جملة والأول إما مضاف كقوله تعالى (واسأل القرية) أىأهلها وكقوله تعالى(حرمت عليكم الميتة) أي تناولها لأن الحكم الشرعى إنما يتعلق بالأفعالدون الأجرام وقوله (حرمناعليهم طيبات أحلت لهم) أى تناول طيبات أحل لهم تناولها وتقدير التناول أولى من تقدير الأكل ليدخل فيه شرب ألبان الابل فانها من جملة ماحرمت عليهم وقوله (وأنعام حرمت ظهورها) أى منافع ظهورها وتقدير المنافع أولى من تقدير الركوب لأنهم حرموا ركوبها وتحميلها وكقوله تعالى (لمن كان يرجو الله) أى رحمةالله وقوله (يخافون ربهم) أى عذاب ربهم وقد ظهر هذان المضافان فى قوله (يرجون رحمته ويخافون عذابه) وإما موصوف (١) كقوله :

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا

أي أناابن رجل جلا ، وإماصفة نحو (وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة

(١) (كقوله : أنا ابن جلا وطلاع الثنايا) هوعبد الله بن عمر العرجى

أنا ابن جـــلا وطلاع الثنايا   متى أضـــع العمامة تعرفونى

والثنايا جمع ثنية وهى الطريق فى أعلى الجبال أو المرقى الصعب منها ، والعمامة عمامة الحرب وهى البيضة ، وتقديره أنا ابن رجل جلا مبنى على القول بجواز حذف موصوف الجملة مطلقا وقيل إنه لا يجوز إلا اذا كان بعض اسم مجرور بمن أو فى نحو قولهم مناظعن أى فريق ظعن ، وهذا

غصبا) أى كل سفينة صحيحة أو صالحة أو نحو ذلك بدليل ما قبله وقد جاء ذلك مذكورا فى بعض القراآت قال سعيد بن جبير كان ابن عباس رضى الله عنهما يقرأ وكان أمامهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصباء[1] وإما شرط كما سبق ، وإما جواب شرط وهو ضربان أحدهما أن يحذف لمجرد الاختصار كقوله تعالى (وإذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم لعلكم ترحمون) أى أعرضوا[2] بدليل قوله بعده إلا كانوا عنها معرضين وكقوله تعالى (ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى) أى لكان هذا القرآن وكقوله تعالى (قل أرأيتم إن كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بنى اسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم) أى ألستم ظالمين بدليل قوله بعده إن الله لا يهدى القوم الظالمين[3] والثانى أن يحذف للدلالة على أنه شىء لا يحيط به الوصف أو لتذهب نفس السامع

كله على أن جلا فعل وفاعل وقيل إنه علم لرجل فلا يكون فيه حذف ولكنه بعيد .

(١) (وإما شرط كما سبق) أى فى باب الانشاء من تقدير الشرط فى جواب التمنى والاستفهام والأمر والنهي .

(٢) (بدليل قوله بعده إلا كانوا عنها معرضين) قيل إنه على هذا يكون تقدير الجواب رعاية للاعراب فيكون من المساواة كما سبق فى بيت النابغة وأجيب بأن جواب الشرط فى البيت دليله متقدم عليه فأغنى عنه عرفا حتي إن الكوفيين يرون فى مثله أن الجواب هو المتقدم وهذا بخلاف جواب الشرط فى الآية .

(٣) (والثانى أن يحذف للدلالة علي أنه شىء لا يحيط به الوصف) وهذه النكتة تفوت مع التصريح به ولا يفيدها ما يقدرونه فى ذلك من نحو تقديرهم لرأيت أمرا عظيما فى قوله تعالى (ولو ترى إذ وقفوا)

كل مذهب ممكن فلا يتصور مطلوبا أو مكروها إلا يجوز أن يكون الأمر أعظم منه ولو عين شيء اقتصر عليه وربما خف أمره عنده كقوله (وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا حتى اذا جاؤوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين) وكقوله (ولو ترى إذ وقفوا على النار)(ولو ترى إذ وقفوا على ربهم)(ولو ترى إذ المجرمون ناكسوا رؤوسهم عند ربهم) ، قال السكاكي رحمه الله ولهذا المعنى حذف الصلة من قولهم (١) جاء بعد اللتيا والتي أى المشار اليه بهما وهى المحنة والشدائد قد بلغت شدتها وفظاعة شأنها مبلغا يبهت الواصف معه حتى لا يحير ببنت شفة ، (٢) وإما غير ذلك كقوله تعالى (لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل) أى ومن أنفق من بعده وقاتل بدليل ما بعده ومن هذا الضرب قوله تعالى (رب إنى وهن العظم منى واشتعل الرأس شيبا) لأن أصله يارب إنى وهن العظم منى واشتعل الرأس شيبا (٣) وعده السكاكي من القسم الثاني

لأنه تقدير تقريبي والجواب الحقيقى شيء مخصوص حذف لاظهار فظاعته

(١) (جاء بعد اللتيا والتي) اللتيا تصغير التى ويكنى بها عن الداهية الكبيرة ويكنى بالتى عن الداهية الصغيرة وذلك مثل أصله فيما قيل أن رجلا من جديس تزوج امرأة قصيرة فقاسى منها شدائد وكان يعبر عنها بالتصغير ثم تزوج امرأة طويلة فقاسى منها ضعف ماقاساه من الصغيرة فطلقها وقال بعد اللتيا والتى لا أتزوج أبدا

(٢) (وإما غير ذلك . . .) أى من أجزاء الجملة كالمسند اليه والمسند والمفعول وغير هذا مما مر فى الأبواب السابقه ، والمحذوف فى قوله تعالى (لا يستوى منكم ...) الواو مع ماعطفت ودليله بعده قوله (أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا)

(٣) (وعده السكاكي من القسم الثاني من الايجاز) وهو الذى يكون

من الايجاز على ما فسره ذاهبا الي أنه وإن اشتمل علي بسط فان انقراض الشباب وإلمام المشيب جديران بأبسط منه ثم ذكر فيه لطائف يتوقف بيانها على النظر فى أصل المعنى ومرتبته الأولى ثم أفاد أن مرتبته الأولى يارب قد شخت فان الشيخوخة مشتملة علي ضعف البدن وشيب الرأس ثم تركت هذه المرتبة لتوخى مزيد التقرير الى تفصيلها فى ضعف بدنى وشاب رأسى ثم ترك التصريح بضعف بدنى الى الكناية بوهنت عظام بدنى لما سيأتى أن الكناية أبلغ من التصريح ثم لقصد مرتبة رابعة أبلغ من التقرير بنيت الكناية على المبتدإ فحصل أنا وهنت عظام بدني ثم لقصد مرتبة خامسة أبلغ أدخلت إن على المبتدإ فحصل إنى وهنت عظام بدنى ثم لطلب تقرير أن الواهن عظام بدنه قصد مرتبة سادسة وهى سلوك طريقى الاجمال والتفصيل فحصل إنى وهنت العظام من بدنى ثم لطلب مزيد اختصاص العظام به قصد مرتبة سابعة وهى ترك توسيط البدن فحصل إني وهنت العظام منى ثم لطلب شمول الوهن العظام فردا فردا قصدت مرتبة ثامنة وهى ترك الجمع إلى الافراد (١) لصحة حصول وهن المجموع بوهن البعض دون كل فرد فحصل ماترى وهكذا تركت الحقيقة فى شاب رأسى الى الاستعارة فى اشتعل شيب رأسى لما سيأتى أن الاستعارة أبلغ من الحقيقة ثم تركت هذه المرتبة الي تحويل الاسناد الى الرأس.

مقامه خليقا بأبسط مما ذكر فيه

(١) (لصحة حصول وهن المجموع بوهن البعض . . .) يعنى أنه لو قيل وهن العظام منى لصح مع وهن بعض العظام بخلاف وهن العظم لأن أل فيها للاستغراق فلا يخرج عنها فرد من الأفراد

وتفسيره بشيبا لأنها أبلغ من جهات إحداها إسناد الاشتعال الى الرأس لافادة شمول الشيب الرأس إذ وزان اشتعل شيب رأسى واشتعل رأسى شيبا وزان اشتعل النار فى بيتى واشتعل بيتى نارا والفرق نير وثانيتها الاجمال والتفصيل فى طريق التمييز وثالثتها تنكير شيبا لافادة المبالغة ثم ترك اشتعل رأسى شيبا لتوخى مزيد التقرير الى اشتعل الرأس منى شيبا على نحو وهن العظم منى ثم ترك لفظ منى لقرينة عطف اشتعل الرأس على وهن العظم منى لمزيد التقرير وهو إيهام حوالة تأدية مفهومه على العقل دون اللفظ ، ثم قال عقب هذا الكلام واعلم أن الذى فتق أكمام هذه الجهات عن أزاهير القبول فى القلوب هو أن مقدمة هاتين الجملتين وهى رب اختصرت ذلك الاختصار بأن حذفت كلمة النداء وهى يا وحذفت كلمة المضاف اليه وهى ياء المتكلم واقتصر من مجموع الكلمات على كلمة واحدة فحسب وهى المنادى والمقدمة للكلام كما لا يخفى على من له قدم صدق فى نهج البلاغة نازلة منزلة الأساس للبناء فكما أن البناء الحاذق لا يرى الأساس إلا بقدر مايقدر من البناء عليه كذلك البليغ يصنع بمبدإ كلامه فمتى رأيته قد اختصر المبدأ فقد آذنك باختصار مايورد ، انتهى كلامه وعليك أن تتنبه لشىء وهو أن ماجعله سببا للعدول عن لفظ العظام الى لفظ العظم فيه نظر (١) لأنا لانسلم صحة حصول وهن المجموع بوهن البعض دون كل فرد فالوجه فى ذكر العظم دون سائر ما تركب منه البدن وتوحيده ما ذكره الزمخشرى قال إنما ذكر العظم

---

(١) (لأنا لا نسلم صحة حصول وهن المجموع بوهن البعض) لأنه اذا كانت ال فيه للاستغراق فقد سبق أنه لا فرق بين استغراق المفرد واستغراق الجمع فى الاثبات .

لأنه عمود البدن وبه قوامه وهو أصل بنائه واذا وهن تداعى وتساقطت قوته ولأنه أشد مافيه وأصلبه فاذا وهن كان ماوراءه أوهن [١] ووحده لأن الواحد هو الدال على معنى الجنسية وقصده الى أن هذا الجنس الذى هو العمود والقوام وأشد ماتركب منه الجسد قد أصابه الوهن ولو جمع لكان قصدا الى معنى آخر وهوأنه لم يهن بعض عظامه ولكن كلها ، واعلم أن المراد بشمول الشيب الرأس أن يعم جملته حتى لا يبقى من السواد شىء أو لا يبقى منه إلا مالا يعتد به . والثانى أعني ما يكون جملة إما مسبب ذكر سببه كقوله تعالى (ليحق الحق ويبطل الباطل) [٢] أى فعل مافعل وقوله (وما كنت بجانب الطور إذ نادينا ولكن رحمة من ربك) أى اخترناك وقوله (ليدخل الله فى رحمته من يشاء) أى كان الكف ومنع التعذيب ومنه قول أبى الطيب :

أتى الزمان بنوه فى شبيبته　　　فسرهم وأتيناه على الهرم

أى فساءنا ، أوبالعكس كقوله تعالى (فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم) أى فامتثلتم فتاب عليكم وقوله (فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت) أى فضربه بها فانفجرت[٣] ويجوز

---

(١) (ووحده لأن الواحد هو الدال على معنى الجنسية . . .) يريد أنه قصد الحكم على حقيقة العظم فان الحكم عليها يستلزم الحكم على أفرادها ولو جمع لقصد الحكم على الأفراد من أول الأمر والأول أبلغ لما يشير اليه مما ذكر الخطيب فى بيان المعنى فيه .

(٢) (أى فعل مافعل) ويجوز أن يعلق قوله ليحق الحق بيقطع من قوله قبله (يريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين)فلا يكون فى ذلك حذف .

(٣) (ويجوز أن يقدرفان ضربت بها فقد انفجرت) فيكون المحذوف

أن يقدر فان ضربت بها فقد انفجرت أو غير ذلك كقوله تعالى (فنعم الماهدون) (١) على مامر ، والثالث كقوله تعالى (فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحي الله الموتي) أى فضربوه ببعضها فحي فقلنا كذلك يحي الله الموتى وقوله (أنا أنبئكم بتأويله فأرسلون يوسف) أى فأرسلوني الى يوسف لأستعبره الرؤيا فأرسلوه إليه فأتاه وقال له يا يوسف وقوله (فقلنا اذهبا الى القوم الذين كذبوا بآياتنا فدمرناهم تدميرا) أى فأتياهم فأبلغاهم الرسالة فكذبوهما فدمرناهم وقوله (فأتيا فرعون فقولا إنا رسول رب العالمين أن أرسل معنا بنى إسرائيل قال ألم نربك) أى فأتياه فأبلغاه ذلك فلما سمعه قال ألم نربك ويجوز أن يكون التقدير فأتياه فأبلغاه ذلك ثم يقدر فماذا قال فيقع قوله قال ألم نربك استئنافا ونحوه قوله (اذهب بكتابي هـذا فألقه اليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون قالت يا أيها الملأ)

جزء جملة هو الشرط وأداته وإنما قدرت قد فى الجواب لأجل الفاء لأنها لا تدخل على الماضى الواقع جوابا إلا مع قد ولكن يلزم على هذا التقدير أن يكون الجواب ماضيا لفظا ومعنى مع أن الشرط مستقبل فى المعنى اللهم إلا أن يكون ذلك على معنى فان ضربت بها حكمنا بأنها قد انفجرت.

(١) (على مامر) من أنه علي حذف المبتدإ والخبر فى قول بعضهم فيكون تقديره هم نحن بخلاف قول من يجعل المخصوص مبتدءا والجملة قبله خبره فان المحذوف جزء جملة لا جملة .

هذا وقد ذكر السبكى أن الايجاز ينقسم إلى جائز وواجب كحذف الخبر فى باب نعم على أحد الأقوال وحذف العامل فى الاغراء والتحذير ونحو ذلك وقد عرفت أن مثل هذا من الاعتبارات النحوية فيجب قصر الايجاز هنا على الايجاز الجائز وهو الذى يكون للمتكلم أن يعدل عنه إلى المساواة أو غيرها فانه هو الذى تظهر فيه مزية البلاغة دون غيره .

أى ففعل ذلك فأخذت الكتاب فقرأته ثم كأن سائلا سأل قال فماذا قالت فقيل قالت ياأيها الملأ وأما قوله تعالى (ولقد آتينا داود وسليمان علما وقالا الحمد لله) فقال الزمخشرى فى تفسيره هذا موضع الفاء كما يقال أعطيته فشكر ومنعته فصبر وعطفه بالواو إشعارا بأن ماقالاه بعض ماأحدث فيهما العلم كأنه قال فعملا به وعلماه وعرفا حق النعمة فيه والفضيلة وقالا الحمد لله وقال السكاكى يحتمل عندي أنه تعالى أخبر عما صنع بهما وعما قالا كأنه قال نحن فعلنا إيتاء العلم وهما فعلا الحمد من غير بيان ترتبه عليه اعتمادا على فهم السامع كقولك قم يدعوك بدل قم فانه يدعوك

واعلم أن الحذف على وجهين (١) أحدهما أن لا يقام شىء مقام المحذوف كما سبق والثانى أن يقام مقامه ما يدل عليه كقوله تعالى (فان تولوا فقد أبلغتكم ما أرسلت به اليكم) ليس الابلاغ هو الجواب لتقدمه على توليهم والتقدير فان تولوا فلا لوم على لأنى قد أبلغتكم أو فلا عذر لكم عند ربكم لأنى قد أبلغتكم وقوله (وإن يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك) أى فلا تحزن واصبر فانه قد كذبت رسل من قبلك وقوله (وإن يعودوا فقد مضت سنة الأولين) أى فيصيبهم مثل ماأصاب الأولين (٢) وأدلة الحذف كثيرة منها أن يدل العقل على الحذف

---

(١) (أحدهما ألا يقام شىء مقام المحذوف) فيكتفى فيه بالقرينة اللفظية أو الحالية كما سبق فى الأمثلة .

(٢) (وأدلة الحذف كثيرة) المراد القسم الأول من الحذف لأنه هو الذى يحتاج إلى دليل يدل عليه بخلاف القسم الثانى فان الذى يقوم مقامه يدل عليه ، وقد ذكر هنا من أدلة الحذف دليل العقل ودليل العادة مستقلين أو منضمين إلى غيرهما ما ذكره وهناك أدلة أخرى منها القرائن

(١) والمقصود الأظهر على تعيين المحذوف كقوله تعالى (حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير) الآية وقوله (حرمت عليكم أمهاتكم) الآية فان العقل يدل على الحذف لما مر والمقصود الأظهر يرشد الى أن التقدير حرم عليكم تناول الميتة وحرم عليكم نكاح أمهاتكم لأن الغرض الأظهر من هذه الأشياء تناولها ومن النساء نكاحهن ومنها أن يدل العقل على الحذف والتعيين كقوله (وجاء ربك) أى أمر ربك أو عذابه أو بأسه وقوله (هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله فى ظلل من الغمام) أى عذاب الله أو أمره ومنها أن يدل العقل على الحذف (٢) والعادة على التعيين كقوله تعالى حكاية عن امرأة العزيز (فذلكن الذى لمتننى فيه) دل العقل على الحذف لأن الانسان إنما يلام على كسبه فيحتمل أن يكون التقدير فى حبه لقوله قد شغفها حبا وأن يكون فى مراودته لقوله (تراود فتاها عن نفسه) وأن يكون فى شأنه وأمره فيشملهما والعادة دلت على تعيين المراودة لأن الحب المفرط لا يلام الانسان عليه فى العادة لقهره صاحبه وغلبته وإنما يلام علي المراودة الداخلة تحت كسبه التى يقدر أن يدفعها عن نفسه ومنها أن تدل العادة على الحذف والتعيين كقوله تعالى (لو نعلم قتالا لاتبعناكم) مع أنهم كانوا أخبر الناس بالحرب فكيف يقولون بأنهم لا يعرفونها فلا بد من حذف قدره مجاهد رحمه الله مكان قتال أى إنكم تقاتلون فى موضع لا يصلح للقتال ويخشى

اللفظية وهى الأغلب وقوعا كما سبق .

(١) (والمقصود الأظهر) أى بحسب العرف المقرر فى استعمال الكلام

(٢) (والعادة على التعيين) المراد بالعادة الأمر المقرر فى نفسه من غير نظر الى دلالة الكلام عليه عرفا كتقرر كون الحب الغالب لا يلام عليه وبهذا تفترق دلالة العادة هنا عن دلالة المقصود الأظهر هناك .

عليكم منه ويدل عليه أنهم أشاروا على رسول الله ﷺ أن لا يخرج من المدينة وأن الحزم البقاء فيها (١) ومنها الشروع فى الفعل كقول المؤمن (بسم الله الرحمن الرحيم) كما اذا قلت عند الشروع فى القراءة بسم الله فانه يفيد أن المراد بسم الله أقرأ وكذا عند الشروع فى القيام أو القعود أو أى فعل كان فان المحذوف يقدر ماجعلت التسمية مبدءا له (٢) ومنها اقتران الكلام بالفعل فانه يفيد تقديره كقولك لمن أعرس (٣) بالرفاء والبنين فانه يفيد بالرفاء والبنين أعرست .

القسم الثالث الاطناب

وهو إما بالايضاح بعد الابهام ليرى المعنى فى صورتين مختلفتين أو ليتمكن فى النفس فضل تمكن فان المعنى اذا ألقى على سبيل الاجمال والابهام تشوقت نفس السامع الى معرفته على سبيل التفصيل والايضاح فتتوجه الى مايرد بعد ذلك فاذا ألقي كذلك تمكن

(١) (ومنها الشروع فى الفعل) هذا دليل على تعيين المحذوف ودليل الحذف فيه هو أن الجار والمجرور لا بد لهما من متعلق يتعلقان به فيرجع الى العقل أيضا وكذا يقال فى دليل الاقتران الآتي .

(٢) (ومنها اقتران الكلام بالفعل) أى فعل المخاطب بخلاف الشروع فى الفعل السابق فانه فعل المتكلم

(٣) (بالرفاء والبنين) الرفاء الوفاق وهى جملة دعائية وهذه أمثلة من الشعر فى الايجاز :

كل امرىء ستئيم منه العرس أو منها يئيم
أري بصري قد خانني بعد صحة وحسبك داء أن تصح وتسلما
وإن هو لم يحمل على النفس ضيمها فليس الى حسن الثناء سبيل
لا تدفنوني إن دفنى محرم عليكم ولكن خامري أم عامر

فيها فضل تمكن وكان شعورها به أتم أو لتكمل اللذة بالعلم به فان الشيء اذا حصل كمال العلم به دفعة لم يتقدم حصول اللذة به ألم واذا حصل الشعور به من وجه دون وجه تشوقت النفس الى العلم بالمجهول فيحصل لها بسبب المعلوم لذة وبسبب حرمانها عن الباقي ألم ثم اذا حصل لها العلم به حصلت لها لذة أخرى واللذة عقيب الألم أقوى من اللذة التي لم يتقدمها ألم أو لتفخيم الأمر وتعظيمه كقوله تعالى (قال رب اشرح لى صدرى ويسر لى أمرى) فان قوله اشرح لى يفيد طلب شرح لشيء ماله وقوله صدرى يفيد تفسيره وبيانه وكذلك قوله ويسر لى أمرى والمقام مقتض للتأكيد للارسال المؤذن بتلقى المكاره والشدائد وكقوله تعالى (وقضينا اليه ذلك الأمر أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين) ففي إبهامه وتفسيره تفخيم للأمر وتعظيم له ، ومن الايضاح بعد الابهام باب نعم وبئس (١) على أحد القولين إذ لو لم يقصد الاطناب (٢) لقيل نعم زيد وبئس عمرو ووجه حسنه سوى الايضاح بعد الابهام أمران آخران أحدهما إبراز الكلام فى معرض الاعتدال نظرا الى إطنابه من وجه والي اختصاره من آخر (٣) وهو حذف المبتدإ فى الجواب (٤) والثاني إيهام الجمع بين

---

(١) (على أحد القولين) وهو قول من يجعل المخصوص خبر مبتدإ محذوف ومثله قول من يجعله مبتدءا محذوف الخبر بخلاف قول من يجعله مبتدأ والجملة قبله خبره فلا يكون من الايضاح بعد الابهام لأن المخصوص فيه مقدم فى التقدير

(٢) (لقيل نعم زيد ...) الصواب نعم الرجل وبئس الرجل لأن فاعل نعم وبئس يجب أن يكون بأل أو مضافا لما فيه أل أو ضميرا مفسرا بتمييز .

(٣) (وهو حذف المبتدإ فى الجواب) لأنها جملة استئنافية واقعة فى جواب سؤال مقدر على ما سبق فى الفصل والوصل .

(٤) (والثاني إيهام الجمع بين المتنافيين) يعنى الايجاز والاطناب

المتنافيين ، ومنه التوشيع (١) وهو أن يؤتى فى عجز الكلام بمثنى مفسر باسمين أحدهما معطوف على الآخر كما جاء فى الخبر يشيب ابن آدم ويشيب فيه خصلتان الحرص وطول الأمل (٢) وقول الشاعر :

سقتنى فى ليل شبيه بشعرها شبيهة خديها بغير رقيب
فما زلت فى ليلين شعر وظلمة وشمسين من خمر ووجه حبيب

وقول البحترى :

(٣) لما مشين بذى الأراك تشابهت أعطاف قضبان به وقدود
فى حلتى حبر وروض فالتقى وشيان وشى ربى ووشى برود
وسفرن فامتلأت عيون راقها وردان ورد جنى وورد خدود

وإنما كان ذلك إيهاما لأن حقيقة جمع المتنافيين أن يثبت لذات واحدة وصفان يمتنع اجتماعهما على شىء واحد فى زمان واحد من جهة واحدة وهو محال .

(١) (وهو أن يؤتى فى عجز الكلام بمثنى ...) لا يلزم فى التوشيع أن يكون فى عجز الكلام بل قد يكون فى أوله أو وسطه ولا أن يكون بمثنى بل مثله الجمع

(٢) (وقول الشاعر : سقتنى فى ليل شبيه بشعرها . البيتين) هما لابن المعتز ، وشبيهة خديها الخمر فى إشراقها ، والرقيب الذى يرقبهما ليكدر صفوهما .

(٣) (لما مشين بذى الأراك تشابهت . الأبيات) الأعطاف الجوانب جمع عطف ، والقضبان الأغصان ، والقدود القامات ، والحلة كل ثوب جديد أو الثوب عموما ، والحبر ضرب من برود اليمن ، والوشى النقش ، والربى جمع ربوة ما ارتفع من الأرض ، والبرود جمع برد وهو كساء مخطط ، والجنى مصدر جنى الثمر تناوله من شجرته .

وإما بذكر الخاص بعد العام للتنبيه على فضله حتى كأنه ليس من جنسه تنزيلا للتغاير فى الوصف منزلة التغاير فى الذات كقوله تعالى (من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال) وقوله تعالى (ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر) وقوله (حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى).

وإما بالتكرير لنكتة كتأكيد الانذار فى قوله تعالى (كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون) [١] وفى ثم دلالة عن أن الانذار الثانى أبلغ وأشد وكزيادة التنبيه على ماينفى التهمة ليكمل تلقى الكلام بالقبول فى قوله تعالى (وقال الذى آمن ياقوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع) وقد يكرر اللفظ لطول فى الكلام كما فى قوله تعالى (ثم إن ربك للذين عملوا السوء بجهالة ثم تابوا من بعد ذلك وأصلحوا إن ربك من بعدها لغفور رحيم) وفى قوله تعالى (ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد مافتنوا ثم جاهدوا وصبروا إن ربك من بعدها لغفور رحيم) وقد يكرر لتعدد المتعلق كما كرره الله تعالى من قوله (فبأى آلاء ربكما تكذبان) لأنه تعالى ذكر نعمة بعد نعمة وعقب كل نعمة بهذا القول ومعلوم أن الغرض من ذكره عقيب نعمة غير الغرض من ذكره عقيب نعمة أخرى فان قيل قد عقب بهذا القول ما ليس بنعمة كما فى قوله (يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران) وقوله (هذه جهنم التى يكذب بها المجرمون يطوفون بينها وبين حميم آن) قلنا العذاب وجهنم وإن لم

---

(١) (وفى ثم دلالة على أن الانذار الثانى أبلغ) وذلك باعتبار اهتمام المنذر به فلا ينافى هذا أنه تكرير لما قبله وقد نزل فيه بعد المرتبة منزلة بعد الزمان واستعملت بهذا ثم فى مجرد التدرج فى درج الارتقاء.

يكونا من آلاء الله تعالى فان ذكرهما ووصفهما على طريق الزجر عن المعاصى والترغيب فى الطاعات من آلائه تعالى ونحوه قوله (ويل يومئذ للمكذبين) لأنه تعالى ذكر قصصا مختلفة وأتبع كل قصة بهذا القول فصار كأنه قال عقب كل قصة ويل يومئذ للمكذبين بهذه القصة .

وإما بالايغال واختلف فى معناه فقيل هو ختم البيت بما يفيد نكتة يتم المعنى بدونها كزيادة المبالغة فى قول الخنساء :

(١)وإن صخرا لتأتم الهداة به كأنه علم فى رأسه نار

لم ترض أن تشبهه بالعلم الذي هو الجبل المرتفع المعروف بالهداية حتى جعلت فى رأسه نارا وقول ذى الرمة :

(٢)قف العيس فى أطلال مية واسأل رسوما كأخلاق الرداء المسلسل
أظن الذى يجدي عليك سؤالها دموعا كتبذير الجمان المفصل

(٣) وكتحقيق التشبيه فى قول امرىء القيس :

---

(١) (وإن صخرا لتأتم الهداة به . البيت) الهداة الذين يهدون الناس إلى المعالى وإذا اقتدت به الهداة فالمهتدون من باب أولى .

(٢) (قف العيس فى أطلال مية واسأل . البيتين) العيس الابل البيض يخالط بياضها سواد خفيف واحدها أعيس ، والأطلال جمع طلل وهو الشاخص من الآثار ، والرسوم جمع رسم وهو ما كان لاحقا بالأرض منها ، والأخلاق جمع خلق بفتحتين وهو البالى ، والمسلسل الردىء النسج ، ويجدى من أجدى بمعنى أعطى وأفاد ، والتبذير التفريق ، والجمان المفصل اللؤلؤ المنظم ، وزيادة المبالغة بالوصفين فى البيتين .

(٣) (وكتحقيق التشبيه) أى إثبات التساوي بين الطرفين فى وجه الشبه بخلاف المبالغة السابقة فان المقصود منها بيان علو المشبه به فى وجه الشبه ليعلو بذلك المشبه الملحق به .

(١) كأن عيون الوحش حول خبائنا   وأرحلنا الجزع الذى لم يثقب

فانه لما أتى على التشبيه قبل ذكر القافية واحتاج اليها جاء بزيادة حسنة فى قوله لم يثقب لأن الجزع اذا كان غير مثقوب كان أشبه بالعيون ومثله قول زهير :

كأن فتات العهن فى كل منزل   نزلن به حب الفنا لم يحطم

فان حب الفنا أحمر الظاهر أبيض الباطن فهو لا يشبه الصوف الأحمر إلا مالم يحطم وكذا قول امرىء القيس :

(٢) حملت ردينيا كأن سنانه   سنا لهب لم يتصل بدخان

كما سيأتى ، وقيل لا يختص بالنظم ومثل بقوله تعالى (اتبعوا من لا يسألكم أجرا (٣) وهم مهتدون) .

وإما بالتذييل وهو (٤) تعقيب الجملة بجملة تشتمل على معناها للتوكيد

---

(١) (كأن عيون الوحش حول خبائنا . البيت) يريد بالوحش الظباء وبقر الوحش يصيدونها ويرمون عيونها حول خبائهم ، والخباء ما كان من وبر أو صوف ولا يكون من شعر وهو على عمودين أو ثلاثة ومافوق هذا يقال له بيت ، والأرحل عطف تفسير له ، والجزع خرز فيه سواد وبياض

(٢) (حملت ردينيا كأن سنانه . البيت) ردينيا رمحا منسوبا إلى ردينة وهى امرأة اشتهرت بتقويم الرماح ، وسنا اللهب ضوءه ، وسيأتى هذا البيت فى باب التشبيه ولا شك أن قوله لم يتصل بدخان يفيد تحقيق التشبيه.

(٣) (وهم مهتدون) فهذا من الايغال الذى يتم المعنى بدونه لأن الرسل مهتدون قطعا وقد قصد به زيادة الحث على اتباعهم .

(٤) (وهو تعقيب الجملة بجملة أخرى . . .) لا محل لها من الاعراب وقيل بالاطلاق والمراد باشتمالها على معناها إفادتها بفحواها لما هو مقصود من الأولى لا دلالتها عليه بالمطابقة لأن هذا هو التكرير السابق والتأكيد

وهو ضربان ضرب لايخرج مخرج المثل لعدم استقلاله بافادة المراد وتوقفه على ماقبله كقوله تعالى (ذلك جزيناهم بما كفروا وهل يجازى إلا الكفور) [١] إن قلنا إن المعنى وهل يجازى ذلك الجزاء وقال الزمخشرى وفيه وجه آخر وهو أن الجزاء عام لكل مكافأة تستعمل تارة فى معنى المعاقبة وأخرى فى معنى الاثابة فلما استعمل فى معنى المعاقبة فى قوله (جزيناهم بما كفروا) بمعنى عاقبناهم بكفرهم قيل (وهل يجازى إلا الكفور) بمعنى وهل يعاقب [٢] فعلى هذا يكون من الضرب الثاني [٣]وقول الحماسى :

فدعوا نزال فكنت أول نازل وعلام أركبه اذا لم أنزل

وقول أبى الطيب :

[٤]وماحاجة الأظعان حولك فى الدجى الى قمر ما واجد لك عادمه

هنا غير التأكيد هناك لأنه هنا بمعناه اللغوى وهو التقوية وفى التكرير بمعناه الاصطلاحى والفرق بين التذييل والايغال أن التذييل يكون لخصوص التأكيد بخلاف الايغال .

(١) (إن قلنا إن المعنى وهل يجازى ذلك الجزاء) فيكون الجزاء بمعنى العقاب وهو أحد إطلاقيه والاطلاق الثانى فى الوجه الذى ذكره الزمخشرى.

(٢) (فعلى هذا يكون من الضرب الثانى) الحق أنه يجوز أن يكون من الضرب الأول أو الثانى على كل من الاطلاقين لأنه فيهما إن أريد وهل يجازي ذلك الجزاء فهو من الضرب الأول وإلا فهو من الثاني بل الظاهر أنه إذا أريد بالجزاء المكافأة مطلقا أن يكون المعنى وهل يجازى ذلك الجزاء ليكون بمعنى العقاب فيصح حصره في الكفور .

(٣) (وقول الحماسى : فدعوا نزال فكنت أول نازل . البيت) هو ربيعة ابن مقروم الضبى ، ونزال اسم فعل بمعنى انزل يريد النزول إلى الحرب .

(٤) (وماحاجة الأظعان حولك فى الدجي . البيت) الظعينة المرأة

وقوله أيضا :

(١) تمسي الأماني صرعى دون مبلغه   فما يقول لشيء ليت ذلك لي

وقول ابن نباتة السعدي :

لم يبق جودك لي شيئا أؤمله   تركتني أصحب الدنيا بلا أمل

قيل نظر فيه الى قول أبي الطيب وقد أربي عليه في المدح والأدب مع الممدوح حيث لم يجعله في حيز من تمنى شيئا ، وضرب يخرج مخرج المثل كقوله تعالى (وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا) وقول الذبياني :

(٢) ولست بمستبق أخا لا تلمه   على شعث أي الرجال المهذب

وقول الحطيئة :

تزور فتى يعطي على الحمد ماله   ومن يعط أثمان المكارم يحمد

وقد اجتمع الضربان في قوله تعالى (وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفان مت فهم الخالدون كل نفس ذائقة الموت) فان قوله (أفان مت فهم الخالدون) من الأول ومابعده من الثاني وكل منهما تذييل على ماقبله ، وهو

في الهودج وتجمع على ظعائن وظعن وجمع الجمع أظعان ، وما نافية والمعنى ليس الواجد لك عادم القمر لأنك تقومين مقامه .

(١) (تمسي الأماني صرعى دون مبلغه . البيت) يعني أن الأماني لا تصل إلى قلبه فتستميله ولا إلى لسانه فتجرى عليه لأنه لا يحتاج أن يتمنى شيئا فالأماني تقصر عن بلوغ قدره ولكنه جعله بهذا في حيز من يتمنى فقصر به وإن نفى ذلك عنه

(٢) (ولست بمستبق أخا لا تلمه . البيت) لا تلمه لا تضمه حال بما قبله ، والشعث في الأصل انتشار شعر الرأس وتغيره فتكثر أوساخه والمراد به هنا الأوساخ المعنوية على طريق الاستعارة .

أيضا إما (١) لتأكيد منطوق كلام كقوله تعالى (وقل جاء الحق) الآية وإما لتأكيد مفهومه كبيت النابغة فان صدره دل بمفهومه على نفى الكامل من الرجال فحقق ذلك وقرره بعجزه .

وإما بالتكميل ويسمى الاحتراس أيضا وهو أن يؤتى فى كلام يوهم خلاف المقصود بما يدفعه وهو ضربان ضرب يتوسط الكلام كقول طرفة :

(٢) فسقى ديارك غير مفسدها صوب الربيع وديمة تهمى

(٣) وقول الآخر :

لو أن عزة خاصمت شمس الضحى فى الحسن عند موفق لقضى لها

(١) (لتأكيد منطوق كلام) المراد بالمنطوق هنا المعنى الذى نطق بلفظه بأن تشترك ألفاظ الجملتين مع اختلاف النسبة فيهما حتى لا يكون ذلك من التكرير والمراد بالمفهوم خلاف ذلك وليس المراد بهما هنا ما اصطلح عليه الأصوليون فيهما .

(٢) (فسقى ديارك غير مفسدها . البيت) ديارك بفتح الكاف لأنه من قصيدة له فى مدح قتادة بن مسلمة الحنفى وهذا دعاء له ، وصوب الربيع مطره وهو فى الأصل انصبابه ، والديمة المطر المسترسل ، وتهمى تسيل ، والاحتراس فى قوله غير مفسدها لأن المطر المسترسل قد يخرب الديار ومن أجل هذا عيب على القائل :

ألا يا اسلمى يا دارمى على البلى ولا زال منهلا بجرعائك القطر

وقيل إنه لا عيب فيه لأن الدعاء قرينة على أن المراد ما لا يضر وللشاعر أن يكتفى بذلك فلا يحترس فيه وألا يكتفي به فيضم إليه الاحتراس أيضاً .

(٣) (وقول الآخر : لو أن عزة خاصمت شمس الضحى . البيت) هو كثير وعزة محبوبته ، وقضى لها حكم لها على الشمس .

إذ التقدير عند حاكم موفق فقوله موفق تكميل وقول ابن المعتز :

(١)صببنا عليها ظالمين سياطنا فطارت بها أيد سراع وأرجل

وضرب يقع فى آخر الكلام كقوله تعالى (فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين) فانه لو اقتصر على وصفهم بالذلة على المؤمنين لتوهم أن ذلتهم لضعفهم فلما قيل أعزة على الكافرين علم أنها منهم تواضع لهم ولذا عدى الذل بعلى لتضمينه معنى العطف كأنه قيل عاطفين عليهم على وجه التذلل والتواضع(٢) ويجوز أن تكون التعدية بعلي لأن المعنى أنهم مع شرفهم وعلو طبقتهم وفضلهم على المؤمنين خافضون لهم أجنحتهم ومنه قول ابن الرومى فيما كتب به الى صديق له : إنى وليك الذى لا يزال تنقاد اليك مودته عن غير طمع ولا جزع وإن كنت لذى الرغبة مطلبا ولذى الرهبة مهربا ، وكذا (٣) قول الحماسى :

رهنت يدى بالعجز عن شكر بره وما فوق شكرى للشكور مزيد

وكذا قول كعب بن سعد الغنوى :

حليم اذا ما الحلم زين أهله مع الحلم فى عين العدو مهيب

---

(١) (صببنا عليها ظالمين سياطنا . البيت) الضمير فى عليها للابل وفى بها للسياط وقوله ظالمين تكميل لأن ضربها إنما يكون غالباً عن تثاقل فى السير فدفعه بذلك .

(٢) (ويجوز أن تكون التعدية بعلى . . .) فلا يكون فى أذلة تضمين وإنما يكون التجوز فى استعمال على موضع اللام .

(٣) (قول الحماسى : رهنت يدى بالعجز عن شكر بره البيت) لم يبين قائله فى الحماسة ، ورهنت حبست ، وقد جاء بعده فيها :

ولو أن شيئا يستطاع استطعته ولكن مالا يستطاع شديد

فانه لو اقتصر على وصفه بالحلم لأوهم أن حلمه عن عجز فلم يكن صفة مدح فقال اذا ما الحلم زين أهله فأزال هذا الوهم وأما بقية البيت فتأكيد اللازم ما يفهم من قوله اذا ما الحلم زين أهله من كونه غير حليم حين لا يكون الحلم زينا لأهله فان من لا يكون حليما حين لا يحسن الحلم لأهله يكون مهيبا فى عين العدو لامحالة فعلم أن بقية البيت ليست تكميلا كما زعم بعض الناس ومنه (١) قول الحماسى :

وما مات منا سيد فى فراشه ولا طل منا حيث كان قتيل

فانه لو اقتصر على وصف قومه بشمول القتل إياهم لأوهم أن ذلك لضعفهم وقلتهم فأزال هذا الوهم بوصفهم بالانتصار من قاتلهم وكذا قول أبى الطيب :

(٢) أشد من الرياح الهوج بطشا وأسرع فى الندى منها هبوبا

فانه لو اقتصر على وصفه بشدة البطش لأوهم ذلك أنه عنف كله ولا لطف عنده فأزال هذا الوهم بوصفه بالسماحة ولم يتجاوز فى ذلك كله صفة الريح التى شبهه بها وقال إنه أسرع فى الندى منها هبوبا كأنه من قول ابن عباس رضى الله عنهما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الناس وكان أجود مايكون فى رمضان كان كالريح المرسلة .

---

(١) (قول الحماسى : وما مات منا سيد فى فراشه . البيت) هو السموءل ابن عاديا . وفى رواية حتف أنفه يعنى من غير قتل ولا ضرب ، وطل أهدر دمه .

(٢) (أشد من الرياح الهوج بطشا . البيت) الهوج جمع هوجاء وهى الريح التى لاتستوى فى هبوبها وتقلع البيوت من شدتها .

وإما بالتتميم وهو أن يؤتى فى كلام لا يوهم خلاف المقصود [١] بفضلة تفيد نكتة كالمبالغة فى قوله تعالى (ويطعمون الطعام على حبه) أى مع حبه والضمير للطعام أى مع اشتهائه والحاجة اليه ونحوه (وآتي المال على حبه) [٢] وكذا (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) وعن فضيل بن عياض على حب الله [٣] فلا يكون مما نحن فيه [٤] وفى قول الشاعر :

إنى على ما ترين من كبرى   أعرف من أين يؤكل الكتف

وفى قول زهير :

[٥] من يلق يوما على علاته هرما   يلق السماحة منه والندى خلقا

وإما بالاعتراض [٦] وهو أن يؤتى فى أثناء الكلام أو بين كلامين

---

(١) (بفضلة تفيد نكتة كالمبالغة) المراد بالفضلة المفعول ونحوه وبهذا يكون الايغال أعم من التتميم لأنه لا يتقيد بها .

(٢) (وكذا لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) لأن أصل المعنى يتم بقوله حتى تنفقوا أى يقع منكم إنفاق .

(٣) (فلا يكون مما نحن فيه) لأن معناه على هذا يدخل فى تأدية أصل المراد فالانفاق لا يمدح شرعاً إلا إذا كان لله لا لرياء وسمعة بخلافه على الأول لأن الانفاق يمدح شرعاً مع حب المال وعدم حبه غاية الأمر أن الانفاق مع حب المال أبلغ فى المدح لحاجتهم إليه عند حبه .

(٤) (وفى قول الشاعر : إنى على ما ترين من كبرى . البيت) الكتف تؤكل من أسفلها ويشق أكلها من أعلاها وهو تكميل للأول يريد به أن عجزه عن ذلك ليس لتقصير منه .

(٥) (من يلق يوما على علاته هرما . البيت) العلات جمع علة وهى ما يتعلل به وأصله من عل إذا شرب مرة بعد مرة ، وعطف الندى على السماحة عطف تفسير

(٦) (وهو أن يؤتى في أثناء الكلام أو بين كلامين متصلين . . .) بأن

متصلين معنى بجملة أو أكثر لامحل لها من الاعراب لنكتة سوى ماذكر في تعريف التكميل كالتنزيه والتعظيم فى قوله تعالى (ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم مايشتهون) والدعاء فى قول أبى الطيب :

(١)وتحتقر الدنيا احتقار مجرب   يرى كل مافيها وحاشاك فانيا

فان قوله وحاشاك دعاء حسن فى موضعه ونحوه قول عوف بن محلم الشيبانى :

(٢) إن الثمانين وبلغتها   قد أحوجت سمعى الى ترجمان

والتنبيه (٣) فى قول الشاعر :

واعلم فعلم المرء ينفعه   أن سوف يأتى كل ماقدرا

بأن يكون ثانيهما بيانا للاول أو تأكيدا أو بدلا أو معطوفا عليه والاعتراض بهذا التعريف يباين الايغال لأنه لايكون إلا فى آخر الكلام ويباين التتميم لأنه فضلة معربة ويباين التكميل لأنه يكون لدفع الايهام ويشمل بعض صور التذييل فيجتمعان فى كل جملة معترضة مشتملة على معنى ما قبلها إذ تكون لنكتة التوكيد فيجتمع فيها الاعتراض والتذييل .

(١) (وتحتقر الدنيا احتقار مجرب . البيت) المجرب المختبر ، والاستثناء اعتراض بين المفعولين وهو استثناء للممدوح مما يفنى لأن ذكره مما يبقى ولا يفنى .

(٢) (إن الثمانين وبلغتها . البيت) هو من قصيدة له فى شكوى ضعفه الى عبد الله بن طاهر وكان قد دخل عليه فسلم عليه فلم يسمع لضعفه وكبره ، والترجمان فى الأصل هو الذى يفسر لغة بلغة أخرى والمراد به هنا مطلق المفسر والمكرر .

(٣) (فى قول الشاعر : واعلم فعلم المرء ينفعه . البيت) هذا البيت انشده أبو على الفارسى ولم يعزه لأحد .

وتخصيص أحد المذكورين بزيادة التأكيد فى أمر علق بهما كقوله تعالى (ووصينا الانسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله فى عامين أن اشكرلى ولوالديك) والمطابقة مع الاستعطاف فى قول أبى الطيب :

(١) وخفوق قلب لو رأيت لهيبه يا جنتى لرأيت فيه جهنما

والتنبيه على سبب أمر فيه غرابة كما فى (٢) قول الآخر :

فلا هجره يبدو وفى اليأس راحة ولا وصله يبدو لنا فنكارمه

فان قوله فلا هجره يبدو يشعر بأن هجر الحبيب أحد مطلوبيه وغريب أن يكون هجر الحبيب مطلوبا للمحب فقال وفى اليأس راحة لينبه على سببه وقوله تعالى (لو تعلمون) فى قوله (فلا أقسم بمواقع النجوم وإنه لقسم لو تعلمون عظيم إنه لقرآن كريم) اعتراض فى اعتراض لأنه اعترض به بين الموصوف والصفة واعترض بقوله (وإنه لقسم لو تعلمون عظيم) بين القسم والمقسم عليه ومما جاء بين كلامين متصلين معنى قوله (فأتوهن من من حيث أمركم الله إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم) فان قوله (نساؤكم حرث لكم) بيان لقوله (فأتوهن

---

(١) (وخفوق قلب لو رأيت لهيبه . البيت) خفوق القلب اضطرابه من الحب ونحوه والواو عطف على ما قبله من قوله :

كفى أرانى ويك لومك ألوما هم أقام على فؤاد أنجما

وخيال جسم لم يخل له الهوى لحما فينحله السقام ولا دما

(٢) (قول الآخر : فلا هجره يبدو وفى اليأس راحة . البيت) هو الرماح بن أبرد المعروف بابن ميادة ، وقد روى فلا صرمه يبدو ، ونكارمه بمعنى يكرمنا ونكرمه .

من حيث أمركم الله) يعنى أن المأتى الذي أمركم به هو مكان الحرث دلالة على أن الغرض الأصلى فى الاتيان هو طلب النسل لا قضاء الشهوة فلا تأتوهن إلا من حيث يتأتى فيه هذا الغرض (١) وهو مما جاء فى أكثر من جملة أيضا ونحوه فى كونه أكثر من جملة قوله تعالى (قالت رب إني وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالأنثى وإني سميتها مريم) فان قوله (والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالأنثى) ليس من قول أم مريم وكذا قوله (ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يشترون الضلالة ويريدون أن تضلوا السبيل والله أعلم بأعدائكم وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه) إن جعل من الذين بيانا للذين أوتوا نصيبا من الكتاب لأنهم يهود ونصارى أو لأعدائكم فانه على الأول يكون قوله والله أعلم بأعدائكم وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا اعتراضا وعلى الثانى يكون وكفى بالله وكفى بالله اعتراضا ويجوز أن يكون من الذين صلة لنصيرا أى ينصركم من الذين هادوا كقوله (ونصرناه من القوم الذين كذبوا) وأن يكون كلاما مبتدأ على أن يحرفون صفة مبتدإ محذوف تقديره من الذين هادوا قوم يحرفون (٢) كقوله:

وما الدهر إلا تارتان فمنهما أموت وأخرى ابتغي العيش أكدح

---

(١) (هو مما جاء فى أكثر من جملة أيضا) لأن قوله ويحب المتطهرين جملة ثانية معطوفة على ماقبلها وإن كانت فى محل مفرد لأنها معطوفة على خبر إن ويجوز أن تجعل معطوفة على جملة إن واسمها وخبرها ولكن الأول أظهر.

(٢) (كقوله: وما الدهر إلا تارتان فمنهما. البيت) هو تميم بن مقبل وتقدير الكلام فتارة منهما أموت، وأكدح أجهد نفسى فى العمل.

وقد علم مما ذكرنا أن الاعتراض كما يأتي بغير واو ولا فاء (١) قد يأتى بأحدهما (٢) ووجه حسن الاعتراض على الاطلاق حسن الافادة مع أن مجيئه مجيء مالا معول عليه فى الافادة فيكون مثله مثل الحسنة تأتيك من حيث لا ترتقبها ومن الناس من لا يقيد فائدة الاعتراض بما ذكرناه بل يجوز أن تكون دفع توهم مايخالف المقصود وهؤلاء فرقتان فرقة لاتشترط فيه أن يكون واقعا فى أثناء كلام أو بين كلامين متصلين معنى بل يجوز أن يقع فى آخر كلام لا يليه كلام أو يليه كلام غير متصل به معنى وبهذا يشعر كلام الزمخشرى فى مواضع من الكشاف فالاعتراض عند هؤلاء يشمل التذييل ومن التكميل مالا محل له من الاعراب جملة كان أو أكثر من جملة ، وفرقة تشترط فيه ذلك لكن لاتشترط أن يكون جملة أو أكثر من جملة فالاعتراض عند هؤلاء يشمل من التتميم ما كان واقعا فى أحد الموقعين ومن التكميل ما كان واقعا فى أحدهما ولا محل له من الاعراب جملة كان أو أقل من جملة أو أكثر .

وإما بغير ذلك كقولهم رأيته بعينى ومنه قوله تعالى (إذ تلقونه بألسنتكم

---

(١) (قد يأتى بأحدهما) وتسمي الواو اعتراضية وكذا الفاء ، والواو الاعتراضية غير واو العطف وواو الحال وقد تشتبه بواو الحال فى نحو قوله تعالى (ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون ثم عفونا عنكم . الآية) فلا يعين أحدهما إلا القصد فان قصد تقييد العامل بالجملة فهي حالية وإلا فهى اعتراضية ومعنى الآية على الأول ثم اتخذتم العجل حال كونكم ظالمين باتخاذه ومعناها على الثاني وأنتم قوم عادتكم الظلم فيكون تأكيدا لظلمهم بأمر مستقل لم يقصد ربطه بالعامل قبله .

(٢) (ووجه حسن الاعتراض . . .) هذه نكتة بديعية للاعتراض يمكن أن يعد بها من فنون البديع كما جرى عليه بعضهم .

وتقولون بأفواهكم ماليس لكم به علم) أي هـذا الافك ليس إلا قولا يجرى على ألسنتكم ويدور فى أفواهكم من غير ترجمة عن علم فى القلب كما هو شأن المعلوم اذا ترجم عنه اللسان وكذا قوله (تلك عشرة كاملة) لازالة توهم الاباحة كما في نحو قولنا جالس الحسن وابن سيرين وليعلم العدد جملة كما علم تفصيلا ليحاط به من جهتين فيتأكد العلم وفى أمثال العرب علمان خير من علم وكذا قوله كاملة تأكيد آخر وقيل أريد به تأكيد الكيفية لا الكمية حتى لو وقع صوم العشرة على غير الوجه المذكور[(١)] لم تكن كاملة وكذا قوله (الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا) فانه لو لم يقصد الاطناب لم يذكر ويؤمنون به لأن إيمانهم ليس مما ينكره أحد من مثبتيهم وحسن ذكره إظهار شرف الايمان ترغيبا فيه وكذا قوله (اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون) [(٢)] فانه لو اختصر لترك قوله (والله يعلم إنك لرسوله) لأن مساق الآية لتكذيبهم فى دعوى الاخلاص فى الشهادة كما مر وحسنه دفع توهم أن التكذيب للمشهود به فى نفس الأمر ونحوه قول البلغاء لا وأصلحك الله وكذا قوله تعالى (هي عصاى أتوكأ عليها وأهش بها على غنمى ولى فيها مآرب أخرى) وحسنه أنه عليه السلام فهم أن السؤال يعقبه أمر عظيم يحدثه الله تعالى فى العصا فينبغي أن يتنبه لصفاتها حتى يظهر له التفاوت

---

(١) (لم تكن كاملة) أى شرعا وإن كانت كاملة فى العدد.

(٢) (فانه لو اختصر...) أي ترك الاطناب فيشمل المساواة لأنه عند ترك هذا يكون الكلام من المساواة لا من الايجاز، والاختصار كما يطلق على الايجاز يطلق على مايشمل المساواة والايجاز.

بين الحالين وكذا قوله (نعبد أصناما فنظل لها عاكفين) وحسنه إظهار الابتهاج بعبادتها والافتخار بمواظبتها ليزداد غيظ السائل.

(١) واعلم أنه قد يوصف الكلام بالايجاز والاطناب باعتبار كثرة حروفه وقلتها بالنسبة الى كلام آخر مساوله فى أصل المعنى كالشطر الأول من قول أبي تمام :

(٢) يصد عن الدنيا اذا عن سودد ولو برزت فى زى عذراء ناهد

(٣) وقول الآخر :

ولست بنظار الى جانب الغنى اذا كانت العلياء فى جانب الفقر

ومنه قول الشماخ :

اذا ماراية رفعت لمجد تلقاها عرابة باليمين

وقول بشر بن أبي خازم :

(٤) اذا ما المكرمات رفعن يوما وقصر مبتغوها عن مداها

(١) (واعلم أنه قد يوصف الكلام بالايجاز والاطناب . . .) الواو بمعنى أو فيقال للأكثر حروفا إنه مطنب وإن كان على التفسير السابق مساواة أو إيجازا ويقال للأقل حروفا إنه موجز كذلك .

(٢) (يصد عن الدنيا اذا عن سودد . البيت) يصد يعرض ، والعذراء البكر ، والناهد بارزة الثدى .

(٣) (وقول الآخر : ولست بنظار الى جانب الغني . البيت) هو المعذل ابن غيلان وقيل إنه أبو سعيد المخزومى ، ونظار صيغة مبالغة فالنفى وارد على أصلها حتى لا يكون أصل النظر الى الغني موجودا ويجوز أن تكون صيغة نسب كعطار ونحوها.

(٤) (اذا ما المكرمات رفعن يوما . البيتين) مبتغوها طالبوها ، ومداها غايتها والمثرون أرباب الغني والثروة .

وضاقت أذرع المثرين عنهـــا   سما أوس اليها فاحتواهـــا

(١) ويقرب من هذا الباب قوله تعالى (لا يسأل عما يفعل وهم يسألون)

(٢) وقول الحماسى :

ونكر إن شئنا على الناس قولهم   ولا ينكرون القول حين نقول

وكذا ما ورد فى الحديث الحزم سوء الظن وقول العرب الثقة بكل أحد عجز .

---

(١) (ويقرب من هذا الباب . . .) إنما كان هذا قريبا منه ولم يكن مثله لأنهما لم يتساويا تماما فى أصل المعنى لأن مافى الآية يشمل كل فعل والمراد بالفعل مايشمل القول لأنه فعل أيضا ومافى البيت خاص بالقول فقط

(٢) (وقول الحماسى : وننكر إن شئنا على الناس قولهم .البيت) هو السموءل ابن عادياء من قصيدته المشهورة (إذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه) .

هذا وقد يتساوى اللفظان في الايجاز فيكون أجودهما أشدهما إيضاحا للمعنى كقول أبى القاسم المطرز البغدادى :

وردت وقد حل لى ماؤه   فلما بكيت عليه حرم

وقول مهيار بن مروزيه :

بكيت على الوادى فحرمت ماءه   وكيف يحل الماء أكثره دم

فقد تقاربت ألفاظ البيتين وزاد مهيار على المطرز بذلك التفسير البديع فكان أعلى منه وأرق .

وهذه أمثله شعرية لأنواع الاطناب السابقة :

والسر فاكتمه ولا تنطق به   إن الزجاجة كسرها لا يجـــبر

السعي في الرزق والأرزاق قد قسمت   بغى ألا أن بغى المرء يصرعه

لقـد عـــلم الحي اليمانون أننى   إذا قلت أما بعـــد أني خطيبها

وجزيت أعلى رتبــــة مأمولة   فى جنة الفردوس غير معجـــل

إنى لأعلم واللبيب خبـــير   أن الحياة وإن حرصت غرور

اذا ماعلت منا ذؤابة شارب تمشت به مشى المقيد فى الوحل
من يلق يوما على علاته هرما يلقى السماحة منه والندى خلقا

استدراكات على الجزء الأول : أخطاء مطبعية

ص	الخطأ	الصواب
٩	ليلى	ليلا
١٢	الهزليين	الهذليين
١٦٤	غداة غد	غداة غدا
١٦٦	وعزلت	وعذلت

استدراكات أخرى

(١) جاء فى كلام ابن سنان على الفصاحة والبلاغة (فلم يميز بينهما إلا فى الموضع الذى تفترق به ...) فليكن هكذا (فذكر أولا وجوه الفصاحة والبلاغة فى الألفاظ ثم ذكر المعانى فتكلم على وجوه بلاغتها ولكنه يخلط فى ذلك فيذكر من أحد القسمين فى الآخر)

(٢) جاء فى المجاز العقلى هذا الشاهد :

« فنام ليلى وتجلى همى »

وهو من أرجوزة لرؤبة

(٣) وجاء فيه أيضا هذا الشاهد :

« ونمت وما ليل المطي بنائم »

وهو لجرير

(٤) وجاء فى شواهد توكيد المسند اليه من الشرح :

لكنه شاقه أن قيل ذا رجب يا ليت عدة حول كله رجب

وقد جاء فى رواية شرح الكامل للمبرد ج : ٧ ص ٢١٤ : بنصب رجب على روى قصيدته

(٥) وجاء فى شواهد تقديم المسند اليه هذا الشاهد :

« ما كل رأى الفتى يدعو الى رشد »

وقد نسب فى البلاغة التطبيقية للشيخ مصطفى زيد الى المتنبى ولكنى لم أجده فى ديوانه .

استدراكات على الجزء الثانى

أخطاء مطبعية

ص	الخطأ	الصواب
٣٦	المحققان	المحققين
٦٢	ثانيها	ثانيهما

استدراكات أخرى

(١) جاء في شواهد القصر :

وتعذلنى أفناء سعد عليهم   وما قلت إلا بالتى علمت سعد

وهو للحطيئة وقد روى بالذى بدل التى وأبناء بدل أفناء. ورجح هذا بأن أفناء الناس أخلاطهم ولا يريده الحطيئة

(٢) وجاء فيه أيضا :

« ما أنت بالسبب الضعيف وإنما »   البيتين

وقد نسبا فى معجم الأدباء الي الباخرزى صاحب دمية القصر

(٣) وجاء فى الايجاز هذا البيت :

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا   متى أضع العمامة تعرفوني

منسوبا فى الشرح الى العرجى ولكن الايضاح سينسبه فى التضمين الى سحيم بن وثيل :

فهرس الجزء الثانى

— تم الفهرس —

البدايع جزئين : الطبعه الثانية سنة ١٩٣٥

صور وجدانية وأدبية واجتماعية بقلم الدكتور زكى مبارك ، وهو أحسن المؤلفات الانشائية المفيدة العصرية فى هذا الوقت وفيه كثير من الأدب الجديد * ثمنه ٢٠ قرش

بستان الواعظين ورياض السامعين

للامام الواعظ ابن الجوزى رتبه على (ستة عشر) مجلسا فى الترغيب ، والترهيب والوعظ ، والارشاد ، وتهذيب النفوس معززا ذلك كله بالأدلة ، والآيات القرآنية والأحاديث النبوية ، وآثار الصحابة ، وأقوال العلماء ، والصالحين ، وحكايات وأشعار تناسب المقام . . ورق جيد ناعم مقاس الكامل * ثمنه ١٥ قرش

علم اصول الشريعة الاسلامية :

الابهاج ونهاية السول فى شرح منهاج الأصول للقاضى البيضاوى المتوفى سنة ه
تاليف الشيخ الامام عبد الرحيم بن الحسن الاسنوى الشافعى
والابهاج فى شرح المنهاج للقاضى تقي الدين السبكى وولده ٣ أجزاء مقاس الكامل
* ثمنه ٥٠ قرش أصفر نباتي و ٦٠ قرشا أبيض عال

مرآة النساء فيما حسن منهن وساء

هذا الكتاب يوصف النساء أتم وصف ويبين مايجب منهن وما يكره مع بيان حقيقتهن ومزاياهن وأخلاقهن وما كان عليه النساء فى الاسلام مؤيدا ذلك بالآيات والأحاديث والحكم والأمثال ومعه فهرست بأسماء من ذكر من النساء والرجال مرتب على الحروف بقلم الاستاذ محمد كمال الدين الادهمي * ثمنه ١٥ قرش

فلسفة ابن رشد : وكتابى فصل المقال : والكشف عن مناهج الأدلة

تأليف القاضى محمد بن احمد بن رشد ومعهم بالذيل لكل صحيفة الرد تأليف شيخ الاسلام ابن تيمية * ثمنهما ٦ قروش

الدر المثقوب فى أسرار الغيوب

الطابعة الثانية ١٩٣٥ تسعة رسائل من علوم الرمل والأوفاق والزايرجة والطوالع الفلكية والجفرية وخلاف ذلك وهو موضح بفهرست الكتاب للعالم الروحانى الكبير الشيخ محمد عبد الباسط الطوخي الفلكى * ثمنه ٢٠ قرشا - بعد أن كان ثمنه واحد جنيه